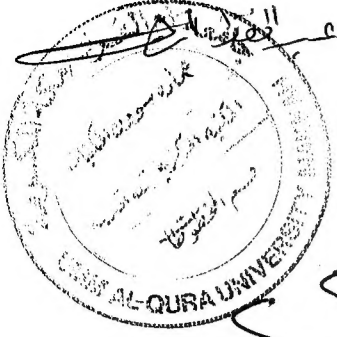


١٤ / ١٢ / ١٤٠٣
عبد العظيم ابراهيم المطعني
١٤٠٣ / ١٢ / ١٤٠٣
١٤٠٣ / ١٢ / ١٤٠٣
١٤٠٣ / ١٢ / ١٤٠٣



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٤٠٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية اللغة العربية
فرع البلاغة



١١٩٩

سورة هود عليه السلام

دراسة لخطائص نظمها وأسراره البلاغية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة

اعداد الطالب
دخيل الله بن محمد الصحفي

اشراف الأستاذ الدكتور
عبد العظيم ابراهيم المطعني

١٤١٣/١٩٩٣م

ملخص الرسالة

« سورة هود عليه السلام دراسة لخصائص نظمها وأسرارها البلاغية »

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.
ويعد :

فقد جاء البحث في أربعة أقسام تسبقها مقدمة وتمهيد وتليها خاتمة.

دار التمهيد منها حول إبراز الخصائص البلاغية للقرآن المكي والمدني وعن سر تسمية السورة وأغراض السورة ومقاصدها ثم مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

وجاء القسم الأول ليكشف عن خصائص التراكيب في السورة وقد تكون من ثلاثة عشر مبحثاً وهي : الخبر، والمجاز العقلي، والتعريف والتنكير، والتقديم والتقييد بالشرط، والإلتفات، والإيجاز، والإطناب وأنواعه، وأسلوب القصر، وأساليب الإنشاء، ثم تحدثت عن الفصل والوصل محلاً موضع كل منهما.

أما القسم الثاني : فقد اشتمل على دراسة تحليلية لما ورد من متشابه اللفظ في السورة مع التركيز على الكلمة من جهة مادتها وصيغتها وهيئتها وموقعها من التركيب.

وأما القسم الثالث : فقد اشتملت مباحثه على دراسة التصوير البياني في السورة وهي التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة وأنواعها، والكناية ثم ختمت القسم بمبحث التعريض وشواهد.

وأما القسم الرابع فقد كان لبيان خصائص البديع في السورة، وقد اشتمل على مبحثين يسبقهما تمهيد عن منزلة البديع في مجال الدراسات القرآنية، وقد أوردت في المبحث الأول وجوه البديع المعنوي، وعرضت في المبحث الثاني وجوه البديع اللفظي.

وأما الخاتمة فقد أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها :

* انتهيت إلى أن التشبيه باسم الإشارة "كذلك" يأتي في القرآن إذا تقدم المشبه به جملة أو جمل من قبل، ومعنى هذا أن المشبه به مع هذه الأداة : ذلك، يكون مذكوراً مرتين :

الأولى : قبل أداة التشبيه "الكاف" في كذلك، والثانية بعدها في صورة اسم الإشارة، ثم يأتي المشبه بعده إما مفرداً، وهو اسم مثل كذلك أخذ ربك، أو جملة فعلية، مثل : كذلك تخرجون، وفي هذا المنهج من قوة البيان وأحكام الربط بين معاهد الكلام ما فيه، ولا نكون متجاوزين للحقيقة إذا قلنا أن في هذا فناً بلاغياً لم يعنون له البلاغيون وإن عنونوا لنظيره، وهو هنا الإجمال بعد التفصيل.

* أن الفاصلة القرآنية قد تكون لفتاً لما قبلها أو لفتاً لما بعدها كما في قوله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)، فقوله " ألا لعنة الله على الظالمين " جاءت لفتاً لما قبلها وهو قوله " ومن أظلم " ، وجاءت لفتاً لما بعدها في قوله " الذين يصدون عن سبيل الله " وهم الظالمون أيضاً.

والله ولي التوفيق ، ، ، ،

عبد المطلب
د. محمد بن عبد الله الحارثي

المستشار
د. عبد الله بن عبد الرحمن المحمدي

المراجع
د. محمد بن عبد الله المحمدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على من شرفه رب العالمين بما تنزل به الروح الأمين على قلبه بلسان عربى مبين ليكون نذيرا ورحمة للعالمين ... وبعد .

فلما كان القرآن الكريم معجزة عقلية خالدة ، ظل على امتداد الأزمان بكرا فى معانيه وألفاظه وتراكيبه ووسائله وأهدافه ، يحوم حوله العلماء من كل عصر فيأخذون بعض الفرائد من جواهره ، ويرتشفون قطرات من جليل هديه وتوجيهه كما ظل محل التدبر ومناط التأمل وغاية الغايات .

لذلك كان أهم مايتاح لطالب العلم والباحث فيه أن يوظف ماحصله من مسائل العلم فى خدمة هذا الكتاب العزيز اظهارا لمقاصده وتوضيحا لمرامييه وتجليه لبعض أسرار المستكنة وراء ألفاظه وجملته ، وابرزا لبعض ملاح اعجازه المستمر أبد الدهر ، فالقرآن الكريم على مدى الدهر موضع لنظر يطول وفكر يحول وتأمل يتبصر وغوص وراء الأستار والأسرار . واختيار أى جزء من القرآن ليكون موضوع البحث والدرس أمر شديد الصعوبة لأن القرآن ليس فيه فاضل وأفضل وبليغ وأبلغ ، بل القرآن كله على حد سواء من أوله الى آخره فضلا وهديا وبلاغة واعجازا فحيثما وجهت بصيرتك وجدت نورا يهدى ، وهديا يدل ، ودلالة تقود وتوصل الى خيرى الدنيا والآخرة .

لذلك لم يبق أمامى الا أن أستخير الله سبحانه وتعالى وقد كان من فضله وحكمته أن وجهنى الى التأمل فى سورة "هود" عليه السلام ، ومن ثم تراءت لى دوافع هيأت لى الرغبة فى الكتابة عن هذه السورة الكريمة لعل فى مقدمتها : قول النبى صلى الله عليه وسلم : "شيتنى هود وأخواتها" (١) ،

حيث وقفنى هذا الحديث النبوى الكريم عند هذه السورة كثيرا أتأمل فى سياقها القرآنى وعند دلالة النص لعلى أصل الى الهدف الذى خص الرسول صلى الله عليه وسلم به هذه السورة مع بعض السور .

ثم ان تأملنى السابق لفتنى الى ماورد فى السورة من حوار بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم ، الأمر الذى وقفنى كثيرا حتى وقر فى قلبى أنه لابد من اعداد بحث شامل حول ذلك الحوار يلتزم بمنهج دقيق يعكف على تأمل السياق القرآنى ، ويقف عند دلالة النص وفق ما روى فى التفاسير الماثورة ، مستخرجا الكثير من خصائص النظم .

وقد كان منهجى فى هذه الدراسة قائما على تحليل آيات السورة ، وتوضيح خصائص النظم فيها ، مع الكشف عما ورد فيها من تشابه لفظى ، وبيان سر ايثار مادة على مادة ، وصيغة على صيغة ، ثم تجلية روعة الصور البيانية ووجوه البديع ، مع تلمس الخصائص المميزة لكل نوع .

أما المصادر التى استعنت بها فأهمها كتب التفسير على مختلف مناهجها وأضفت الى هذه المصادر ماوسعته ثقافتى من مقالة أهل العلم التى حصلتها فى كتبهم المعدودة فى هذا الشأن ، ومالم أجد لهم نصا فيه اجتهدت على منوالهم ، مع محاولة لاستخراج الخبىء المكنون من كنوزهم الثمينة ، وقد أثبت جميع هذه المصادر والمراجع فى ثبت مفصل فى آخر هذه الدراسة . وعلى ضوء ماسبق : اختط البحث منهجه فجاء فى أربعة أقسام تسبقها مقدمة وتمهيد وتليها خاتمة .

دار التمهيد منها حول ابراز الخصائص البلاغية للقرآن المكى والمدنى وعن سر تسمية السورة ، وأغراض السورة ومقاصدها ، ثم مناسبة السورة لما قبلها ومابعدها .

وجاء القسم الأول ليكشف عن خصائص التراكيب فى السورة وقد تكون من ثلاثة عشر مبحثا .

المبحث الأول : تعرضت فيه لأسلوب الخبر وخروجه عن الفائدة ولازمها ، ودلالة التوكيد فيه .

وفي المبحث الثاني : تعرضت للمجاز العقلي في السورة ومواقع وروده بالنسب المختلفة .

وفي المبحث الثالث : عرضت لدراسة التعريف بالضمير ، واسم الإشارة ، والموصولية ، والاضافة ، ودلالة كل في سياقه .

وفي المبحث الرابع : ذكرت التنكير وما يوحى به من دلالات .

وفي المبحث الخامس : ذكرت التقديم وتكلمت عن تقديم ماحقه التأخير ، وتقديم ما ليس له رتبة مع ذكر مواقع كل منهما .

وفي المبحث السادس : تحدثت عن وضع الظاهر موضع المضمرة ، وشواهد وإيجاءاته الدقيقة .

وفي المبحث السابع : عرضت للتقييد بالشرط في أساليبه الواردة في السورة .

وفي المبحث الثامن : تكلمت عن الالتفات ، وعن صوره التي وردت في السورة من انتقال من خطاب الى غيبة ، ومن غيبة الى خطاب ، ومن خطاب الى تكلم .

وفي المبحث التاسع : تعرضت للايجاز ، وما ذكر من حذف الحرف ، وحذف كلمة ، وحذف الجمل ومواقع المنتشرة في السورة .

وفي المبحث العاشر : ذكرت الاطناب في السورة وسياقه ، وذكرت أنواعه من ذكر للعام بعد الخاص ، والتتيم والتفصيل بعد الاجمال ، والاحتباس ، والتذييل .

وفي المبحث الحادي عشر : تعرضت للقصر ومقاماته وطرقه مع ذكر مواقع ورود كل في السورة .

وفي المبحث الثاني عشر : تحدثت عن أساليب الانشاء وتفرعها الى الأمر والنهي والاستفهام والنداء ، مع التنبيه على الخروج الى المعاني المجازية وشواهد كل في السورة .

وفي المبحث الثالث عشر : تناولت الفصل والوصل بما فيه من كمال اتصال وما تفرع اليه من توكيد معنوي ، وبيان وبدل ومواقع كل محلا شواهد كل منهما .

ثم تحدثت عن الاستئناف البياني كاشفا سياقه في محاوره الأنبياء لأقوامهم بـ"قال" ، وما جاء منه بالجملة التعليلية في الفاصلة أو عقب الأمر والنهي مع ذكر مواضع أخرى للاستئناف .

ثم ذكرت كمال الانقطاع وبينت حالتيه وهما : اختلاف الجملتين خبرا وانشاء ، لفظا ومعنى ، أو معنى ولفظا .

ثم ذكرت مواطن الوصل : حيث تكلمت عما ورد في السورة من توسط بين الكمالين مع حصر لشواهد هذا النوع في السورة .

أما القسم الثاني : فقد اشتمل على دراسة تحليلية لما ورد من متشابه اللفظ في السورة مع التركيز على الكلمة من جهة مادتها وصيغتها وهيئتها وموقعها من التركيب ، وبيان سر ايثار مادة على مادة ، وصيغة على صيغة ، وهيئة على هيئة ، وارتباط كل ذلك بالغرض المسوق له الكلام .

أما القسم الثالث : فقد اشتملت مباحثه الخمسة على دراسة التصوير البياني في السورة :

ففي المبحث الأول : تحدثت عن التشبيه ، ونهت الى قلة شواهد في السورة ، ثم تكلمت عن التشبيه بـ"كذلك" ، و"كما" و"كأن" و"مثل" محلا الشواهد الواردة في كل مع مناقشة لبعض الآراء حول بعض الشواهد الواردة فيه .

وفي المبحث الثاني : تعرضت للمجاز المرسل وعلاقاته وشواهد من السورة .

وفي المبحث الثالث : ذكرت الاستعارة التصريحية بنوعها أصلية وتبعية وعرضت التبعية في الفعل والحرف والمشتقات ثم ذكرت الاستعارة التمثيلية والمكنية مع تحليل لشواهد كل نوع .

وفي المبحث الرابع : ذكرت الكناية وانتزاع صورها وما تفرعت اليه من كناية عن صفة وموصوف مع تحليل لشواهدا .

وفي المبحث الخامس : تحدثت عن التعريض وشواهدا وإيجاءاته الدقيقة الجيدة .

أما القسم الرابع : فقد كان لبيان خصائص البديع في السورة ، وقد اشتمل على مبحثين يسبقهما تمهيد عن منزلة البديع في مجال الدراسات القرآنية .

في المبحث الأول : أوردت وجوه البديع المعنوى من الطباق ، والمقابلة ، والجمع مع التقسيم والتفريق ، واللف والنشر ، ومراعاة النظر والتجريد والاحتباك ، وسوق المعلوم مساق غيره ، والاستدراج ، والمذهب الكلامي ، وحسن النسق ، والمشكلة ، والاستطراد .

وفي المبحث الثاني : عرضت فيه وجوه البديع اللفظي من الفواصل ومادار حولها من مناقشات ، والجناس ، ورد العجز على الصدر وتوافق البدء مع الختام .

أما الخاتمة فقد أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها . وأخيرا وضعت ثبنا بأسماء المصادر والمراجع التي كانت عوناً لي في هذه الدراسة ، وأتبعتها بفهرست للموضوعات .

وبهذا يكتمل المنهج العام الذي سرت فيه باحثاً سورة هود - عليه السلام - دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية .

بقي في نفسي بعد شكر الله الذي أمدني بتوفيقه وعونه حتى خرج هذا البحث على صورته الوافية ، أن أشكر جامعة أم القرى على اهتمامها بالعلم وطلابها وتوفيرها السبل الكثيرة لطلابها الدارسين .

كما أتوجه بالشكر لسعادة عميد كلية اللغة العربية الدكتور محمد بن مريس الحارثي ورئيس قسم الدراسات العليا الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد على ما بذلاه من جهد في اكمال هذه المرحلة من البحث . ولأنسى فضيلة المشرف على الرسالة الذي أعانني بإرشاداته السديدة وفتح لي قلبه وعقله وذل لي الصعاب ويسر لي المراد ، فأسأل الله له عافية البدن وبركة العمر وتوفيق أهل العرفان .

واني أتقدم ثانية بخالص شكرى الى كل من أسهم بجهده المشكور في كل ما أعان عليه حتى خرج هذا البحث على صورته الوافية .

وبعد .. فقد حاسبت نفسي في مباحث هذه الرسالة حسابا ، ماأحسب
أحدا يحاسبني بمثله ، وقد نقبت وفتشت ، ماتراجعت ولا تكاسلت ، وأنا كاره
ذكر ذلك لأنني بذلت ذلك لأمر فوق ما يدرك الناس وأنا أعلم - وعلمي من
نفسى - أن هذه الرسالة ان عدمت بين كتب العلم فلاضير على العلم ،
ولابأس على أهله وكسبي أننى عدت من ثلاثة أعوام قضيتها في هذا البحث
قراءة وكتابة ، وأحسست بجهالتى وعجزى وضعفى أمام هذا الكلام المعجز ،
احساسا يتراعى بعضه فوق بعض ، وليس الا أن أسأل الله العافية .
والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
 رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
 كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
 يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
 يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾
 ﴿٦﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
 وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ
 عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ
 إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى
 أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
 مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
لَيَكْفُورٌ ۖ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۖ ﴿١٠﴾
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۖ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ
وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۖ ﴿١٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ ﴿١٣﴾
فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ۖ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿١٧﴾ وَمَن
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۖ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ ﴿١٩﴾

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا
مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَابَدُوا
الرَّأْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِيَ رَحْمَةٌ
مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا
أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مِّن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَخْتُهُمْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا
لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدْلَنَا فَأُنَا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَتَّبِعُونَ ﴿٣٥﴾
وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

وَيَصْنَعُ الْفُلَّ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٢٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ أَمِنَ وَمَاءَ أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا
فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مجرى بها ومرسها إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أُرْكُبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَأُوْىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ الْمَغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ
أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
بَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
أَبْنَىٰ مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ
 أَهَبْطِ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
 وَأُمَمٌ سَنُمِتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ
 أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾



إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَيْكَ بِعُضِّ الْهَيْئَةِ بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
 وَأَشْهَدُ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي
 جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
 مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
 رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ
 ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
 مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي
 كُنَّا نُنزِلُهَا عَلَىكَ بِحَقِّ طَرَفٍ لَعَلَّكَ تَلَمَّحُ فِيهَا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ
 وَمَا تَكُنْ مِنْهَا حَافِيًا وَمَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ
 جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٠﴾ وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦١﴾ وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ
 كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَأَتَّبِعُوا
 أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٥﴾

قَالَ يَنْقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي
 مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي
 غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ
 فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
 عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ
 أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَمِنْ خِزْيٍ يُومِيذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّبِيحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنَاحِينَ
 ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ؕ الْإِنَّا نَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا بَعْدًا
 لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
 سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَا
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَايِمَةٌ
 فَضْحَكْتُ فَبُشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

قَالَتْ يَوَيْلَتِي ۖ أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا
 لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ
 وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
 عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ
 قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَأْتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
 جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا أَنَّهُ وَضَاكَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا
 يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
 ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
 ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا
 يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ
 مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
 مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
 شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ
 أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
 بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
 نَّتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ ارْءَيْتُمْ إِنْ
 كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
بَبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا بِجَنَّتَيْنَا شُعَيْبًا وَالدِّينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
الدِّينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۖ الْأَبْعَدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيهِ ءَأَمْرٌ فِرْعَوْنٌ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ
الْمُورَدُ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةُ يَوْمِ الْقِيَمَةِ بِئْسَ
الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي
النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ هُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوفَّيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ
الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَهُوتَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْذِحُونَ ﴿١١٧﴾

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ^ط وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَخِنِينَ ^ل
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ^ق وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلاَّ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ ^ع فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

تمهيد

قبل التعرض لخصائص النظم وما يحيط به في السورة الكريمة ، نتناول بعض القضايا التي نراها ضرورية ، لما ترسله من أضواء على تحليلها ، والكشف عن أسرارها ، وسنجل القول في هذا التمهيد على النحو الآتي :

الخصائص البلاغية للمكي والمدني من القرآن الكريم :

نبه العلماء الذين اهتموا بعلوم القرآن الكريم الى أن معرفة المكي والمدني من سور القرآن الكريم من العلوم الشريفة التي لا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله عز وجل من غير أن يحيط بها لما يترتب على هذا الامام من فوائد شريفة يتمثل بعضها فيما يأتي :

أولاً : ان معرفة زمن النزول ومكانه والمتحدث عنهم به مما يساعد على فهم السورة والآية فهما صحيحا فيتعرف المفسر والمتذوق للنمط العالي من الكلام على ملاساتهما ، وعلى ما نزل متأخرا فنسخ حكما متقدما ، وعلى ما كان مجملا فجاء مفصلا ، أو غير ذلك (١).

ثانياً : ثم ان معرفة المكي والمدني من السور يساعد على تذوق أساليب القرآن الكريم في الدعوة الى الله ، فان لكل مقام مقالا ، فمراعاة مقتضى الحال من أهم عناصر البلاغة ، ومن المعلوم أن الدعوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مرت بمراحل في العهدين المكي والمدني كان لكل مرحلة منهما مقتضياتها الموضوعية والأسلوبية ، وبذلك تنوعت الأغراض وتلون أسلوب الخطاب للمؤمنين والكافرين ، والمنافقين وأهل الكتاب بما يلائم كل طائفة ، وفي تتبع ذلك ومعرفة درسه بليغ لمن يريد الوقوف على ألوان الخطاب وأسراره البلاغية في الدعوة الى الله فيهم ما يلائم أحوال المخاطبين العقدية والفكرية والنفسية (٢).

(١) مباحث في علوم القرآن ، مناع خليل قطان ص ٥١ .

(٢) انظر من عطاء نظم القرآن الكريم ، دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ٢ .

ثالثا : كما أن معرفة المكى والمدنى وأسباب النزول وترتيبه يرسم صورة واضحة عن السيرة النبوية حيث ان تتابع الوحي على مدى ثلاث وعشرين سنة ، وهى عمر الدعوة المحمدية مما يقدم تاريخا للدعوة بأحداثها فى العهدين المكى والمدنى منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت ، وبذا يكون القرآن مرجعا أصيلا لهذه السيرة حتى لا يدع مجالا للشك ، ويقطع دابر الخلاف حين تختلف الروايات ولا يمكن الجمع بينها^(١).
وقد اختلف العلماء فى تحديد المطلوب من مصطلح المكى والمدنى على ثلاثة آراء :

أولها : يعتبر الزمان دون المكان أساسا للتفريق ، فما نزل قبل الهجرة فهو مكى ، وما نزل بعدها فهو مدنى ولو كان بمكة ، وهذا أحد رأيين مشهورين فى التفرقة بينهما .

ثانيها : يعتبر المكان أساسا للتفريق فما نزل بمكة وضواحيها فهو مكى ولو كان بعد الهجرة ، وما نزل بالمدينة وضواحيها فهو مدنى^(٢).

ثالثها : يعتبر المخاطبين أساسا للتفريق ، فما جاء خطابا لأهل مكة فهو مكى ، وما كان خطابا لأهل المدينة فهو مدنى .
ومعظم العلماء على رأى الأول .

وقد أورد السيوطى عن الجعبرى قوله : "معرفة المكى والمدنى طريقان سماعى ، وقياسى ، فالسماعى ما وصل إلينا نزوله بأحدهما"^(٣). فطريق السماع يعتمد على ما نقل إلينا متواترا عن الصحابة رضى الله عنهم فهم الذين عايشوا نزول الوحي وعرفوا أمكنة النزول وأوقاته وملابسات الخطاب فيه أو ماورد عن التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ما عرفوه وفهموه .

-
- (١) مباحث فى علوم القرآن ، مناع خليل القطان ص ٥١-٥٢ .
(٢) انظر ساعة مع القرآن العظيم ، د. عبد العظيم المطعنى ، دار المعارف ص ٢٥ .
(٣) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٤٧/١ .

أما طريق القياس والاجتهاد فهو يعتمد على تأمل خصائص القرآن في العهدين المكي والمدني من جهة الأحداث والموضوعات والأساليب ، وهذا الجانب يعتمد في جانب منه على الطريق الأول وعلى معرفة تاريخ الدعوة وصاحبها (١).

وقد حاول العلماء من أصحاب هذا الاتجاه - بعد استقراء السور والآيات - أن يستخرجوا ضوابط تقريبية لكل من آيات العهدين المكي والمدني تقوم على خصائص الأسلوب والأغراض في كل منهما ، لكي يعززوا طريق السماع والنقل الذي يعتمد على الرواية الصحيحة ، الواردة عن الصحابة والتابعين (٢).

وهذا منهج لم يقف على نقل الأفكار التي جهد في ابداعها الآخرون ، لأن ذلك عجز (٣) ، والعجز مطية الذل - كما يقولون - وإنما قام على روح الاجتهاد في هذه الأمة واعمال العقل في كل شيء يتعلق بعقيدتها وشريعتها لاتردد في المنقول ، بل هو استخدام لهذه الملكة التي ميز الله بها الانسان فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته ، وتأيد للمنقول كذلك ، لأن سلفنا - رحمهم الله - يؤمنون بأن النقل والعقل طريقان للمعرفة الصحيحة ، وهذا - كما نعلم - هو المنهج الذي حث عليه القرآن الكريم في كثير من آياته في خطابه للناس ، فمرة يخاطبهم بأمور عقلية ومرة يأمرهم بالتدبر والتفكر والتذكر والتعقل ، حتى يصلوا الى اليقين العقلي والقلبي معا ، وبذا تكون مؤازرة العقل النقل فيما يتاح للعقل أن يتدبره (٤).

وقد ذكر علماؤنا - رحمهم الله - شيئا من الضوابط التقريبية التي تعين على فهم المكي والمدني من القرآن الكريم ، فما كان من الخطاب في القرآن الكريم مثل قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" ، أو "يَا بَنِي آدَمَ" فالغالب عليه

(١) انظر : من عطاء نظم القرآن الكريم دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ٣ .

(٢) انظر خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها ص ٣٥ .

(٣) دراسة في البلاغة والشعر ، د. محمد أبو موسى ص ٩ .

(٤) انظر ساعة مع القرآن العظيم ص ٢٢ .

أن يكون مكياً^(١)، وكذا كل سورة فيها سجدة أو كلمة "كلاً" التي وردت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة في النصف الثاني من القرآن الكريم والحكمة من ذلك كما يقول السيوطي : "أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جابرة ، فتكررت على وجه التهديد والتعنيف لهم والانكار عليهم"^(٢).

وكذلك قالوا ان كل سورة فيها قصص الأمم والقرون الماضية فهي مكية عدا البقرة ، وكل سورة فيها قصة آدم وابلis خلا البقرة فهي كذلك وكل سورة فيها حروف التهجي نحو "المر" ، "حم" ، "الر" وغيرها عدا البقرة وآل عمران والرعد على خلاف فيها ، وكذا كل سورة فيها دعوة الى التوحيد واثبات الرسالة والدفاع عنها ، وماكان مشتملا على البعث والحساب والجنة والنار ومافيها ، وماكان فيه جدال المشركين والرد عليهم بالحجج العقلية وآيات الكون ، ومافيه فضح مخازي المشركين في الاجتزاء على انتهاك حرمت الأزملة والأمكنة والخلائق ، وفي الالتزام بالسوء من العادات التي لاتليق بمقام الانسان^(٣).

وقد عرف العهد المكي كذلك بقصر الفواصل ، وقوة الألفاظ وايجاز العبارة ، وعلو النبرة المهددة المتوعدة صراحة أو ضمناً ، مما يقرع الأسماع ويهز القلوب ، ثم المقارنة السريعة بين مصير المؤمنين الطائعين والكفرة العصاة^(٤).

وقد لاحظوا من خصائصه اتحاد الفواصل في البناء على حرف واحد في السورة كلها أو اتحاد كل مجموعة من الآيات في فاصلة واحدة منتهية بحرف واحد^(٥).

(١) انظر من عطاء النظم القرآني ص ٣ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٨/١ .

(٣) من عطاء نظم القرآن الكريم ، دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ٤ .

(٤)،(٥) ساعة مع القرآن العظيم ص ٢٨-٣٠ .

وإذا كان ماتقدم من الخصائص العامة التقريبية لسمات القرآن المكي موضوعيا وأسلوبيا فقد ذكروا أيضا للقرآن المدني صفات عامة مقربة لخصائصه ، منها سور وآيات الفرائض والحدود ، وهى السور التى ذكرت فيها العبادات والمعاملات والمواريث والحدود المحددة على الجرائم المختلفة ، والنظام الأمثل للأسرة وعلاقاتها ، والحث على الجهاد فى سبيل الله ، ووضع أسس الصلات الاجتماعية فيما بين المسلمين ، وبين الأمم الأخرى ، وكذلك السور والآيات التى ورد فيها ذكر النفاق والمنافقين مما يكشف عن سلوكهم وسوء طويتهم وخطرهم على المسلمين ماعدا سورة العنكبوت ، وكذلك السور التى فيها جدال أهل الكتاب ، والتى بينت تبديلهم وكتمانهم لبعض ما فى كتبهم ، وتعتديهم على الرسول والرسالة ، واختلافهم من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم .

كما لاحظوا على القرآن المدني طول المقاطع والآيات فى أسلوب يثبت أركان العقيدة والشريعة وبين الأهداف والمقاصد من وراء ذلك وأنها أولا وأخيرا تعود بالنفع والخير على الانسان فى الدنيا والآخرة (١).

ومما تقدم يتضح لنا أنه "لايستطيع أحد أن يعزل عزلا تاما بين القرآن الحكيم النازل فى مكة أو قبل الهجرة ، والنازل فى المدينة أو بعد الهجرة ، وانما الوسيلة فى ذلك هى "التغليب" لبعض الظواهر فى أى منهما على الآخر مع استواء القرآن كله فيما استقر له من خصائص من حيث هو "قرآن" لايعدله فيها أى كلام آخر" (٢).

ومن دلائل ذلك ما نقله السيوطى عن ابن الحصار من أن الناس قد اتفقوا على أن سورة النساء مدنية ، ومع ذلك فهى تبدأ بقوله تعالى :

(١) انظر فى السمات الموضوعية والخصائص الأسلوبية للقرآن المكي والمدني : البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/١٨٧-١٩٠ ، الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/٤٨، ٤٩ ، مباحث فى علوم القرآن ، مناع خليل القطان ص ٦٤، ٦٣ .
(٢) ساعة مع القرآن العظيم ، د. عبد العظيم المطعنى ص ٣٢ .

{يا أيها الناس} ، ونقل عن غيره أيضا أن سورة البقرة مدنية ، وقد جاء فيها {يا أيها الناس} مرتين : قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} ، وقوله : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ} (١).

قال مكى : "هذا انما هو في الأكثر وليس بعام وفي كثير من السور المكية "يا أيها الذين آمنوا" ، ونقل عن القاضي (٢) أنه يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم وباسمهم ، وجنسهم ، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة ، كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها" (٣).

والمهم أنه اذا ثبت السماع بمكية السورة ومدنيتها عن طريق التواتر فلاجال للخلاف في ذلك ، ويكون الاجتهاد لتعزيه وتأييده بما يراه المجتهد من علامات موضوعية أو أسلوبية أو غير ذلك ، واذا لم يثبت السماع أو اكتنفه ريب في السند أو اختلاف في مصادر الرواية مع عدم امكان الجمع فان الاجتهاد والقياس يفتتح أمامه باب قد يصيب فيه الحقيقة وقد يزل . واذا كانت القوة واللين والشدة والرحمة مما يميز به أحيانا بين المكي والمدني فليس ذلك بلازم دائما ، ففي سورة الأنفال المدنية على سبيل المثال شدة في الخطاب في بعض آياتها وتهديد ووعد وقرع وزلزلة ، وكذا سورة التوبة المدنية حتى ذكر من أسمائها : المبعثرة والمشردة والمخزية والمقشقة والبحوث والفاضحة والمثيرة والمنكلة والمدممة وسورة العذاب ، وانما كان ذلك لما اشتملت عليه موضوعاتها ومقاماتها مما جاء واضحا في نظمها وأسلوبها (٤).

وكذلك الحال في السور المكية فاننا نشعر أحيانا بلين الخطاب مع الكافرين عطفًا للأسماع وترقيقًا للقلوب .

(١) سورة البقرة : الآيات ٢١، ١٦٨

(٢) لم أقف على المقصود به ، أهو القاضي الباقلاني أم القاضي أبو بكر ابن العربي ؟

(٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٤٨، ٤٩ .

(٤) الاتقان للسيوطي ١/١٥٦ .

وبالبحوث بفتح الباء ، ولعلها بمعنى الكاشفة عما في السرائر . الباحث .

فالفيصل اذن انما هو المقاصد والمقامات التى ترجح اختيار أسلوب على أسلوب ونبرة على نبرة ، فما يصلح لمقام لا يكون فى كل مقام ، وتلك قضية من الواضوح بمكان .

هذا وفيما يخص سورة "هود" التى نحن بصددتها لتحليلها واستخراج أسرارها ، فقد مضى جمهور المفسرين على أنها مكية اعتمادا على ما روى عن ابن عباس ، وابن الزبير ، وقتادة الا آية واحدة وهى {وأقم الصلاة طرفى النهار} الى قوله : {لذاكرين} وأنها نزلت بعد سورة يونس ، وقبل سورة يوسف^(١) ، واستثنى السيوطى منها^(٢) ثلاث آيات وهى قوله {فلعلك تارك} ، {أفمن كان على بينة من ربه} ، {وأقم الصلاة طرفى النهار} ، والأصح أنها مكية كلها وهو ما اتفق عليه الجمهور .

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣١١/١٢ .

(٢) الاتقان فى علوم القرآن ص ١٥٨ .

سر تسمية السورة

تعودنا من العلماء المدققين من سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - عنايتهم التامة بكل مايتعلق بالقرآن الكريم ، فقد وجدناهم يتعمقون في معرفة سر اطلاق السورة على كل مجموعة من آى القرآن الكريم لها فاتحة وخاتمة ، لتوضيح اشتقاقها ومعناها والعلاقة بين معناها وماأخذت منه . يقول الزركشى - رحمه الله - أن السورة تهمز ولاتهمز ، فمن همزها جعلها من أسأرت ، أى : أفضلت ، من السور ، وهو مابقى من الشراب فى الاناء ، كأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها فى المعنى المتقدم وسهل همزتها^(١) ، أى أنها تسمية قائمة على تشبيه القطعة من آى القرآن والتي لها فاتحة وخاتمة بالسور فى معناه المتقدم ، ومن المعلوم أن هذه التسمية تقوم على افراد السورة عن سائر القرآن فتعينها بالاضافة كسورة البقرة مثلا ومتميزة عن سائر السور .

وهذا التخريج لايعكره غير الايحاء الذى قد يومىء به معنى السور من معانى الاطراح والاستغناء عنه بغيره ، وان كان ذلك ليس بمعنى فى علاقة المشابهة .

على أن عدم الهمز لايتوقف معناه التشبيهى على ماسبق ، فقد ذهب بعض العلماء الى أن الواو أصلية ، وأن معنى سورة يقوم على التشبيه بسور البناء أو سور المدينة بمعنى يجمع بينهما ، وهذا الجامع اما أن يكون : القطعة كما أن سورة البناء وسورة المدينة بمعنى القطعة ، واما أن يكون الاحاطة والاجتماع لاحاطة السورة بآياتها واجتماعها كاحاطة واجتماع البيوت بالسور ، واما أن يكون الترتيب والتركيب ، لأن الآيات مرتبة فى كل سورة ترتيبا مناسبا، يمهّد أولها لتاليها ، ويتعلق تاليها بأولها تعلقا معنويا^(٢)

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/٢٦٣ .

(٢) انظر دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ٨ .

وهكذا الى آخر السورة بحيث تتنامى المعانى ويبنى بعضها بعضا كما هو الحال فى السور المبني^(١).

ومن دقائق اللغة العربية أنها فرقت بين جمع السورة من القرآن والسورة من البناء ، فجعلت جمع سورة القرآن سورا "بفتح الواو" وجمع سورة البناء سور بسكونها ، وفى تسوير السورة تحقيق لكونها معجزة يتحدى بها الانس والجن الى يوم القيامة سواء طالت أو توسطت أو قصرت^(٢). وقد اختصت سورة هود بهذا الاسم لما قاله المدققون فى تسمية السور ، حيث ذكروا أنه من تمام التوثيق والتدقيق فى كل مايتعلق بهذا القرآن العظيم أن يبحث فى كل شىء له ارتباط به عن سببه وعلته قدر الطاقة ، وهذا من تمام استخدام العقل فيما يطيقه ولذلك ينبغى أن ينظر فى وجه اختصاص كل سورة فى القرآن الكريم بما سميت به .

ولعل حافزهم لذلك هو ما وجدوه عند العرب من أسرار التسمية ، حيث لاحظوا أنهم يراعون فى كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو من مستغرب فى المسمى من خلق أو صفة تخصه أو المشتهر بها الى غير ذلك من الأسباب ، ولذلك نراهم يسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم على أن الشهرة متعددة الأسباب وانها ليست الحاكم الوحيد فى تسمية السور ، فقد يتردد المعنى أو الخبر الذى سميت به السورة فى سورة أخرى لها اسم آخر ، فيكون التفصيل الوارد فيها هو المرجح لتسميتها باسمها ، وقد يكون تكرار الشىء فى السورة هو المعول عليه فى التسمية ، وان ورد فى سورة أخرى^(٣). وقد يكون غير ذلك .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٦٤/١ .

وانظر خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها ص ٥٣ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٢٦٤/١ .

(٣) انظر المصدر السابق ٢٧٠/١ ، وانظر أيضا الاتقان ١٥٠/١ .

وتسمية السور انما كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم بحسب ماأخذه من أمين الوحي . يقول السيوطي : "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار" (١).

وفيما يتعلق بموضوع بحثنا سورة هود ، فهي من السور التي لم يذكر لها الا اسم واحد وهو الاسم الذي عرفت به ، وهو الغالب على سور القرآن الكريم ، وقد يكون للسورة اسمان أو أكثر كما نقله الزركشي والسيوطي مسندا الى الصحابة والتابعين .

وقد سميت بهذا الاسم - والله أعلم - لتكرر اسم هود فيها خمس مرات ، اذ لم يتكرر في غيرها من السور التي ذكر فيها هود عليه السلام ، في حين أن بقية القصص قد تكرر في غيرها في السور كالأعراف والشعراء ، ثم ان ماحكى عن هود في هذه السورة أطول مما حكى عنه في غيرها من السور ، ولأن عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود في قوله تعالى : {أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} فسميت هذه السورة باسمه تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة الى الله وقد أسهبت الآيات الخاصة بقوم عاد أكثر من غيرها ، فسميت هذه السورة باسم رسولهم ، لعتوهم وتجبرهم وطغيانهم (٢).

وثمة ملحظ آخر وهو أن هودا عليه السلام أعلن على مسمع الدنيا وحدانية الله وبراءته من شركهم وأصنامهم ، بل يتحداهم أن يكيدوه ولا يتمهلوا في ايدائه لأن نور الله أشرق في قلبه فما أصبح يهمه أحد منهم تلحظ هذا المعنى في قوله لقومه : {إِنَّ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ : إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَقِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٣).

(١) الاتقان للسيوطي ١/١٥٠ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ١/٢٧١ ، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

٣١١/١١ ، قيس من نور القرآن الكريم للصابوني ٥/٧ .

(٣) سورة هود : الآيات ٥٤-٥٦

قال العلامة أبو السعود : "وهذا من أعظم المعجزات ، فانه عليه السلام كان رجلا مفردا ، بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد ، وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم بانتقاص آلهتهم ، وحثهم على التصدى له ، فلم يقدرُوا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا" (١) .
فحق أن تسمى السورة باسم هذا الرسول الكريم .

(١) انظر ارشاد العقل السليم لمزايا القرآن الحكيم ٥٩/٣ .

أغراض السورة ومقاصدها :

اشتملت سورة هود عليه السلام على معان ومقاصد عامة يندرج تحتها معان جزئية تدخل في صميم نسيج هذه المعانى والمقاصد العامة ، وتتكون منها لبناتها ، ويتوثق بها ارتباطها .

أما المعانى والمقاصد العامة فهى تدور حول القضايا التى تقوم عليها ركائز هذا الدين كقضية العقيدة ، وقضية الرسالة والرسول ، وقضية الحشر وقصص الأنبياء عليهم السلام الذين أوردت السورة شيئا كثيرا منه ، وذلك تثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم وابعادا للحزن عن قلبه بسبب ما كان يتعرض له من قومه {فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك} وشدا لعزائم المؤمنين ، وانذارا للمشركين ، وتأكيذا لسنة الله فى خلقه .

وهذه القضايا من سمات القرآن المكى نظرا لمقتضيات الأحوال والظروف والملابسات فى العهد المكى لرسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم . فقد ابتدأت السورة الكريمة بتعظيم شأن القرآن ، وعلو شأنه ورفعة قدره ، فهو الكتاب المعجز ، الذى أحكمت آياته بحيث "لا يتطرق اليه خلل ولا تناقض ، لأنه تنزيل الحكيم العليم ، الذى لا تخفى عليه خافية من مصالح العباد فهو يشرع لهم مافيه خيرهم وصلاحهم ، دنيا وآخرة جسما (١) تقتضيه حكمة المولى سبحانه وتعالى {الر . كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدين حكيم خبير} (٢) .

وبعد ذلك تحدثت السورة عن مرجع الناس وأنهم راجعون اليه سبحانه وتعالى وسيجازيهم بأعمالهم ، ثم عن تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته عما يقوله المشركون وما يقترحونه من آيات مناسبة لهواهم {أن يقولوا لولا أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك} .

(١) قبس من نور القرآن الكريم ، دراسة تحليلية بأهداف ومقاصد السور الكريمة ص ٨

(٢) سورة هود : آية ١-٢

ثم تحدثت السورة بالحجج العقلية عن عناصر الدعوة الاسلامية مع الموازنة بين الفريقين ، فريق أهل الهدى وفريق أهل الزيغ والبهتان ، وضربت مثلاً للفريقين بينت به الفارق الكبير بين أهل الجنة وأهل النار ، والمهتدين والضالين فقال تعالى : {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ، وَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (١).

وبعد ذلك تناول السورة الكريمة قصص الأنبياء - عليهم السلام - والمرسلين بايجاز في بعضها واسهاب في الأخرى تبعاً لمقتضيات الأحوال ، وقد جاء ذكر هذه القصص على الترتيب الزمني لوجودهم ، وفي كل قصة منها الكثير من الآيات والعلامات والمواعظ والاعتبارات ، مما يفتح له قلوب أهل الرشاد والسداد فيثبت به إيمانهم ، ويقوى عليه يقينهم فيتحملون مايتحملون صابرين واثقين من وعد الله لهم ، وتنغلق دونه قلوب أهل الضلال والعناد ممن لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .

ثم جاء التعقيب المباشر بذكر الغاية من سرد هذه القصص من أخبار الأمم السابقة للنبي صلى الله عليه وسلم {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ . وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٌ . وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ .. وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (٢) الى نهاية السورة الكريمة .

وبعد هذا العرض الموجز لأغراض السورة ومقاصدها ، يحسن بنا أن نبرز وجه ارتباط السورة بما قبلها ، لأنه يبرز وجهها دقيقاً من وجوه الاعجاز في القرآن الكريم .

(١) المرجع السابق ص ٩ ، والآية : ٢٤ .

(٢) سورة هود : الآيات ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٢٠.

مناسبة السورة لما قبلها :

المحققون من أعلام الدراسات القرآنية قد اهتموا بالنظر في أحوال وأسرار لا تتناهى ، تتعلق بالكتاب المبين فقد عنى بعضهم عناية خاصة بعلم شريف القدر جليل النفع هو علم المناسبة بين الآيات والسور .

أما معرفة وجوه التناسب بين الآيات ، فقد اهتم به كثير من أعلام المفسرين في كتبهم مثل الزمخشري في كشافه ، والفخر الرازى في التفسير الكبير ، وأبى السعود في ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، والبقاعى في كتاب نظم الدرر في تناسب الآى والسور ، والسيوطى في بعض كتبه التى تحوم حول علوم القرآن ، وغيرهم ممن كتب فى هذا المجال .

وقد جعل السيوطى وجوه الترابط بين الآيات والجمل التى تدخل فى نسيجها اجمالاً الى معنى عام ، أو خاص : عقلى أو حسى أو خيالى ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحو ذلك ، وعد فائدة التعرف على المناسبات فى ذلك بأنها تبين للمتذوق كيفية ورود الجمل والآيات فى الذكر الحكيم متلاحمة آخذا بعضها بحجز بعض ، فيكون حال التركيب والتأليف كحال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ، ثم تحدث عن وجوه الارتباط المعنوى واللفظى وما يندرج تحتها من صور وأحكام (١).

وموضوع علم المناسبة فيما يتصل بالآيات يشمل البحث عن أسرار التناسب بين مطلع السورة والمقصد الذى سيق له ، ومعرفة الترابط بين أجزائها وآياتها ، ومعرفة الصلات بين فواصل الآيات وماورد فيها ، ومعرفة ارتباط غرض ورد فى مجموعة من الآيات لهدف آخر ورد فى مجموعة متقدمة ومعرفة جهات التناسب بين الآيات المتشابهات التى سيق فى غرض واحد

(١) انظر : الاتقان للسيوطى ٣/٣٢٣ ، البرهان للزركشى ١/٣٥ وما بعدها .

وحدث فيها اختلاف بالزيادة أو النقصان ، أو التقديم والتأخير ، أو ابدال كلمة بكلمة أخرى وغير ذلك من وجوه التناسب^(١).

وعلم المناسبة - كما نرى - علم جليل يكشف عن أهم ملامح اعجاز القرآن العظيم ، كما أنه من ناحية أخرى يعد من أدق العلوم التي تحتاج جهدا صادقا وعلميا واسعا ونظرا ثاقبا وذوقا مصفى وتوفيقا الهيا ، وقد أورد فيه الزركشى عن القاضي أبى بكر ابن العربى قوله فى كتاب "سراج المريدين" : "ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم ، لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه"^(٢).

ونقل السيوطى عن الامام الرازى فى سورة البقرة : "ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا انه معجز بأسلوبه أرادوا ذلك ، الا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتهين لهذه الأسرار"^(٣).
وأما علم المناسبة بين السور فمن المعروف أن ترتيب السور له مظهران أولهما الترتيب النزولى ، وثانيهما : الترتيب المصحفى ، وفى معرفة التناسب فيهما علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته كما يقول السيوطى^(٤) ، وكما هو معروف أيضا أن الترتيب على هذين الوجهين انما يقوم على التوقيف

(١) راجع مقدمة كتاب تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى ص ٤٥ .

وانظر الاتقان ص ٣٢٤ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٣٦/١ .

(٣) الاتقان ٣/٣٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وانظر دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ١٥،١٤ .

"فالمصحف على وفق مافى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة الى بيت العزة" (١).

ومع صعوبته فقد اجتهد عدد قليل من علماء الأمة المحققين فى البحث عن أسرار الترتيب فى كلا المظهرين ، وكان البحث عن أسرار الترتيب النزولى نادرا ، يقول محقق كتاب "تناسق الدرر فى تناسب السور" للسيوطى "وأما أسرار ترتيب النزول فلانعلم أحدا تعرض له فى كتاب لافى القديم ولا فى الحديث الا قليلا فى كتب الأصول" (٢).

ولعل السر فى ذلك هو صعوبة المسلك فى هذا الجانب ، لأن ذلك يقتضى احاطة تامة بترتيب نزول القرآن الكريم كله ، منازل مفرقا ومنازل مجموعا فى مدة الرسالة ، ومعرفة الأزمنة والأمكنة وأصحاب الخطاب ، ثم بيان وجوه ارتباط كل جزء نزل بما سبقه وماوليه .

وكل ماجزى فى هذا الباب حديثا انما هو اشارات جزئية لبعض المناسبات فيها من التنبيه على أهمية وشرف هذا العلم أكثر مما فيها بجوانبه كلها ، فللعامة محمد عبد الله دراز - رحمه الله - نظرة موجزة أودعها كتابه "النبأ العظيم . نظرات جديدة فى القرآن" (٣)، وتابعه الأستاذ عبد المتعال الصعیدى فى كتابه النظم الفنى فى القرآن ، وتابعهم أيضا بشيء من التفصيل والتمثيل الأستاذ أحمد عطا فى مقدمته لكتاب السيوطى ، يظهر أن الآية أو الآيات التى نزلت فى مناسبة ما ، ووضعت فى مكانها فى سورة ما ترتبط ارتباطا وثيقا بما قبلها ومابعدها على قرب أو بعد عهدها بالنزول بالنسبة لما تقدمها وماتأخر عنها ، ثم لما نزلت آية أو آيات أخرى فى مناسبة أخرى ووضعت فى البين بين أخواتها السابقات من السورة نفسها بقى الارتباط والتناسب على أتم وأوضح مايكون ، بل ان وثاقة الارتباط ما بين

(١) الاتقان ٣/٣٢٣ ، المرجع السابق ص ١٦ .

(٢) مقدمة تحقيق كتاب السيوطى تناسق الدرر فى تناسب السور ص ٢١ .

(٣) النبأ العظيم ، د. عبد الله محمد دراز ص ١٤٩ ومابعدها .

اللاحق والسابق لتشمل ماهو أعم من ذلك ، كما اذا اختلفت السور بين المكي والمدني وتباعدت أزمنة النزول (١).

وأما أسرار الترتيب المصحفي فقد تكلم فيها قديما قلة من العلماء أخذ عنهم بعض المفسرين المهتمين بهذا الجانب من أسرار الذكر الحكيم ، فمن الكتب المعروفة في ذلك كتاب "البرهان في تناسب سور القرآن" للعلامة أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الأندلسي المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، وهو شيخ أبي حيان النحوى ، وكتاب "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" للعلامة برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ ، وكتاب "تناسق الدرر في تناسب السور" ، وكتاب "أسرار التنزيل" ، وكتاب "مراصد المطالع في المقاطع والمطالع" للامام السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ .

ومهما يكن فان هذا العلم قد "ساعد على ابراز مافى القرآن من لحمة متينة ، فان بعضه آخذ بأعناق بعض من تأليف محكم ، حاله حال البناء المتين المتلائم الأجزاء ، وكالكلمة الواحدة متسق المعانى منتظم المباني ، ومن محاسن الكلام عند الأئمة أن يرتبط بعضه ببعض" (٢)، وهذا وجه آخر للاعجاز يعضد الوجه الأول ويؤازره .

هذا وفيما يختص بسورة هود عليه السلام فاننا نبحث عن وجوه التناسب والارتباط لها من ناحيتين : من ناحية الترتيب النزولى ، حيث نزلت بعد سورة يونس المكية كما روى ، ثم من ناحية الترتيب المصحفي حيث وردت فى المصحف بعد السورة نفسها أيضا .

فمن الجانب الأول نجد أن سورة يونس قد اشتملت على مجموعة من المقاصد والأغراض كالحديث عن الكتاب الحكيم ، ثم الحديث عن الرسول والرسالة وتعجب المشركين عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كشفت

(١) مقدمة المحقق لكتاب السيوطى ص ٣-٢٩ .

وانظر دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ١٦ .

(٢) البرهان فى تناسب سور القرآن ، لابن الزبير الغرناطى ص ٦٧ .

الستار عن بيان حقيقة الربوبية والألوهية ، والعبودية وأنها أساس الصلة بين الخالق والمخلوق ، ثم تناولت موقف المشركين المعاندين من الرسالة والقرآن ، ونبهت على أن القرآن هو المعجزة الخالدة حيث تحداهم أن يأتوا بمثله { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ } وذكر طرف من قصص الأنبياء كقصّة نوح عليه السلام وقصة موسى مع فرعون ، وقصة يونس عليه السلام مع قومه ، ثم تنتهى السورة بالحديث بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستمسك بشريعته والصبر على مايلقى من الأذى فى سبيل تبليغ دعوته .

فاذا نظرنا الى وجوه التناسب بين السورتين من ناحية المقاصد نلاحظ وجوها كثيرة من الارتباط كالكلام عن القرآن الكريم ، وماجرى من جدال فى قضيتى التوحيد والرسالة ، وموقف كل منهما من المشركين المعاندين ، ثم ذكر طرف من قصص الأنبياء كموسى ونوح عليهما السلام .

واذا نظرنا الى سورة يونس نجدها ختمت بالحث على اتباع الكتاب والصبر^(١) على الأذى لأن ذلك يؤدى الى مفاوز الخير ، ابتدئت هذه السورة بوصفه مما يزيد فيه ترغيبا فقال : { كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } ، "ثم أتبع هذا الايماء الى ثلاثة فصول عليها مدار آى الكتاب وهى : فصل الألوهية ، وفصل الرسالة ، وفصل التكليف . أما الأول فأشار اليه قول الحق { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ } ، وأما فصل الرسالة فأشار اليه قوله سبحانه : { إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } ، وأما فصل التكليف فأشار اليه قوله سبحانه : { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } ، وهذه الفصول الثلاثة هى التى يدور عليها آى القرآن وعليها مدار سوره الكريمة^(٢) .

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ٢٢٤/١١ .

(٢) البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطى ص ١١٠ .

أ ل ر :

ابتدئت سورة هود - عليه السلام - بالحروف المقطعة ، وتعد في هذا واحدة من تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم .

ولقد شغل علماء هذه الأمة بهذه القضية ، حتى ان الخطيب الاسكافي رحمه الله قال في مطلع كتابه انه أفرد لها كتابا أجاب فيه عن أسئلة مائة ، اجابة مخرصة من الآفات تخليص التمرة من نواتها^(١).

وللعلماء في هذه المسألة قولان مشهوران :

القول الأول : يرى أن هذه الحروف من التشابه المعنوي^(٢) الذي انفرد

الله بعلمه ، وقد روى هذا عن عدد من الصحابة والسلف رضى الله عنهم أجمعين ، وصححه أبو عبد الله القرطبي^(٣).

القول الثانى : وهو الذى انتهجه معظم المفسرين من جواز البحث فى دلالة هذه الحروف ، وتلمس الفوائد المخبوءة تحتها ، واستنباط المعانى المكنونة فيها وان اختلفوا بعد ذلك فى استنباطها .

فهى عند بعضهم حروف دالة على أسماء أخذت منها ، وحذفت بقيتها كقول ابن عباس : الألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم .

وعند آخرين : أنها اسم الله الأعظم ، الا أننا لانعرف تأليفه منها .
وعند جماعة : أنها اسم من أسماء القرآن ، أو أنها أسماء السور .

(١) درة التزليل وغرة التأويل ، الخطيب الاسكافي ص ٩ .

(٢) التشابه فى القرآن نوعان : لفظ ، ولايتحقق هذا النوع الا بمراعاة كلامين بينهما اختلاف وائتلاف مثل فانفجرت منه ، وفانجست .

ومعنوى : وهو يتحقق بوروده ولو مرة واحدة فى القرآن مثل : يد الله ، الم .. وهكذا .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٥ ، الكشف للزحشرى ١/٩٥ وما بعدها ، وانظر معانى القرآن ١/١٨-٢٠ .

وأرجح هذه التأويلات : تأويل من عدّها إشارة الى حروف الهجاء ،
أخبر الله بها العرب حين تحدّاهم بالقرآن الكريم ، بأنه مؤتلف من الحروف
التي منها بناء كلامهم ، ليكون عجزهم أبلغ في الحجة عليهم اذ لم يخرج عن
كلامهم . ويعزى هذا القول الى قطرب والفراء .

ودلالة التحدى تكمن هنا من حيث أن محمدا صلى الله عليه وسلم
أمى والأمى يعرف التلفظ بالحروف فقط ، وهذا يعنى أن معرفة أسماء
الحروف مقصورة على القراء والكتاب ، فحينما يتكلم المصطفى صلى الله عليه
وسلم بهذه الحروف دون وجود أى ممارسة منه للكتابة والقراءة والدراسة
فهو دليل واضح أن ذلك من عند الله سبحانه وتعالى (١).

بيد أن المتأمل في سور المصحف يدرك أن ورود الحروف المقطعة في
أوائل السور قد جاء معظمه في العهد المكي حيث ورد في ست وعشرين
سورة مكية ، بينما لم يرد منه في العهد المدني سوى ثلاث سور .

ثم ان السور التي بدئت بالحروف المقطعة فيها حديث مباشر عن
القرآن واعجازه ، ماعدا سور مريم ، والعنكبوت ، والروم ، والقلم الا أنها
اشتملت على حديث عن القرآن والانتصار له .

وأخيرا أقول ، لقد أورد بعض أهل العلم ما جاء في هذه الافتتاحات في
عقد المبادئ الحسنة حيث قال : "واذ كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا
كان داعية للاستماع لما يجيء بعده من الكلام ، ولهذا المعنى يقول الله عز
وجل : الم ، حم ، طس ، كهيعص ، فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم
بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى الاستماع لما بعده" (٢).

ومن الملاحظ أيضا أن معظم السور المفتحة بالأحرف المقطعة جاء
ترتيبها في المصحف ترتيبا متواليا ، وقد وافق هذا الترتيب المصحفى

(١) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازى ١٣/٢ ، البرهان في علوم القرآن للزركشى

. ١٦٤/١

(٢) الصناعتين ص ٤٥٦ .

الترتيب النزولي في معظمها. فمثلا نجد السور التي افتتحت بـ"الر" يونس
 نزلت قبل هود تليها هود ، وهى بعدها في النزول وبعدها سورة يوسف
 ترتيبا ونزولا وتليها الرعد و ابراهيم ترتيبا ثم الحجر ترتيبا ونزولا ، وكذلك
 مجموعة "الحواميم" حيث وردت مرتبة في المصحف والنزول ، فهل هذا
 الترتيب جاء مصادفة أم أنه داخل في قضية الاعجاز؟^(١)

(١) انظر الاتقان للسيوطي ٧٢/١-٧٣ .

القسم الأول

خطائص التراكييب ففء السورة

- ويشمل الآتى :
- المبحث الأول : أسلوب الخبر
- المبحث الثانى : المجاز العقلى
- المبحث الثالث : التعريف
- المبحث الرابع : التنكير
- المبحث الخامس : التقديم
- المبحث السادس : وضع الظاهر موضع المضمهر
- المبحث السابع : التقييد بالشرط
- المبحث الثامن : الالتفات
- المبحث التاسع : الايجاز
- المبحث العاشر : الاطناب
- المبحث الحادى عشر : القصر
- المبحث الثانى عشر : أساليب الانشاء
- المبحث الثالث عشر : الفصل والوصل

المبحث الأول

أسلوب الخبر

يعد الخبر في سورة هود - عليه السلام - الأداة الرئيسية في قصص الأنبياء عليهم السلام ، وفي تهيدها وتعقيباتها ، ولو تتبعنا كل الصور الخبرية فيها لطلال بنا الوقوف ، ولكننا سنكتفى بعرض نماذج معينة لأخبار استخدمت في حقائقها وأخرى خرجت عن تلك الحقائق واستعملت في معان ثانية لأسرار بلاغية سوف تتضح عند تناولنا لها .

الأخبار التي استخدمت في حقائقها :

ان مجيء الخبر في هذه السورة دالا على حقيقته في معظم مواقعه في الحوار الذى يتردد بين الطرفين لبيان موقف كل منهما من الآخر ، ويكثر مجيئها في موقف الطرف المعارض للدعوة .

فمن ذلك قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام : {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (١).

ومنه قوله تعالى على لسان ابن نوح {قَالَ سَأَوْى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (٢).

وقول نوح لابنه مراد منه التنبيه على الخطأ الواقع فيه الابن .

(١) سورة هود : آية ٢٧

(٢) سورة هود : آية ٤٣

الخبر فى السورة بين الفائدة ولازمها والخروج عن ذلك :

أشار البلاغيون الى أن مقصد الخبر : هو اعلام المخاطب بفائدة الخبر أو لازم الفائدة ، وقد بينوا أن مقاصد الخبر لاتقف عند هذين النوعين ، بل انها لتتعدد تبعا لمجالات المعانى المبثوثة مما يند عن الحصر والاستقصاء^(١). وقد خرجت بعض الأخبار فى السورة عن اطار الفائدة ولازمها فجاءت للنصح والارشاد كما فى قوله تعالى : {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}^(٢). فقد جاءت الجملة المؤكدة بان ، واسمية الجملة "الضمير" الموحية بأن نصحه لهم ثابت مستمر مع الجملة الفعلية ، "أخاف" الموحية باشفاقه المتجدد المستمر عليهم وتقديم الجار والمجرور ، "عليكم" مما يدل على مدى حرصه عليه السلام على دخولهم فى دعوته .

ومما ورد الخبر فيه للنصح والارشاد قوله تعالى : {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}^(٣) فقد جمعت الآية بين التهديد فى قوله "ولا ينفعكم نصحي" وبين نصحهم وارشادهم فى قوله "ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم" ، ولعل فى هذا التهديد وما صاحبه من نصح وارشاد ما يدل على مدى حرصه على قومه .

(١) انظر المطول ص ٤٣ .

(٢) سورة هود : آية ٣

(٣) سورة هود : آية ٣٤

الخبر "التعليل" :

وحين طلب من نوح عليه السلام أن يطرد الفئة المؤمنة أبى نوح ذلك بأسلوب قصوى {وماأنا بطارد الذين آمنوا أنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون} (١)، ففى قوله "وماأنا بطارد" نفى قوى لما يطلبونه منه مع ايجائه القوى بالتمسك بهذه الفئة المؤمنة ، وجاءت جملة "أنهم ملاقوا ربهم" تعليلا لما سبق موشحة بالتوكيد بان واسمية الجملة حسما للموقف وقطعا لأملهم . وفى ايثار الجملة الاسمية دليل على عزم نوح الثابت من اتباعه فى الدعوة مهما كان وزنهم فى المجتمع .

وجاء التعليل أيضا فى قول نوح عليه السلام {ولاينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون} (٢) فقد جاءت جملة "هو ربكم" تعليلا لما سبق بهذا التعبير الذى يلقى فى القلوب جلالا وهيبة .

وقد جاء التعليل فى قوله تعالى : {فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط} (٣) تعليلا مؤكدا لما يختلج فى نفس ابراهيم عليه السلام ، وتحقيقا لانكشاف الحقيقة عنده . وقد يجىء الخبر تعليلا انكاريا وذلك حينما يكون الأمر فوق العادة المتعارف عليها كقوله تعالى حكاية عن امرأة ابراهيم عليه السلام {قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب} (٤)، فجاءت ان هذا لشئ عجيب تثبيتا للمعنى الذى أنكرته "وأنا عجوز" ، "وهذا بعلى شيخا" مع مافيه من التوكيد بان واسمية الجملة ولام التوكيد .

(١) سورة هود : آية ٢٩

(٢) سورة هود : آية ٣٥

(٣) سورة هود : آية ٧٠

(٤) سورة هود : آية ٧٢

وجاء التذييل فى قوله تعالى : {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير} (١) تعليلا مؤكدا بـ"ان" وضمير الشأن وتقديم الجار والمجرور بما للتحذير من الطغيان بأنه مطلع على كل عمل يعمله المسلمون .

ومن مجيئه للتعليل قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام {والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير} (٢). فقد جاءت جملة "انى أراكم بخير" تعليلا لما سبق أى أنكم فى نعمة من الله ولستم فى حاجة الى التطفيف والبخس فى الكيل والوزن . وفى قوله "أراكم" يحمل مايشير المدح لهم وأنه يمثل رأيه فيهم ، لكى يستميل قلوبهم . أى أن الله قد وسع عليهم فى الرزق بما يغنيهم عن الحرام من الكسوبات المشار اليها فى قوله "ولا تنقصوا المكيال والميزان" .

وقد خرج الخبر متضمنا مع الفائدة ولازمها معانى ثانية فى قوله تعالى مخاطبا نبيه نوح عليه السلام {قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم} (٣) فالخبر الأول : قيل : تضمن الامتنان والبشرى . والثانى : وأمم : التهديد والانذار .

وقد جاء كذلك على لسان صالح عليه السلام قوله تعالى : {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب} (٤) فقد جاء الخبر فيها اظهارا للتمنن وبيان فضل الله عليهم واستمالة لمشاعر قومه ، وقد جاء مؤكدا بان واسمية الجملة وايحاء الاضافة فيها مشعر بقوة استرقاق مشاعر قومه ثم جاء الوصف بـ"قريب" ، مجيب "زيادة فى اظهار التمنن وبيان فضله عليهم وحثهم على الاقبال عليه .

(١) سورة هود : آية ٧٢

(٢) سورة هود : آية ١١٢

(٣) سورة هود : آية ٤٨

(٤) سورة هود : آية ٦١

وقوله تعالى : {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (١)
حيث جاء الخبر فيه للتمنن مع بيان فضل الله عليهم واسترقاقا لمشاعر من
يخاطبهم .

كما جاء الخبر على لسان قوم هود عليه السلام اظهارا للعناد في قوله
تعالى : {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ} (٢)

ويجىء الخبر دلالة على التضرع والانابة ثقة في الله وركونا الى حماه
المصون كما في قوله تعالى : {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا
الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (٣) فقد جاء
مفيدا للاذعان والانابة لأمره جل وعلا .

وقد خرج الخبر عن الفائدة ولازمها اظهارا للتشيت والتسلية مثل قوله
تعالى : {وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (٤)

كما خرج الخبر من الفائدة ولازمها فجاء تصويرا لحال القوم بعد
اصابتهم الهلاك مثل قوله تعالى : {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعِثْتُ
ثَمُودَ} (٥). فالتشبيه تقرير لوصف معلوم هو الجثوم في الدار .

وشبيه بما سبق قوله تعالى : {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ
أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ} (٦). فان فيه وعيدا وزجرا ودعاء عليهم بالهلاك .

وقد ورد الخبر لبيان ماكان عليه ابن نوح عليه السلام ساعة النداء
كما في قوله تعالى : {وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ
مَعَ الْكَافِرِينَ} (٧).

(١) سورة هود : آية ٩١

(٢) سورة هود : آية ٥٣

(٣) سورة هود : آية ٨٨

(٤) سورة هود : آية ١٢٠

(٥) سورة هود : آية ٩٥

(٦) سورة هود : آية ٦٨

(٧) سورة هود : آية ٤٥

فقوله وكان في معزل مبينا حال ابن نوح حين ناداه أبوه ، فاستعمل
الخبر في الاعلام بأصل الفائدة استعمالاً حقيقياً .

وقد جاء تصحيحاً للخطأ الذي تصوره نوح من حال ابنه في قوله
تعالى : {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (١). فقوله ليس من أهلك رد للخطأ
في قول نوح : ان ابني من أهلي . وقوله : فلا تسألن زجر من الله لعبده
نوح أن يعود لمثل هذا .

وقد ورد الخبر للاستدراك في قوله تعالى : {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ
ءَامَنَ وَمَنْ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} (٢). ففي قوله "وما آمن معه الا قليل" خبر أريد به
الاستدراك ودفع مايتوهم ثبوته من أن المؤمنين مع نوح خلق كثير .

كما يجيء الخبر دلالة على الدعاء وتفويض الأمر لمراد الله سبحانه
وتعالى {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ
أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (٣). فقوله "ان ابني من أهلي" متضمن الدعاء بنجاته ، أما
الأخبار الآتي وان وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين فلم يستعمل لا في
فائدة الخبر ولا لازمها انما أريد بهما التوسل الى الله .

وتأمل مااحتشد في هذا الأسلوب من عناصر التوكيد ، باستعمال
النداء "رب" بما يشعر من قرب المنادى منه وما في مدلول الوصف "رب" من
التربية والانعام ، وقد أكدت الجملة بـ"ان" والجملة الاسمية مضافة الى
الضمير وتقديم الجار والمجرور اهتماماً بأمره .

ثم تأمل التوكيد الآخر "وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين"
توكيد بعد توكيد وقد أكد بـ"ان" والجملة الاسمية مضافة الى ضمير الجلالة
بما يضيفه من هبة وجلالة وهيمنة فهو الحق الذي لا يتخلف .

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) سورة هود : آية ٤٠

(٣) سورة هود : آية ٤٥

وقد خرج الخبر عن الفائدة ولازمها على لسان قوم شعيب - عليه السلام - استهزاء وسخرية مثل قوله تعالى حكاية عنهم : {قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء أنك لأنت الحليم الرشيد} (١). وقد جاء مؤكداً بـ"أن" والجملة الاسمية ولام الابتداء مبالغة في سخريتهم له ، فقد وصفوه بالرشد والحلم تهكماً واستهزاء .

كما يجيء الخبر للتذكير والتخويف ، تذكيرهم بالآخرة وتخويفهم من لقائه كقوله تعالى : {إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود} (٢).

وقد ورد الخبر للبشارة والندارة في تصنيف الناس يوم القيامة مثل قوله تعالى : {يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ} (٣).

فقد جاء التوكيد بـ"أما" التفصيلية وهي الى جانب افادتها التوكيد تفيد التفصيل المحدد الذي يستقصى أجزاء الموضوع .

كذلك خرج عن الفائدة ولازمها الى الوعيد والمصير السيء الذي لحق بفرعون في قوله تعالى : {يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورد} (٤).

كما خرجت بعض الأخبار في السورة عن اطار الفائدة ولازمها ، فجاءت للتقرير كما في قوله تعالى : {إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير} (٥)، أى مرجعكم اليه لا الى غيره .

(١) سورة هود : آية ٨٧

(٢) سورة هود : آية ١٠٣

(٣) سورة هود : آية ١٠٦-١٠٨

(٤) سورة هود : آية ٩٨

(٥) سورة هود : آية ٤

وقوله : {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} (١) للتقرير

والتوكيد .

كما جاء الخبر للتقرير مشوبا بالذم في قوله تعالى : {وَلَيْنُ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْنُوسٌ كَفُورٌ} (٢) . وقد جاء التوكيد بـ "ان" لقصد

تقرير الخبر .

وشبيه به قوله تعالى : {وَلَيْنُ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيُفُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} (٣) .

ومنه قوله : {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (٤) . وقد تضمن المدح مع التقرير .

وقد جاء الخبر في قوله : {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٥) . تقريراً مؤكداً بالقصر وتقديم الجار والمجرور تنبيهاً على الاهتمام بأمره . والمراد من الأول التحذير . وأما الثاني "والله على كل شيء وكيل" فالتقرير قطعاً .

كما ورد الخبر للتقرير والتعليل مؤكداً بأن واسمها وخبرها في قوله

تعالى : {فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (٦) .

وقد يأتي الخبر للتقرير مع البشارة والترغيب كما في قوله تعالى : {إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٧) .

(١) سورة هود : آية ٧

(٢) سورة هود : آية ٩

(٣) سورة هود : آية ١٠

(٤) سورة هود : آية ١١

(٥) سورة هود : آية ١٢

(٦) سورة هود : آية ١٧

(٧) سورة هود : آية ٢٣

وورد الخبر لتقرير ما نزل به الوحي في قوله تعالى : {ولقد أرسلنا نوحا الى قومه} (١).

وقوله : {ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون} (٢) حيث جاءت جملة "انهم مغرقون" مؤكدة بـ"ان" والجملة الاسمية ، حسما للموقف مع نوح عليه السلام وتعليلها للنهى عن التخاطب .
ومما ورد فيه الخبر للتقرير قوله تعالى : {قال انما يأتىكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين} (٣).

وقوله : {وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون} (٤).

أما {ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسكر منكم كما تسخرون} (٥). فالخبر الأول ذكر تهيدا لبناء سخرية قومه عليه .

وقوله : {تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين} (٦). جىء بالخبر فيها لاثبات المنة .
كما خرجت أخبار في السورة عن حقائقها واستخدمت في التهديد والوعيد وذلك في الآيات التالية :

{ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور} (٧). خبر استخدم في التهديد وقد جاء مؤكدا بـ"ان" واسمية الجملة زيادة في ابراز التهديد لهم .

(١) سورة هود : آية ٢٥

(٢) سورة هود : آية ٣٧

(٣) سورة هود : آية ٣٣

(٤) سورة هود : آية ٣٦

(٥) سورة هود : آية ٣٨

(٦) سورة هود : آية ٤٦

(٧) سورة هود : آية ٥

ومنه قوله تعالى : {ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدود ليقولن ما يحبسهم ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزءون} (١). ففى قوله ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم فيه تهديد ووعد لهم لادخال الخوف فى ضمائرهم .

ومما ورد كذلك قوله تعالى : {أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} (٢). فقد ورد الخبر فيها للتهديد والوعيد بعد التمهيد له بذكر العرض على الله .

وقوله تعالى : {أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون} (٣). تهديد ووعد لمن افترى على الله الكذب .

وتلحظ التهديد فى قوله {فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم} (٤).

وكما خرج الخبر عن الفائدة ولازمها مرادا به التهديد والوعيد فى قوله تعالى : {فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوى العزيز} (٥). ففيه تهديد شديد مؤكدا بان واسمية الجملة والقصر المفاد من ضمير الفصل وتعريف الطرفين ، فهو المهيمن الذى يلقي فى القلوب جلالات وهيبته بقوته وعزته .

وقد ورد التهديد على لسان الملائكة فى مخاطبة لوط عليه السلام قويا مزلزلا للقلوب مؤكدا بان واسمية الجملة وتهويله باسم الموصول المبهم فى قوله تعالى :

(١) سورة هود : آية ٨

(٢) سورة هود : آية ١٨

(٣) سورة هود : آية ٢١

(٤) سورة هود : آية ٣٩

(٥) سورة هود : آية ٦٦

{قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبَ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} (١).

ولعل هذا الحشد من التوكيد يصور ماكان عليه لوط عليه السلام من الخوف والفرع ، فجاءت هذه الأساليب المؤكدة لطمأنته ولتزرع الخوف في قلوب قومه بهذا التهديد المباشر .

ومن ذلك قوله تعالى : {وَالِئِنْ مَدَيْنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ} (٢). ففي قوله "وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط" تهديد لهم ان خالفوا أمره ، وقد جاء مؤكدا بـ"ان" واسمية الجملة . وفي قوله "أخاف" دليل على أن خوفه متجدد ومستمر لهم وأما قوله "عذاب يوم محيط" ففيه تهديد لهم حيث جعل العذاب عذابين ، العذاب نفسه ثم اليوم الذى يوجد فيه العذاب ووصفه بقوله محيط مبالغة في وصف العذاب .

وقد خرج الخبر عن الفائدة ولازمها وأريد به التهديد في قوله تعالى : {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (٣). وقد تضمن العظة والاعتبار .

وقوله : {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (٤).

وقوله : {وَاللَّهُ غَيَّبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٥).

(١) سورة هود : آية ٨١

(٢) سورة هود : آية ٨٤

(٣) سورة هود : آية ٩٥

(٤) سورة هود : آية ١٠٢

(٥) سورة هود : آية ١٢٣

المبحث الثاني

المجاز العقلي

تتضح قيمة الاسناد حين يعد ركنا من أركان العلاقات المتشابكة بين أجزاء الكلام التي بنى عليها الشيخ عبد القاهر نظرية النظم حيث يقول : "واعلم أنك اذا رجعت الى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لانظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك ، هذا مالا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس ، واذا كان كذلك ، فبنا أن ننظر الى التعليق فيها والبناء ، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبته ، مامعناه وما محصوله ؟ واذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعتمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ، أو تعتمد الى اسمين فتجعل أحدهما خيرا عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول ، أو تأكيدا له ، أو بدلا منه ، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا ، أو تتوخى في كلام هو لاثبات معنى ، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا ، فتدخل عليه الحروف الموضوعية لذلك ، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر ، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى ، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف ، وعلى هذا القياس" (١).

وقد تحدث العلماء قبل عبد القاهر عن أساليب تدخل تحت مصطلح المجاز العقلي ، ولكنهم لم يسموه باسمه بل اكتفوا بالإشارة والتنويه بشأنه (٢).

(١) دلائل الاعجاز ، تحقيق الشيخ محمود شاكر ص ٥٥ .

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ١٦٩/١ - ١٧٠ ، الكامل للمبرد ١١٨/١ .

ثم جاء الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - ففتق أكمامه ، وكشف غوامضه ، وذكر له أسماء متعددة وفصل الحديث فيه ، وأظهر مافيه من روعة ، بل جعله كترًا من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان ، والاتساع في طرق البيان^(١)، وجاراه على ذلك علماء هذا الفن .

يبد أن السكاكى أنكر هذا المجاز وارتأى نظم مسأله تحت مبحث الاستعارة بالكناية^(٢).

وقد تعقبه الخطيب وغيره ممن جاءوا بعد السكاكى فأنكروا عليه قوله وردوه عليه وأرجعوا مرة أخرى - هذا الفن - الى مباحث علم المعانى ، وان لم يعد الى المنهج الذى اختاره الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - عند تناوله لمسائل هذا النهج البديع^(٣).

وقد حفل القرآن الكريم بصور هذا الاسناد المجازى أو العقلى أو الحكمى ، ومما جاء منه فى سورة هود - عليه السلام - الصور الآتية :

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٩٥ .

(٢) مفتاح العلوم للسكاكى ص ١٨٩ .

(٣) الايضاح للخطيب القزوينى ص ١٠٨ .

وانظر من أسرار التركيب البلاغى ، د. عبد الفتاح حجاب ص ٧٠-٧١ .

علاقة المفعولية :

وتعد من أكثر شواهد المجاز الحكمي في السورة ، وأول مايلقانا منها

قوله تعالى :

{وَمَآءٍ دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا
كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ} (١)

ففى قوله "فى كتاب مبين" وصف المفعول بوصف الفاعل زيادة فى تقرير علم الله وأنه محيط بجميع أحوال ما فى الأرض من المخلوقات ، بل ان فيه لفتا وتنبيها الى أن علمه لم يقتصر على ما فى الأرض من مخلوقات ، وانما يشمل ما فى السموات والأرض ، وفى هذا مزيد اعتناء بقدرة علم الله جل وعلا ، فهو بين وجلى لمن تدبر وتأمل .

وشبيه بما تقدم قوله تعالى : {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} (٢) حيث وصف المفعول بوصف الفاعل "مبين" مبالغة فى انكار البعث وتكذيبه وانكارهم للبعث يعنى انكارهم للقرآن فهو الحاكم "بحصول البعث فاذا طعنوا فيه بكونه سحرا فقد طعنوا فيما حكم به القرآن من البعث لأن الطعن فى الأصل يستلزم الطعن فى الفرع" (٣) ، وفيه المبالغة مالا يخفى لما يحتويه من دلالة على وضوح مدلوله .

ومن مجيئه للمفعولية قوله تعالى : {أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ} (٤) فقد وصف المفعول بوصف الفاعل مبالغة فى مجيء العذاب ، وأنه آت لا شك فيه وفى اسناد اتيان العذاب لهم دون أن يقول "أتيناهاهم العذاب" من المبالغة مالا يخفى .

(١) سورة هود : آية ٦

(٢) سورة هود : آية ٧

(٣) حاشية زادة على البيضاوى ٣٥/٣ .

(٤) سورة هود : آية ٨

ومنه قوله تعالى : {ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته} (١) فقد أسند المس الى الضر ، مع أن فاعل المس الحقيقي هو الله وفي هذا التعبير دلالة على قلة صبرهم فهم بمجرد الاصابة الطفيفة جزع وكفر بالنعمة البعيدة المدى وفيه ايماء الى أن اصابة الضراء أخف من اصابة النعماء (٢) ، وفي ذلك مزيد اعتناء لأن لطف الله شامل لعباده في كل حال .

ومن ذلك قوله تعالى : {أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون} (٣) . فقد أسند الحبوط والبطلان الى عملهم مع أن الفاعل الحقيقي هو الله ، وانما رجع النظم القرآنى ذلك الاسناد المجازى على غيره لأن الغرض كما هو واضح تنبيه وتحذير للذين يريدون الحياة الدنيا فأعمالهم لا يتجاوزها ، وليتم تصوير شناعة فعلهم وأنه لاقيمة له ، وليؤدى نظم الكلام على هذه الطريقة دوره فى المبالغة التى يقتضيها المقام .

ومما جاء منه أيضا قوله تعالى : {فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم} (٤) .

ففى الآية مجاز حكمى وواضح أن العذاب والخزى فاعلهما الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى "وانما رجع النظم القرآنى المعجز ذلك الاسناد المجازى لأن الغرض منه هو تحذير قوم نوح عليه السلام من التماذى فى السخرية والاستهزاء بمن آمن معه .

وفيه تصوير بليغ لكيفية مجيء العذاب وماتوحى به كلمتا يخزيه ومقيم فهو لا يفارقه مبالغة فى حلول العذاب لهؤلاء القوم .

(١) سورة هود : آية ١٠

(٢) انظر تفسير ابن كمال باشا ٢٧٥/٢ .

(٣) سورة هود : آية ١٦

(٤) سورة هود : آية ٣٩

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (١) أى موقع فى الريبة ، وهى الحيرة وقلق النفس وعدم اطمئناتها بالشىء ، فقد أسند اسم الفاعل الى ضمير الشك ، والشك لا يريب بذاته وانما هو سبب فى الريبة والحيرة ، وفى ذلك اشارة الى قوة سببية الشك فى قلقهم وحيرتهم وترددهم والقرآن الكريم بهذا الاسناد يصور خداعهم لأنهم أرادوا أننا فكرنا فى الأمر طويلا ، ولكن حال بيننا وبين الاقتناع به شك قوى يسيطر علينا ويجعلنا فى حيرة فى أمرنا بمعنى أنهم يحاولون الايهام بانصافهم عندما رفضوا كما أوهم قوم شعيب عليه السلام بطريق آخر فى قولهم {وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} (٢).

ومن مجيئه للمفعولية قوله تعالى : {قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (٣)، فقد عبر باسم الفاعل مبالغة فى نفى كون الجبل عاصما ، واضافه لليوم للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التى تحصل فيها الوقائع وتحدث فيها الملمات ، وعبر عن الماء بـ "أمر الله" تضخيما لشأنه وتهويلا لأمره (٤).

ومنه قوله تعالى : {وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} (٥)، فقد وصف المفعول بوصف الفاعل على سبيل المجاز ، وانما رجح النظم القرآنى ذلك الاسناد المجازى على غيره ، لأن الغرض هو المبالغة فى اشتمال الأمر على ما يقتضى انتفاء الرشد ، فكأن الأمر هو الموصوف بعدم الرشد ، والمقصود أن أمر فرعون سفه .. ولكنه عدل عن وصف أمره بالسفيه الى نفى الرشد عنه تجهيلا للذين اتبعوا أمره لأن شأن العقلاء أن يقتدوا بمن فيه صلاح ورشد (٦).

(١) سورة هود : آية ٦٢

(٢) انظر الحوار فى القرآن الكريم ص ٢٨٣ ، والآية من سورة الشعراء : ١٨٦

(٣) سورة هود : آية ٩٧

(٤) انظر روح المعانى ٦٠/٤ - ٦١ .

(٥) سورة هود : آية ٩٧

(٦) التحد ، التنه د ١٥٦/١٢ .

ومن ذلك قوله تعالى : {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} (١) ، فقد أسند الفعل "ذهب" الى كلمة "الروع" مع أن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، وانما رجح النظم القرآنى المعجز ذلك الاسناد المجازى على غيره ، لأن الغرض كما هو واضح هو المبالغة فى انتفاء الروع عن ابراهيم عليه السلام ، وليتم تصوير هذه الكلمة "الروع" حتى لكأنها شخص ماثل أمامه تخافه النفوس وتعمل له حسابه فانصرف عنه فاطمأن قلبه ، وفيه من المبالغة ما لا يخفى .

ومنه قوله تعالى : {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ} (٢) فقد أسند الفعل جاء الى قوله "الحق" أن الفاعل الحقيقي هو الله ، زيادة فى تقرير مجيء الحق له واعتناء بأمره .

(١) سورة هود : آية ٧٤

(٢) سورة هود : آية ١٢٠

علاقة المصدرية :

وقد تمثل ذلك في قوله تعالى : {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} (١) حيث أخبر بالعمل عن ضمير الابن تجوزا للإشارة الى أنه لما لم يؤمن كان كله عملا غير صالح ، وان النظرة تمخضت لأعماله فلم يبق للقرابة أقل اعتبار ، وهذا هو المناسب في الاجابة على قول نوح عليه السلام {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} ، ولعل السر البلاغى في الاخبار عن الذات بالمصدر هنا الإشارة الى أن الانسان قيمته في عمله ، لافى جاهه ولاسلطانه ولاغناه ولاقوته ، فوزنه عند الله هو وزن عمله لاشيء آخر . {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى} .

الزمانية :

ومما جاء منها قوله {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} ،
 وقوله : {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} ، وقوله : {إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ} (١).

فقد وصف بالكبير ، والأليم ، والمحيط ، وهى صفات مشبهة باسم
 الفاعل الى اليوم تجوزا لأن فاعلها الحقيقى هو الله تعالى ، وهذا التجوز
 يهز النفوس ويلفتها الى هول ذلك اليوم ، فاذا كان اليوم ذاته أليما أو
 محيطا أو كبيرا فما بالنا بالعذاب الواقع فيه على أن الاسناد المجازى وقع
 موقعا يشعر باخلاص الرسول فى دعوته وانذاره لأنه مما جاء فى سياق ابداء
 نصحه لهم وخوفه عليهم {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ...}

السببية :

ومنه قوله تعالى : {ولأقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا} (١)، وحقيقته : الذين تزدروهم بسبب نظركم اليهم وماتوحي اليكم به أعينكم من رقة حالهم ، والقرينة هي أن الأعين مجردة لا يصدر عنها ازدراء الاتبع لارادة الرأى وقصده ، وسره البلاغى الاشارة الى تجاوز ازدرائهم كل واحد حتى لكأن الازدراء من كثرتة جعل للأعين منه نصيبا . ويجوز حمل الكلام على المجاز المرسل باطلاق الجزء وارادة الكل نحو "وأرسلنا العيون" أو العلاقة الآلية لأن العين آلة الازدراء ، فمن يزدرى انسانا ينظر اليه نظرة سخرية واستهجان .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : {وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين} ، وقوله : {وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين} (٢).

ففى الصورتين مجازان عقليان علاقتهما السببية حيث أسند الأخذ الى الصيحة اذ هي سببه الأكبر ، مع أن فاعل الأخذ الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا التعبير يجسد القدرة الالهية المفزعة حين جعلتهم جاثمين لآحراك لهم ، فكأنهم لم يسبق لهم وجود فى الحياة فقد استؤصلوا من جذورهم .

ومنها قوله تعالى : {أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد ...} (٣)، نلاحظ أن الفعل "تأمرك" مسند الى ضمير الصلاة تجوزا لأنهم يعلمون أن الصلاة لا يصدر منها فعل ولا قول ولكنهم يسخرون من صلاته ويخطون من قدره من جهة أخرى ، وكأنهم يقولون لهود - عليه السلام - ان ماقلته لا ينبغى أن يصدر من عاقل فمن الذى أوحاه اليك؟ وكأن الصلاة التى

(١) سورة هود : آية ٣١

(٢) سورة هود : آية ٩٤، ٦٧

(٣) سورة هود : آية ٦٧

أتى بها شعيب قد استبدت به وسيطرت عليه وجعلته يقول مايقول مما يرفضونه ، ويعتقدون أنه هذيان أو وسوسة شيطان كما يشعر بذلك التجوز (١).

(١) انظر الحوار في القرآن ص ٢٨٧ .

المبحث الثالث

التعريف

التعريف بالضمير :

لم يزد البلاغيون في بيان دلالة التعريف بالضمير على قول الخطيب رحمه الله "وأما تعريفه فبالاضمار لأن المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة" (١)، مع لفظة واعية الى ترك الخطاب ليعم كل من يتأق منه الخطاب كما في قوله تعالى : {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} (٢) اشارة الى هذه الصورة المتناهية في الفظاعة التي لا تختص بمخاطب دون مخاطب (٣).

ضمير المتكلم :

جاء ضمير المتكلم بارزا في حديث الله - سبحانه وتعالى - عن ذاته ، كما جاء في الحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم ، وقد تنوع الحديث فيه بين الافراد والجمع ، فحديث الله عن ذاته جاء بضمير الجمع والافراد في مقاماتها المتعددة ، وفي ضمير المتكلم الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم دلالة قاطعة على بطلان زعم المستشرقين ومن والاهم أن القرآن من عند "محمد" ، اذ لا يعقل أن يكون من عنده صلى الله عليه وسلم وهو مأمور به ومخاطب فيه ذلك الخطاب العام الشامل على تعدد صورته وجلال مقاصده ، لكن دلالة ذلك الخطاب على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته تتوقف على أن يكون المخاطب للنبي في القرآن هو الله عز وجل ، وهذا يدل عليه دلالة قاطعة

(١) التلخيص ص ٥٧ .

(٢) سورة السجدة : آية ١٢

(٣) انظر خصائص التراكيب ص ١٤٦ .

ضمير المتكلم في القرآن (١).

وأول موطن يلقانا فيه ضمير الجلالة للمتكلم هو في قوله تعالى : {وَلَيْنُ أَخْرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} فهو في "أخرنا" لا يمكن أن يكون الا لله فانه لا يؤخر العذاب الا الله عز وجل ، وقد تكرر ضمير التكلم في الآية التالية ثلاث مرات في قوله {وَلَيْنُ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيُوءٌ كَفُورٌ} (٢) حيث ورد الضمير مسندا الى الذات العلية في قوله "أذقنا ، منا ، نزعناها" ، ليتضح لكل متأمل أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو الذى يدل عليه ضمير التكلم في "أذقنا" ، و"منا" ، "نزعناها" هو الله عز وجل الذى بيده وحده مقاليد الأمور فهو الذى يعطى ويمنع كيف شاء .

ومثلها {وَلَيْنُ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَةٍ} (٣) ، وفي اختلاف الفعلين حيث أسند الأول الى ضمير التكلم "أذقناه" ولم يسند الآخر "مس" الى ذاته للدلالة على أن مس الضر ليس مقصودا بالذات وانما بالعرض بخلاف اذاقة النعماء (٤).

وعلى شاكلة ماسبق جاءت الآيات التالية :

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} ، {وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا} ، {وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} ، {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} ، {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (٥). وفي هذه الآية الكريمة جاء ضمير الرسالة ست مرات في ظل ضمير الجلالة واحد في قوله :

(١) انظر الاسلام في عصر العلم ، محمد الغمراوي ص ٢١٤ .

(٢) سورة هود : آية ٩

(٣) سورة هود : آية ١٠

(٤) حاشية الشهاب ٧٧/٥ .

(٥) سورة هود : آية ٤٩، ٤٠، ٣٧، ٢٥

{تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك} ثم فيها ابطال لزعم من يزعم أن مصدر القصص القرآني ماكان يعرفه العرب ، أو كان شائعا بينهم في الأخبار والمعتقدات ، فالنص واضح لايقبل التأويل {ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا} .

فنحن نرى أن قصة نوح يكتنفها ضمير الجلالة "أرسلنا ، وأوحينا ، قلنا ، أمرنا" ثم جاءت آية فاصلة وهى قوله : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُصِّ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (١) ، ثم جاء فى آخر القصة ضمير الرسالة دارثا عنها مظنة أن يكون الكلام من عند غير الله ، فضلا عن دلالة المعنى الذى لايقدر على تحقيقه الا الله ، والا فمن ذا الذى يأمر الأرض والسماء فتطيع الا الله؟ ومما سبق يتضح لنا أن الاسناد الى ضمير الجمع لا يكون صادرا الا من الله عز وجل ، ولذلك نلاحظ فى كل أسلوب يتحدث عن القرآن ومايتصل به نلاحظ الاسناد الى الذات العلية بضمير الجمع كما فى قوله : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٢) ، {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (٣) .

بينما تجىء أساليب التعبير عن الذات العلية بالافراد فى مقامات تحتم هذا التركيب كما فى قوله تعالى : {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} ، ففيه لفت وتنبيه لنوح - عليه السلام - ليكون فيه حجة بالغة ودلالة قاطعة على أن المتكلم فى القرآن هو المتفرد سبحانه وتعالى .

(١) سورة هود : آية ٤٤

(٢) سورة الحجر : آية ٩

(٣) سورة القيامة : آية ١٧-١٩

تأتى أساليب التعبير عن الذات العلية بالافراد فى مقامات تحتم هذا التركيب كما فى قوله : {ياموسى انى أنا ربك فاخلى نعليك وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى}{(١)}. وقد يأتى فى مقام تعدد النعم اظهارا لوحداية الله سبحانه وتعالى دون سواه كما فى قوله تعالى : {إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلی ومطهرک من الذین کفروا وجاعل الذین اتبعوک فوق الذین کفروا إلی يوم القيامة ثم إلی مرجعکم فأحكم بینکم فيما كنتم فيه تختلفون}{(٢)}.

وبالتدبر فى الآیة السابقة نجد أن الأسلوب قد ورد بصیغة الافراد ، انى أنا ، وأنا اخترتك ، اننى أنا ، الا أنا ، فاعبدنى ، لذكرى ، انى متوفيك ، ورافعك ، ومطهرک .

فالسباق فى هذه الآيات يدل دلالة قاطعة على ابراز وحدانية الملك القهار ، وتجلية انفرادہ - سبحانه - بهاتيك المظاهر فى مجال القدرة ، لذا أثر الافراد .

فضمير الجمع یجىء عن "الله" فى المواطن التى تقتضى تفخيم المعنى وتصويره فى صور یکسوها الجلال والمهابة . أما الافراد فیؤثر التعبير به فى المواطن التى تلوح فيها معانى الوحداية والتفرد . والمهم أن اسناد الأفعال الى الذات العلية موضع دقيق يحتاج الى تأمل وعكوف جاد لرصد أساليبه واستنتاج الخصائص البلاغية فيه .

(١) سورة طه : آية ١١-١٤

(٢) سورة آل عمران : آية ٥٥

التعريف بالاشارة

ان من أغراض الاشارة اللغوية تمييز المسند اليه أكمل تمييز ، وهذه الأكملية لا تتنافى مع ماقرره البلاغيون من أن الضمير أعرف المعارف ، وأن العلم أعرف من الاشارة ، ذلك لأنه لا مانع من أن تكون لكل معرفة خصوصية ليست لغيرها مما هو أعرف منها .

وقد قال المغربي أن تمييز المشار اليه أكمل تمييز ليس هو الغرض البلاغى ، وإنما هو وسيلة لغرض من الأغراض كالمدح فى مقامه ، فإنه يقتضى انكشاف الأوصاف العظيمة وتمييزها ، وهذا أبلغ فى المدح من أن تساق نعوته فى شىء من الخفاء ثم بين نظرتة هذه بالتطبيق على بيت ابن الرومى :

هذا أبو الصقر فردًا فى محاسنه

من نسل شيان بين الضال والسلم (١)

وما ذكره العلماء - رحمهم الله - من اسرار التعريف بالاشارة كالتعظيم والتحقيق ، والتعريض بغباوة السامع إنما هو من مستتبعات دلالة الاشارة التى هى بيان الحال من قرب وبعد وتوسط (٢).

وقد أسهب القوم فى الحديث عن دلالة القرب والبعد والتوسط : هل هى وضعية لاسم الاشارة ، فلاجال للبحث البلاغى فيها ، أو أن ماتوحى به فى المقامات المتباينة يرقى بها الى مصاف الأغراض البلاغية الجيدة ؟

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٣١٣/١ .

(٢) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٨٨ ، بغية الايضاح ٩٠/١ ، عروس الأفراح للسبكي

ضمن شروح التلخيص ٣١٥، ٣١٤/١ .

وأعتقد - والله أعلم - أنهم حين تطرقوا الى هذا النقاش كانوا ناظرين الى قول الخطيب - رحمه الله - : "... واما لبيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط كقولك : هذا زيد ، وذلك عمرو ، وذاك بشر ، وربما جعل القرب ذريعة للتحقير" (١).

فكلما "ربما" في نص الخطيب تدل على امكان اعتبار البعد والقرب والتوسط أغراضا بلاغية للإشارة ، وهذا يغير مايدل عليه كلام السكاكي - رحمه الله - أول من قرر هذا حين قال : "... أو أن يقصد بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك : هذا وذلك وذاك ثم تتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل أن تقصد بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه ... أو أن تقصد بذلك أن السامع غبي لا يتميز الشيء عنده الا بالحس .. أو أن تقصد بقربه تحقيره" (٢).

فحاصل كلام السكاكي "هذا ذلك وذاك ثم تتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار" اشارة الى عدم استقلال "البعد والقرب والتوسط" كأغراض بلاغية للإشارة ، بل أسماء الاشارة تلك مجرد أصول تذكر لكي تتفرع عليها وجوه من الاعتبار .

ويمكن أن يقال : ان الخصوصيات البلاغية ليست في المدلولات اللغوية للبعد والقرب والتوسط - أعني الاشارة الى الأماكن الثلاثة - بل في المكانة المعنوية بتنزيل بعد المكانة أو قربها أو توسطها منزلة بعد المكان أو قربه أو توسطه . وبهذا ينسجم الخلاف المشار اليه بينهم .

وقد وردت أسماء الاشارة في واحد وثلاثين موضعا في السورة ، وهاك

البيان :

فأول مايلقانا من التعريف بالاشارة في السورة قوله تعالى : {يقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} (١) حيث جاءت الاشارة بـ "هذا" الى القرآن

(١) بغية الايضاح ٩١/١ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٨٨ .

(٣) سورة هود : آية ٧

فان الاخبار "عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا أنهم عند سماعهم تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا في العناد"^(١) وفيه تمييز للمشار اليه بالاشارة الحسية وتحقيرا لشأنه في اعتقادهم ولأنه لافائدة منه كما يدعون.

ويجىء التعبير باسم الاشارة القريب في قصة ابراهيم عليه السلام {أَلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ}^(٢) وفي التعبير باسم الاشارة تمييز له أكمل من تمييز بالاشارة الحسية "ووصف الحالة من الشيخوخة وصفا مرئيا مشاهدا ، وهذا أبلغ في وصفه مما لو قيل وبعلى شيخ ، واسم الاشارة يعود الى ما ذكر من حصول الولد من عجوز عقيم وشيخ كبير ، والتعبير به أبلغ مما لو قيل "انه" بالضمير لما في اسم الاشارة من وصف كامل محسوس وتميز مبنى على المشاهدة ، كما أن فيه استعظاما للمشار اليه وتفخيما لشأنه مما يزيد العجب ، وهذا الخير مع كونه مثبتا للتعجب مما ذكر فهو أيضا تعليل بطريق الاستئناف التحقيقى والاستبعاد المستفاد من طريق الاستفهام وتأکید له"^(٣).

قال الرازى : "وهذا بعلى شيخا" قائم مقام أن يقال أشير الى بعلى حال كونه شيخا ، والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهى الشيخوخة"^(٤) ويمكن بطريق أولى أن يكون التقدير : وهذا بعلى ترونه شيخا .

والايتان باسم الاشارة الموضوع للقريب في قوله {أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}^(٥) ، يعود على الجدال الذى كان بين ابراهيم وقومه وأنه جدال لافائدة من وراءه فينبغى الأعضاء عن ذكره وعدم الاهتمام بأمره ، وفي اسم الاشارة تمييز

(١) تفسير أبى السعود ١٣/٣ .

(٢) سورة هود : آية ٧٢

(٣) خصائص النظم القرآنى في قصة ابراهيم عليه السلام ، د.الشحات أبو ستيت

ص ٢٨٢-٢٨٣ .

(٤) تفسير الفخر الرازى ٢٩/١٢ .

(٥) سورة هود : آية ٧٦

المشار اليه أكمل تمييز وفيه تقليل من شأنه وتحقير للذين يجادلون ابراهيم عليه السلام .

وجاءت دلالة الاشارة في قوله : { هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ } باسم الاشارة الموضوع للقريب اشارة الى مجيء الملائكة عند لوط عليه السلام في ذلك اليوم وفيه تهويل لشأن ذلك اليوم وتفخيم له ، فهو ليس كبقية الأيام ، فهو شديد عليه لما سيحل بالأضياف من قومه لأنه لا يعلم أحوالهم ومقاماتهم فخاف عليهم واهتم بأمرهم لأنه لا يعلم أنهم رسل الله ، فجاء اسم الاشارة تمييزا لذلك اليوم أكمل تمييز .

ومجيء التعبير باسم الاشارة للقريب في خطاب قوم صالح { قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا }^(١) اشارة الى الكلام الذى خاطبهم به حين بعثه الله اليهم من عباد الله وترك عبادة الآلهة ، وقد جاء اسم الاشارة دلالة على تمام وضوح الأمر وجلاء الحق فيه ، وأنه أصبح منكشفا واضحا يشار اليه كما يشار الى القريب المحسوس .

وقريب منه فى الدلالة قوله : { مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا }^(٢) وفيه أيضا تمييز هذا الوحي الالهى عن الأنباء السابقة أكمل تمييز وتفخيم للقرآن لأنه جامع لأنباء السابقين لرسالته صلى الله عليه وسلم ومآخوته الأديان السابقة ولكى يتمكن من عقول السامعين لما فيه من المواعظ والعبر .

واسم الاشارة الموضوع للقريب معناه : الحضور أو الدنو الشديد . وهذا يناسب المقام هنا لأن المشار اليه - القرآن - دليل الهدى لصاحب الدعوة ، وقرب الدليل من المدلول فيه كمال الرشاد .

وجاءت الاشارة للقريب فى قوله : { وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً

(١) سورة هود : آية ٦٢

(٢) سورة هود : آية ٤٩

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١) تميزا للمشار اليه أكمل تميز ، مع مافيهـا من تحقير لهذه الحياة ومافيهـا من معنى الدنو ومن اغتربها فقد كان بصره مثلهم وفي الاشارة اليها "هذه" تحقيرا لها وتقليلـا لشأنها^(٢).

ومما هو قريب من الآية السابقة قوله : {وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣)} حيث أسقط كلمة الدنيا واكتفى بالاشارة اليها زيادة في التحقير وأنها حياة خسيـة لاقيمة لها . يقول البقاعى : "ولما كان فرعون موصوفا بعظم الحال وكثرة الجنود والأموال وضخامة المملكة حقر الله تعالى دنياه بتحقير جميع الدنيا التى هى منها باسقاطها فى الذكر اكتفاء بالاشارة اليها ولم يثبتها كما فى قصة عاد"^(٤).

كما جاءت الاشارة فى قوله تعالى : {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ^(٥)} اشارة الى حاضر حيث أبرزها لهم لتكون من الوضوح فى العقول والأنظار حيث لا تخفى فيه الا عن عدم التمييز بين الحق والباطل وفى ابرازها معاينة تميز للمشار اليه أكمل تميز وابرار للقدرة الالهية ، وليتعظ من كان عنده تدبر وتأمل .

وجاءت الاشارة الى القرآن فى قوله : {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ^(٦)} حيث استعمل اسم الاشارة الموضوع للقريب "هذا" تنبيها على تعظيمه وتفخيما لشأنه ، فالشئ القريب محبوب محالط للنفوس . وتجىء الاشارة للقريب فى قوله : {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ^(٧)} الى الذين كذبوا على من أحسن اليهم وأكرمهم ، فجاء تحقيرا وتبكيـتا لهم خاصة وأن الكذب صدر منهم على من يحسن اليهم وكان من

(١) سورة هود : آية ٦٠

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ٣١٦/٩ .

(٣) سورة هود : آية ٩٩

(٤) نظم الدرر ٣٧٠/٩ .

(٥) سورة هود : آية ٦٤

(٦) سورة هود : آية ١٢٠

(٧) سورة هود : آية ١٨

الأجدر ألا يكذبوا على من أنعم عليهم .
 ومنه قوله : { قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ } (١) فجاء اسم
 الإشارة الى مشاهد في الوجود ليميزه أكمل تمييز بواسطة الإشارة ومافيه من
 معنى القرب مشعر بتفخيم وتهويل ماسيقترفه قوم لوط عليه السلام ،
 ويرتكبونه فأشار اليهم بصيغة الوجود "هؤلاء" للدلالة على وجود المشار اليه .
 وعقب الانتهاء من سرد أحداث الأتقياء والسعداء أشار النظم القرآني
 الكريم بالقريب للنبي صلى الله عليه وسلم { فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ
 هَؤُلَاءِ } (٢) إشارة الى المشركين لتمييزهم أكمل تمييز حيث أن عبادتهم ليست
 دائمة بل هي قائمة على التجدد وفيه تحقير لآلهتهم وتحذيرامن الوقوع في مثلها
 فهي ليست ثابتة بل قائمة على التجدد والحدوث . وهذا يفيد استمرار القوم
 على ضلالتهم ، ويفوت هذا لوقيل مما عبد هؤلاء ، لأن الأصل في الماضي
 الانقطاع قبل زمن التكلم أو الاخبار به .

(١) انظر البحر المحيط ٢١٢/٥ ، نتائج الفكر للسهلي ص ٢١٢ .

(٢) سورة هود : آية ١٠٩

التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد :

تكلّمنا فيما مضى عن اسم الإشارة المراد به القريب فيما يخص سورة هود - عليه السلام - وبيننا ما يعنيه من دلالات وملاح بلاغية ، أما الآن فنتكلم عن هذا الاسم الموضوع لمعنى البعد ويجيء على النحو الآتى .

الإشارة بـ "تلك" :

عقب الانتهاء من سرد أحداث القصص القرآنى يقول الله مخاطباً نبيه الكريم {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ} ^(١) إشارة الى قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وقد أشير إليها بما للبعيد تعظيماً لشأن القصص القرآنى وتفخيماً لمكانته مشعراً بعلو درجته وبعد منزلته .

وقد يكون فى الإشارة بما للبعيد هنا إيماء الى بعد زمن وقوعها وبعد منالها لغير الموحى اليهم من الأنبياء وفيه تنويه بعظم النعمة منه والهداية اليه .

كما تلاحظ الإشارة للبعيد فى قوله تعالى : {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} ^(٢) جاءت الإشارة الى "حاضر فى الذهن بسبب ما أجرى عليه من الحديث حتى صار كأنه حاضر فى الحس والمشاهدة" ^(٣) وهذه الصيغة لتحقيهم والإشارة الى بعدهم عن الهداية والرحمة ، وقد تكون الإشارة الى قبورهم ومصارعهم ، وعندئذ تكون الإشارة للبعيد المحسوس .

(١) سورة هود : آية ٤٩

(٢) سورة هود : آية ٥٩

(٣) التحرير والتنوير ١٠٥/١٢ .

الاشارة بـ"ذلك" :

وقد جاء التعبير باسم الاشارة ذلك في سبعة مواضع من السورة ،
وورد مقرونا بالكاف في آية واحدة واليك بيانها :

قال تعالى : { ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } ، { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى } ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ } ، { ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ } ، { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } ، { إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (١).

ففى التعريف بالاشارة فى قوله تعالى : { ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } افادة
لمعنى البعد وتفخيم لقربه اذ لم يبق لهم سوى ثلاثة أيام ثم يحل العذاب
ومن ثم فهو وعد عظيم المرتبة فى الصدق وقوة الانتقام وفيه تعظيم للوعد
وتفخيم لشأنه (٢).

وجاءت الاشارة بالبعيد فى قوله تعالى : { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى } حيث
أشار اليها بأداة البعيد لأن مصدرها المولى يوحىها لنبىه صلى الله عليه وسلم
ولذلك استحققت الاشارة اليها باسم الاشارة للبعيد ايماء الى بعد المرتبة وعلو
الأمر فى شأنها (٣).

ومثله فى دلالة التعبير قوله : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ
الْآخِرَةِ } اشارة الى الذين أخذوا بظلمهم ليكون عبرة لكل ظالم ، ومن أراد
الاعتبار أن يتعظ بما حاق بهؤلاء بسبب عملهم فى أحوال الآخرة ، وفيه
تهويل لذلك الأخذ وتفخيم لشأنه (٤).

ومن ذلك قوله تعالى فى شأن يوم القيامة : { ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ } جاء باسم الاشارة الى يوم القيامة المشار اليه "بذكر
الآخرة" فى الآية السابقة ، ثم زاد فى الاشارة زيادة فى تهويله بتكرار اسم

(١) سورة هود : الآيات ٦٥، ١٠٠، ١٠٣، ١١٤، ١١٩

(٢) انظر تفسير أبى السعود ٦٥/٣ ، نظم الدرر ٣٢٣/٩ .

(٣) انظر نظم الدرر للبقاعى ٣٧١/٩ .

(٤) تفسير أبى السعود ٩١/٣ .

الاشارة ، فهو يوم عظيم سيكون فيه عذاب الآخرة ، ولذلك حسن التعبير بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات المعنى وأنه واقع لاحالة . ثم كرر الاشارة بقوله : "وذلك يوم مشهود" أى مشهود فيه . وفيه دلالة على تعظيم ذلك اليوم ، يقول أبو السعود : " .. أى مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول .. ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ماهو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره .. "(١)

وكلام أبى السعود - هنا - يمكن دفعه ، لأن يوم القيامة هو نفسه المشهود بما فيه من أهوال ومعنى كونه مشهودا أن كل العباد من لدن آدم حتى قيام الساعة يشهدونه لايتخلف منهم أحد ، وهو الموافق لقوله : "مجموع له الناس" ، أما ماعداه من أيام الدنيا قبله فشهوده مقصور على من عاش فيه لامن مات ولامن سيأتى . وقد تكرر هذا المعنى فى سورة البروج : {وشاهد ومشهود} .

والايتان باسم الاشارة الموضوع للبعيد "ذلك" فى قوله : {ذلك ذكرى للذاكرين} اشارة الى ماورد من الترغيب والترهيب فى القصص ، والتسليّة وتعليم الداء والدواء ، وفى ذلك تعظيم لأمره وتفخيم لشأنه ، بعيد فى حيز الاشارة لعظمته وبعد منزلته . أى تنزيل بعد المكانة منزلة بعد المكان .

ومنه قوله تعالى : {الا من رحم ربك ولذلك خلقهم} جاءت الاشارة الى الاختلاف الواقع بين الخلائق ، بالبعيد تنويها بشأن الحكمة الالهية فى تقدير هذا الأمر بين الناس ، وقيل الاشارة الى قرين السعداء والأشقياء (٢) ، فجاءت الاشارة توكيدا لوجود الاختلاف بين الناس ، وقد تدخل الكاف على اسم الاشارة "ذلك" فتتلاحم الدالتان فى "كذلك" اشارة الى معان دقيقة ، وقد جاء فى السورة فى موضع واحد قوله : {وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى} وسيأتى تحليلها فى مبحث بلاغة التشبيه فى السورة - ان شاء الله تعالى .

(١) تفسير أبى السعود ٩٢/٣ .

(٢) نظم الدرر ٣٩٦/٩ .

"أولئك" :

ورد التعبير باسم الإشارة "أولئك" في سبع مواطن من السورة وهى

كما يلى :

{أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} ، {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} ، {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ..} {أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ} ، {أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} ، {أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} ، {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (١).

نجد اسم الإشارة فى الآية جاء بعد قوله : {الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك ...} وصفهم بالصبر على المكاره وعدم التضجر مما يصيبه من ضراء ثم يداوم على الأعمال الصالحة من اقامة الصلاة والمحافظة على الحقوق ، هذه الأوصاف هى التى رشحتهم وجعلتهم أهلا للمغفرة والأجر الكبير الواقع بعد اسم الإشارة ، ومافيه من معنى البعد مشعر بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف .

وقد يومىء اسم الإشارة الى بعد ماسيأتى بعده عن ساحة الحق والعدل كقوله : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ لَا يُبْخَسُونَ} . {أُولَئِكَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} نجد اسم الإشارة يفيد تمييز المسند اليه أكمل تمييز لمزيد العناية بالحكم الواقع بعده ، فالذى يريد الحياة الدنيا ولا يريد الآخرة ، فسوف يجنون نتاج أعمالهم كاملة دون بخش فيها ، أما نصيبهم فى الآخرة فهو بيد المولى عز وجل فهم فى الحرمان المطلق واليأس المحقق مما يشير اليه اسم الإشارة "أولئك" ، فالذين اختاروا الدنيا على الآخرة ينالون أجورهم من غير بخش ، وفى اسم الإشارة معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم من سوء الحال ، الذى هم فيه (٢).

وجاء اسم الإشارة للبعد فى قوله : {.. وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ..} تميزا للمشار اليه وهم قد اتصفوا

(١) سورة هود : الآيات ١١، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣

(٢) تفسير أبى السعود ٢١/٣ بتصرف .

بتلك الصفات الحميدة وهى كونهم على بينة من ربهم ، وأنهم آمنوا بالكتب
المنزلة على الأنبياء من قبل ، ومن ثم كانوا أهلاً لصفة الايمان التى رشحتهم
اليها الاشارة بعدها ، وفيه اشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم عند الله .
ومنه قوله تعالى : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ}
حيث جاء اسم الاشارة على الاستئناف البيانى ، وقد جاءت الاشارة بعد
أوصاف الموسومين بالظلم البالغ ذلك لبعدهم عن الرشد ومنازل الفائزين فهم
الذين افتروا على الله ، وباسم الاشارة أسند الغرض الى أعمالهم واكتفى
باسناده اليهم حيث بنى الفعل للمجهول فقال "يعرضون" لأن عرضهم بتلك
الصورة عرض لأعمالهم على وجه أبلغ ، اذ أن عرض العامل بعمله أفضح
من عرض عمله مع غيبته وفيه دلالة على أنهم على صفة الهوان ومستسلمون
لكل عارض .

ومنه قوله : {أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} حيث جاء اسم
الاشارة عقب صفات الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً وأنهم
كافرون بالآخرة فجاءت صيغة الاشارة للبعيد لبعدهم عن رحمة الله وأنهم
جديرون بتلك الأوصاف فيتقرر الحكم عليهم بأنهم لم يكونوا معجزين فى
الأرض وأنهم خسروا أنفسهم بذلك .

ومنه قوله تعالى : {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} جاء التعبير بالبعيد
ليتقرر الحكم عليهم باسم الاشارة لبعدهم عن رحمة الله .
وأما قوله {أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} حيث جاء اسم
الاشارة بعد أوصاف الذين آمنوا وأخبتوا الى ربهم ، ثم جاء اسم الاشارة
بعد وصفهم بما ذكر للايذان بأنهم تميزوا بذلك عن غيرهم ومافيه من معنى
البعد مشعر بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى المرتبة .

التعريف بالموصلية :

تكلم الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - عن أسرار التعريف بالموصلية في كتابه "دلائل الاعجاز" وان كان حديثه عن ذلك في غاية الایجاز ، لأنه قصر حديثه على اتيان جملة الصلة معلومة للسامع (١).

وقد شرع الزمخشري - رحمه الله - يقرر معلومية الصلة تحقيقا لتعريف الموصول عند قوله تعالى : {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (٢) حيث يقول : "فان قلت : صلة "الذى" و"التي" يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة ؟ قلت : لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم : {نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (٣).

وقد تحدث الشيخ عبد القاهر عن الموصلية عند حديثه عن التعريف باللام .. يقول في تحليل قول الشاعر :

ان كان يحسد نفسه أحد فلازعمنك ذلك الأحدا

فهذا كله على معنى الوهم والتقدير ، وأن يصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ، ثم يجريه مجرى ماعهد وعلم ، وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من "الذى" فانه يحىء كثيرا على أنك تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذى (٤).

وعند السكاكي - رحمه الله - برزت تحديدات أكثر في تحليل الشواهد البلاغية حول التعريف بالموصول نحو استهجان التصريح بالاسم ، وزيادة التقرير ، والایماء الى وجه بناء الخبر ، وجعل هذا الایماء ذريعة للتعريض :

(١) دلائل الاعجاز ص ١٩٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٤

(٣) الكشاف للزمخشري ٢٥٠/١ ، البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف ص ٣٠٩ .

(٤) دلائل الاعجاز ص ١٨٤ .

بتعظيم الخبر أو اهانتة ، أو تحقيق الخبر ، أو تنبيه المخاطب على خطأ وقع فيه وتنبيه الذهن لتمكين الخبر^(١).

فالمهم هو أن أهمية فقه دلالة هذه الخاصية البلاغية حتى تظهر أسرارها هو ما اتفقت فيه وجهة نظر السكاكي مع وجهة نظر عبد القاهر ، فإذا كان عبد القاهر قد قال في أثناء تصديره لدراسة هذا المبحث : "أعلم أن لك في "الذي" علما كثيرا وأسرارا جمة ، وخفايا اذا بحثت فيها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس وتثلج الصدر بما يفضى بك اليه من اليقين ، ويؤديه اليك من حسن التبيين"^(٢).

فان السكاكي قال عقب تحليله لهذه الأغراض : "وفي هذه الاعتبارات كثرة فحم لها حول ذكائك"^(٣).

هذا .. وقد كثر التعريف بالموصلية في القرآن وغيره من كلام العرب البلغاء كثرة تفوق بقية أساليب التعريف ، وذلك لأنه مفرد متضمن معنى جملة فهو يتسع لكثير من أحوال التعريف ، وتنطوي دقائق التعريف به على دقائق عجيبة^(٤).

هذا .. وقد جاء التعريف بالموصول (ما ، من) في ثلاثة وأربعين موضعاً، وتمثل دلالة الابهام الغرض البلاغى العام لهذا الأسلوب ، وتتفرع عنه - أى الابهام - دلالات أخرى كالتحويل المتفرع عن دلالة "ما" في تعبير منكرى البعث {... لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ}^(٥)، ففي ابهام العذاب من التحويل مافيه ، مبالغة في التخويف ، وكأن هذا المصير يلحق بكل من استهزأ بالعذاب كائننا من كان ، وذلك أبلغ في تخويف هؤلاء الذين أنكروا البعث

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٨٢ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٩٩ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٨٢ .

(٤) انظر خصائص التراكيب ص ١٤٧ .

(٥) سورة هود : آية ٨

واستهزءوا بالعذاب ، ومما يقوى هذا التعبير بالمعنى دليل على تحقق (١)

وقريب به في هذا الایحاء تفرع التهويل عن الابهام في قول شعيب :
 {أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ} (٢) يعنى صنوف العذاب الذى
 حل بمن قبلكم وفيه تهديد وتفخيم للعذاب الذى سيحل بهم .
 وتأتى دلالة التعميم في قوله تعالى : {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} أى الذى
 يسرونه ويعلنونه ، فقد جاء الابهام في الموصول مناسبا لعلم الله سبحانه
 وتعالى ، "وقدم السر على العلن نعيانا عليهم من أول الأمر ماصنعوا وايدانا
 بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على أبلغ
 وجه" (٣).

وجاءت دلالة الابهام في قوله {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ} ليهون
 على النبي صلى الله عليه وسلم ما يواجهه من مشركى مكة وتطيبا لحاطره
 عليه الصلاة والسلام .

بينما جاءت دلالة الموصولية المبهمة في قوله تعالى وهو يسرى عن نبيه
 عليه السلام {إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ} (٤) ليهون عليه أمر فعلهم وليمسح عن قلبه آلام الماضى الذى مر به .
 وتأتى دلالة التعميم مع ابهام الموصولية في قوله : {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى
 أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (٥) ، {إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (٦) ، {قَالَ
 لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} (٧) ، فالتعميم - هنا - ملائم للقدرة

(١) خصائص التراكيب ص ١٤٧ .

(٢) سورة هود : آية ٨٩

(٣) روح المعانى ١١/١٢ ، آية ٥ .

(٤) سورة هود : آية ٣٦

(٥) سورة هود : آية ٣١

(٦) سورة هود : آية ١٣

(٧) سورة هود : آية ١٦

الالهية .

ومنه قوله : {وحيط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون} (١)، أى ظهر الذى صنعوه من الأعمال التى كانت تؤدى الى الثواب الأخرى ، يقول أبو السعود : "... ولأجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب والأجر وأن عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة . وأن الثانى ليس له جهة صالحة قط علق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث ، وبالثانى البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه . وزيادة "كان" (٢) فى الثانى دون الأول ايماء الى أن صدور البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس فى الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التى هى مقدمات مطالبهم الدنيئة" (٣) وما الموصولية هنا تدل على الابهام أى بطل بطلانا الذى كانوا يعملونه "أو باطل أى باطل ، وتجىء دلالة التعميم فى قوله {أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد} (٤) ليشمل عموم من اتصف بتلك الكينونة من المؤمنين .

وجاءت دلالة التعميم مع ابهام الموصولية فى قوله {فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين} (٥)، أى بالذى تعدنا به وكأنهم يستهينون بدعوة النبى عليه السلام سخرية واستجهالا .

(١) سورة هود : آية ١٦

(٢) والذى يبدو للباحت أن مجىء "كان" مع "يعملون" ليترد الكلام على وتيرة واحدة ، لأن الأول فعل ماض : ماصنعوا فيها ، والثانى فعل مضارع "يعملون" ووقوع هذا المضارع فى حيز "كان" لارادة عملهم فى الماضى . وسر التعبير بالمضارع لاستحضار صورة عملهم ماثلة فى الذهن مع ملاءمة الفواصل .
وليست "كان" هنا زائدة بل لها دلالة أساسية اذ لو قيل : وباطل مايعملون ، لانصب الكلام على "الحال" ولاحال يوم القيامة بالنسبة للأعمال .

(٣) تفسير أبى السعود ٢٢/٣ .

(٤) سورة هود : آية ١٧

(٥) سورة هود : آية ١٣

ونلمح دلالة الموصولية المبهمة في قوله {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ} مبالغة في التهديد وكأنهم لما استجهلوا واستهزأوا بدعوة النبي هددوا بالعذاب ، وإن جاز بأن الله لم يتوعدهم فجاء التعبير بالموصولية مناسبا للمقام .

وتأتى دلالة التعميم مرة أخرى في قوله تعالى : {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ} (١) ، جاءت ما الموصولية لتشمل جميع من كان دينهم على دين آبائهم .

وفي التعبير بالمضارع "مايعبد" بدلا من الماضي : عبد ، دلالة على مايدور في طوايا أنفسهم وخباياها من حبه للباطل ، ووقوعهم صرعى في محاكاة آبائهم ، لذلك صور ماضى من عبادتهم الأصنام بصورة الواقع ، حتى لكأنهم يرون آباءهم متلبسين بتلك العبادة الباطلة . وهذا الفهم يشمل كل صور التعبير بالمضارع "مايعبد" وليس مقصورا

على موضع واحد .

وكذلك قريب منه قوله تعالى : {أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} (٢) ، حيث جاء التعبير بالموصول لما في الصلة من الدلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يلتزموا بها ويعبدوها في زعمهم اقتداء بالذين سبقوهم من آبائهم لأنهم قدوة لهم ، وفي ذلك زيادة في الانكار عليهم في اعتقادهم (٣) .

وقريب منه أيضا قولهم : {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} (٤) ، حيث فيه زيادة في الانكار في معتقدتهم الخاطيء .

(١) سورة هود : آية ١٠٩

(٢) سورة هود : آية ٨٧

(٣) التحرير والتنوير ١٠/١٠٩ .

(٤) سورة هود : آية ٦٢

ونلاحظ الابهام فى قوله : {الا امرأتك انه مصيبيها ماأصابهم} (١)، حيث جاء مبنيًا على الاستئناف البيانى ، فجاء الموصول مبهما أى العذاب ، ثم التعبير بالجملة الفعلية للايذان بتحقيق الوقوع ، وفى تأكيدها دليل على وقوع العذاب .

وتأتى دلالة الابهام فى قوله : {ومن أظلم ممن افترى} (٢)، حيث عبر بالموصول المقيد لدلالة الابهام مع التعميم ، ليشمل كل من أتى بظلم عجيب ، وكل من افترى على الله وكذب عليه كان من أعظم الظلم وأجله (٣). ويحىء التعريف بالموصول الأسمى فى اثنين وعشرين موضعا من السورة وأول هذه المواضع قوله تعالى مقررا قضية خلق السموات والأرض {وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام} (٤)، فقد جاء التعريف بالموصولية تقريرًا للتوحيد واستحضارا لعظم قدرة الله سبحانه وتعالى وفيه تذكير بعظيم صفة الخلق الذى عم السموات والأرض ، فمن عرف علمه وقدرته هو الذى يكون الها لاغيره مما لا يعلم ولا يقدر على ضر ولا نفع ، وفيه تأكيد الوعد والوعيد الذى سبق ، لأن العالم القادر يرجى ويتقى (٥). وقد جاء التعريف بالموصول فى قوله تعالى : {ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} (٦) ليتمكن من ابراز هذا الوصف حيث يفيد الموصول مع صلته التخصيص أى "ليقولن الكافرون منهم" فجاء بالموصول معرفا ليتوصل به الى ذمهم والتنقيص من قدرهم والتشهير بهم (٧).

(١) سورة هود : آية ٨١

(٢) سورة هود : آية ١٨

(٣) انظر التحرير والتنوير ٩/١٢ .

(٤) سورة هود : آية ٧

(٥) روح المعانى ص ٤٦٣ .

(٦) سورة هود : آية ٧

(٧) روح المعانى ١٣/١٢ .

كذلك جاء التعريف بالموصولية في قوله : {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (١)، اذ المراد بهم المؤمنون بالله ذلك لأن الصبر من مقارنات الايمان فكفى بالذين صبروا عن المؤمنين فان الايمان يروض صاحبه عن مفارقة الهوى ونبد معتاد الضلالة، ومن معانيه أن "الصبر" انتظار الفرج ولذلك أوتر وصف صبروا دون آمنوا لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار في قوله {إِنَّهُ لَيَوُوسُّ كَفُورٌ} .

ودل الاستثناء على أنهم متصفون بضد صفات المستثنى منهم ، وفيه تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين ، وقد جاء نسج الآية على هذا المنوال من الاجمال لتذهب نفوس السامعين من المؤمنين في طرق الحذر من صفتي اليأس وكفران النعمة ، ومن صفتي الفرح والفخر كل مذهب ممكن (٢).

وقد يؤتى بالموصول بقصد الايماء الى الخير كما في قوله تعالى : {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ} (٣) حيث جاء التعريف بالموصول في الخير عنهم ايماء الى سببية ذلك الوصف الذي في الصلة وهو قوله : {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} "اذ المقصود من اعلان هذه الصفة التشهير والحزى لاثبات كذبهم لأن اثبات ذلك حاصل في سجل أعمالهم ولهذا لم يسند العرض الى أعمالهم وأسند الى ذواتهم في قوله : {أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ} (٤).

وقد مكنت الموصولية من وصف الصادقين عن سبيل الله في قوله : {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (٥) من الإشارة الى خصائص دقيقة في التعبير تومىء الى خبيء المعاني ، حيث جاء اجراء الصلة عليهم بالفعلين المضارعين في قوله "يصدون" وقوله "يبغونها"

(١) سورة هود : آية ١١

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١٢ .

(٣) سورة هود : آية ١٨

(٤) التحرير والتنوير ٣٢/١٢ .

(٥) سورة هود : آية ١٩

وشأن المضارع "الدلالة على حدث حاصل في زمن الحال وهم في زمن التأذين لم يكونوا متصفين بالصد عن سبيل الله ولا يبغي عوج السبيل ، ذلك ما يفيد المضارع من تكرر حصول الفعل تبعا لمعنى التجدد ، ووصفهم بتكرر ذلك منهم في الزمن الماضي وهو معنى قول العلماء "استحضار الحال" كما في قوله {وَيَصْنَعُ الْفُلُكُ} مع أن زمن صنع الفلك مضى وانقضى وانما قصد استحضار حالة التحدد^(١) ، والموصول قد مكن من إبراز هذه الدقائق العجيبة في النظم المعجز .

وقد يأتي التعريف بالموصول توصيلا لإبراز صفات المعرف كما في قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} (٢) ، {أُولَئِكَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} (٣) ، ليتمكن من إبراز هذا الوصف ، للذين خسروا أنفسهم ومن كان على منوالهم ، ومن افتري على الله كذبا وخسارة أنفسهم ، وهو عدم الاهتداء ، فلما ضلوا فقد خسروها ، لأنهم مصرون على الكفر^(٤) .

وشبيه مما سبق بأن التعريف بالموصولية يكون توصيلا لإظهار صفات المعرف كما في قوله : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأُخِبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ} (٥) ، حيث جاءت جملة الصلة بالفعل الماضي ذلك لأن الايمان عقد القلب الجازم فهو حاصل وقعة واحدة ، والتعبير به ملائم لصفات المؤمنين الخاشعين .

كذلك جاء التعريف بالموصول في آية {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا مِن قَوْمِهِمْ} (٦) ، حيث مكن التعريف بالموصولية من اظهار صفات الكافرين والتشهير بهم وتخجيرهم

(١) التحرير والتنوير ٩٠٨/١٢ .

(٢) سورة هود : آية ٢١

(٣) سورة هود : آية ٢١

(٤) التحرير والتنوير ١٨/١٢ .

(٥) سورة هود : آية ٢٣

(٦) سورة هود : آية ٢٧

وقولهم {الذين هم أراذلنا} فيه إيماء الى شهرة أتباع قوم نوح عليه السلام بين قومهم بوصف الرذالة والحقارة (١)، وأنت ترى أن الموصول قد مكن من إبراز هذه الدقائق العجيبة في النظم القرآني المعجز .

وجاء التعريف بالموصولية في قوله : {ولأقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما أنفسم انى اذا لمن الظالمين} (٢)، إيماء الى الخير حيث عبر عنهم بالموصول عندما جعلوا ضعف وفقر المؤمنين من أتباع نوح عليه السلام سببا لانتفاء فضلهم ، أبطله بأن ضعفهم لا يحول بينهم وبين الخير المسوق لهم من الله ، حيث لا ارتباط بين الضعف الدنيوى من فقر وقلة ، وبين ما هيأهم الله له من الأمور الدينية ، فأمرهم موكل الى ربهم فهو الذى يعلم ما أودعه فى أنفسهم من الخير والذى هداهم الى الايمان فهو يعاملهم بما يعلم منهم .

وفى تعليقه "بالأنفس" تنبيه لقومه عندما قالوا {وما نرى لكم علينا من فضل} بأنهم نظروا الى الهيكل الخارجى وجعلوا الفضائل الدينية التى نالها هؤلاء الأتباع التى الله أعلم بها (٣).

ويجىء التعريف بالموصولية فى قوله : {ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون} (٤)، اذ فيه تهديد بمن لم يؤمن من قوم محكوم عليهم بالاغراق وأنه سيحل بهم عقاب عظيم مبالغة فى عقابهم وقطع الأمل من نوح - عليه السلام - "اذ المراد بالمخاطبة المنهى عنها المخاطبة التى ترفع عقابهم فتكون لنفعهم كالشفاعة" (٥).

وقد يأتى التعريف بالموصول تفخيما كما فى قوله تعالى : {إن أجرى الا على الذى فطرني} (٦)، حيث جاء الموصول تفخيما وجعل الصلة فعل

(١) التحرير والتنوير ٥٣/١٢ .

(٢) سورة هود : آية ٣١

(٣) التحرير والتنوير ٥٧/١٢ .

(٤) سورة هود : آية ٣٦

(٥) التحرير والتنوير ٥٨/١٢ .

(٦) سورة هود : آية ٥٨

الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من عند الله تعالى المستحقة للشكر والعرفان الذى لا يكون الا بالقيام على طاعته والامتثال لأوامره (١).

ولا يكفى تفسير هذا الموضع بالتفخيم كما يقول أبو السعود ، اذ هو يكون حاصلًا لو قيل على "الله" والذى أخرى بالذكر أن يقال :

فيه إيماء الى عراقة ما جعل الأجر عليه ، الذى فطرني ، فى الهيمنة على مقاليد الأمور . فالفاطر هو المالك لكل شىء فحرى بالرسول أن لا ينتظروا ثوابا ممن سواه .

وشبيه بما سبق أن وضعناه على أن الموصول قد يكون توصلا لظاهر صفات المعرف قوله تعالى : { فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين } (٢) ، أى بظلمهم وهو الشرك وفى الصلة تعريض بمشركى مكة بالتحذير من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك لأنهم ظالمون أيضا (٣).

وقد يكون التعريف بالموصولية تمييزا للمعرف واظهارا لصفاته كما فى قوله : { فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق } ، وقوله : { وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها } (٤) ، فانظر كيف مكن التعريف بالموصول من الإشارة الى خصائص دقيقة فى التعبير تومىء الى خبيء المعانى . ومما جاء فى التعريف بالموصولية قوله : { وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم

ملاقوا ربهم } (٥) حيث عبر بالموصولية لما تؤذن به جملة الصلة من تغليط قومه " فى تعريضهم له بأن يطردهم بما أنهم لا يجالسون أمثالهم ايدانا بأن ايمانهم يوجب تفضيلهم على غيرهم الذين لم يؤمنوا به والرغبة فيهم فكيف يطردوهم ، وهذا ابطال لما اقتضاه قولهم { وما نراك اتبعك الا الذين هم

(١) تفسير أبى السعود ص ٥٧ .

(٢) سورة هود : آية ٦٦

(٣) التحرير والتنوير ص ١١٤ .

(٤) سورة هود : آية ٣٧

(٥) سورة هود : آية ٢٩

أراذلنا من التعريض بأنهم لا يماثلونهم في متابعتهم" (١).
 ومنه قوله تعالى : {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أى الذين وجد منهم
 الظلم ففيه تشهير بهم .
 وقد يكون التعريف بالموصولية تحقيرا كقوله : {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ
 الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (٢)، فقد عرف بالموصولية تحقيرا لهذه الآلهة التى
 يزعمون أنها تنفعهم من دون الله ، وفى التعبير بالمضارع دليل على اكتسابها
 واحتقارها .

وقد يكون التعريف بالموصولية دليلا على قوة التمكن واطهارا للقوة
 {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَائِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} (٣).

(١) التحرير والتنوير ٥٣/١٢ .

(٢) سورة هود : آية ١٠١

(٣) سورة هود : آية ١٢١

التعريف بالاضافة :

من المعانى التى تحوم حولها الاضافة اكتساب التشريف من المضاف اليه، وقد وجد فى السورة ما يحمل هذه الدلالة، خاصة فى اضافة كلمة "رب" الى الضمائر المختلفة . وقد جاءت هذه الكلمة فى واحد وأربعين موضعا من السورة .

أضافها النبيون صلى الله عليهم وسلم الى ضمير قومهم يحثونهم على طلب المغفرة من خالقهم فى قوله : {وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} (١)، ومع أن فيها دلالة التربية نلحظ كذلك دلالة الاحساس بقرب الاجابة ان استغفروه وتوليهم بالنعم المتوالية "يمتعكم متاعا حسنا" .

كما أضيفت فى قوله تعالى : {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ} (٢)، فقد جاءت الاضافة لتبيين الصلة المقدمة بين الرسول وربّه فهو على بينة منه بالاضافة الى اكتساب التشريف من الاضافة .
وشبيهه بما تقدم قوله تعالى : {إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} مع اضافتها للتشريف جاءت كذلك لتبيين أنه الحق الذى لامرية فيه .

ومن مجيئها للتشريف قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٣). وفيها أيضا تذكير لهم بأن يتأملوا ويراجعوا أنفسهم باضافة اللفظة الى ضميرهم فهو خالقهم ومتولى أمرهم .

(١) سورة هود : آية ٣

(٢) سورة هود : آية ١٧

(٣) سورة هود : آية ٣٤

ومن مجيئها للتشريف أيضا قوله تعالى حكاية عن صالح عليه السلام
 {إن ربي قريب مجيب} (١) حيث أضيف لفظ "رب" الى ضمير المتكلم ليشعرهم
 بمدى حرصه على تمسكه بخالقه فهو المنعم عليه ومربيه وينبغي أن تنظروا
 فيما أنا فيه لتنعموا بخيري الدنيا والآخرة .

ومثله قوله تعالى : {إن ربي على كل شيء حفيظ} (٢).

وقد تأتي الاضافة على غير ماسبق للتشريف أيضا كما في قوله تعالى :
 {وياقوم هذه ناقة الله لكم آية} (٣) حيث جاءت الاضافة في قوله "ناقة الله"
 للتشريف ولتعظيم شأن الناقة وأنها خلقت بقدرة الله الخارقة للعادة.
 ومنه قوله : {رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت} (٤)، فقد جاءت
 الاضافة لتبيين استمرار الصلة المقدسة ، ولتوضيح رابطة النبوة السارية في
 هذا البيت الكريم . كما أن فيها اظهارا لشرف الرحمة وعظمتها باضافتها
 الى اسم الجلالة، وفي ذلك تشريف لأهل البيت الذين عمتهم هذه الرحمة
 العظيمة (٥).

كما جاءت دلالة الاضافة للتشريف والتفخيم في سياق الأمر حين يسند
 الى الذات العلية ، وقد تكرر هذا كثيرا في سورة هود كقوله : {ولما جاء
 أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه} ، وقوله : {ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا} ،
 {فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها} (٦)، ففيها تفخيم لهذا الأمر ودلالة على
 عظم الأمر وتهويله .

(١) سورة هود : آية ٦١

(٢) سورة هود : آية ٥٧

(٣) سورة هود : آية ٦٤

(٤) سورة هود : آية ٧٣

(٥) انظر روح المعاني ١٠١/٤ .

(٦) سورة هود : آية ٨٢

ومنه قوله : {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ} (١) حيث جاءت اضافتهم الى نون العظمة تشريف لهم ودلالة على عظم مكانتهم .

ومنه قوله : {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٢)، حيث دلت الاضافة على أن علمه محيط بجميع الكائنات كليها وجزئها حاضرها وغائبها ، لأنه اذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط (٣).

بينما جاء اكتساب التقبيح من المضاف اليه كما في قوله تعالى : {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} (٤)، ففيها تقبيح فعلتهم الشنيعة التي ارتكبوها في حق ربهم وهو الافتراء عليه .

كما جاءت دلالة الاضافة للتهويل والتخويف كما في قوله تعالى : {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ} (٥)، وفيه تحذير لمن له عقل وتحذير لكل ظالم من وخامة العاقبة.

وقد تأتى الاضافة بأنواعها المذكورة في كتب النحو ولها صور في السورة الا أنها لا تدخل تحت مسائل هذا الفن .

(١) سورة هود : آية ٦٩

(٢) سورة هود : آية ١٢٣

(٣) البحر المحيط ٢٧٥/٥ .

(٤) سورة هود : آية ١٨

(٥) سورة هود : آية ١٠٢

المبحث الرابع

التنكير

الأصل في دلالة التنكير الابهام ، ولكنه قد يخرج عن الابهام لأغراض بلاغية متعددة . فقد يأتي لفادة الجنسية والوحدة ، أو التعظيم والتكثير ، والتحذير والتقليل وغيرها مما يوحى به السياق .

دلالة التنكير على التعظيم :

فأول ما يلقانا في قوله تعالى : {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} (١). نجد أن الأظهر في تنكير "كتاب" في هذا السياق هو التعظيم أى كتاب عظيم تنويها بشأنه ورفع لمكانته ، وقد عد الطاهر بن عاشور مع التعظيم في تنكير "كتاب" التعجيب من شأن هذا الكتاب في جميع ما حف به من البلاغة والفصاحة والاعجاز والارشاد ، وكونه نازلا على رجل أسمى . كما جاءت دلالة التنكير للتعظيم في "متاعا" تجد ذلك في قوله {يمتعكم متاعا حسنا} (٢) فقد أوحى التنكير هنا بعظمة هذا المتاع بدليل وصفه بـ "حسن" أى خالصا من المكدرات طويلا بقاءه لصاحبه .. وليفيد أنها حياة طيبة (٣).

وأفاد تنكير "مغفرة" ، وأجر" من قوله تعالى : {إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير} (٤) التعظيم والتفخيم والاشارة الى رفعة شأن الذين صبروا وعملوا الصالحات وفيه تنبيه على أنهم استحقوا تلك المغفرة وذلك الأجر .

(١) سورة هود : آية

(٢) سورة هود : آية ٣

(٣) التحرير والتنوير ٣١٧/١٢ .

(٤) سورة هود : آية ١١

وتبدو دلالة التعظيم والتهويل من تنكير "بسلام وبركات ، عذاب أليم" من قوله سبحانه {قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم} (١). وفي قوله "منا" تأكيد يراد به زيادة الصلة والاكرام فهو أشد مبالغة من الذى لاتذكر معه "من" ومن ذلك قوله : {سلام قولاً من رب رحيم} (٢) لأنه ألصق بمقام المن الالهى فى العطاء العظيم "منا".

أما قوله "عذاب أليم" فالمراد به تهويل وتفخيم شأن العذاب للأمم المعرضة .

وجاءت دلالة التنكير "آية" للتعظيم فى قوله تعالى : {وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها} (٣). فقد أوحى التنكير هنا تفخيماً وتعظيماً لشأن الناقة التى يلحظها ذوو العقول الراجحة .

كما جاءت دلالة التنكير فى قوله {أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد من ربه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة} (٤) للتعظيم فى قوله "بينه" أى واضحة جلية .

(١) سورة هود : آية ٤٨

(٢) التحرير والتنوير ٩٠/١٢ .

(٣) سورة هود : آية ٦٤

(٤) سورة هود : آية ١٧

دلالة التنكير على التهويل والتفخيم :

جاءت دلالة التنكير في قوله {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} (١) للتهويل والتفخيم من كونه عذابا من نوع خاص لم يعهدوه من قبل .

وجاءت دلالة التنكير للتفخيم مع التهويل في قوله تعالى : {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} (٢) ففي التنكير إشارة الى فخامته وتهويله وشدته وكونه عذابا من نوع خاص لم يعهدوه من قبل ، وفي وصفه بـ "غير مردود" بيان لحتميته ونفاذه لاحالة وأنه لا يرد بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما .

كما تبدو دلالة التنكير في "عذاب غليظ" في قوله : {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} (٣) للتفخيم والتهويل .

وتلحظ دلالة التنكير التي تعنى التهويل في قوله تعالى : {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٤) فقد نكر "صراط" لتفخيمه وتهويل الموقف لمن أعرض عن دينه وقد أضيف الى تفخيمه بالوصف "مستقيم" فحصلت له الفخامة الذاتية والفخامة الوصفية .

كما جاءت دلالة التنكير في "شك" في قوله : {وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (٥) لتفخيم الأمر الذي جاء به صالح عليه السلام وأنهم في قلق وحيرة من هذا الأمر .

(١) سورة هود : آية ٣٩

(٢) سورة هود : آية ٧٦

(٣) سورة هود : آية ٥٨

(٤) سورة هود : آية ٥٦

(٥) سورة هود : آية ٦٢

وتظهر دلالة التنكير في قوله "يوم عَصِيب" في قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لَوُطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَقَضِيَ بِهِنَّ دَرُجَاتُهُمْ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} ففي تنكير "يوم" لتهويله وتفخيمه ووصفه بـ"عصيب" أى شديد أى كأنه لشدة شره عصب بعضه ببعض (١).

(١) انظر روح المعاني ١٠٥/١٢ .

دلالة التنكير على التحقير والتشنيع :

وفي آية {وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ} (١) نجد أن الأظهر في هذا السياق هو التحقير من تنكير "شيئاً" والتقليل والمقصود من التأكيد هو التنصيص على العموم بنفى الضر لأنه نكرة في حيز النفي أى فالله يستأصلكم وهو أعظم الضر ولا تضرونه أنتم أقل شيء من الضر وفيه تحقير وتقليل من شأنهم .

وتأتى دلالة التنكير فى قوله {وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً} (٢) للتشنيع من حالهم ولاظهار ما هم عليه فى الدنيا والآخرة اذ اللعنة تشملهم فى الدارين . وجاءت دلالة التنكير للتحقير فى قوله تعالى : {الْأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا} (٣) فتنكير "مالا" وردت للتحقير لأنه لايساوى شيئاً مما يدعو اليه من قيم طيبة فى دعوته لقومه .

(١) سورة هود : آية ٥٧

(٢) سورة هود : آية ٩٩

(٣) سورة هود : آية ٢٩

دلالة التنكير على العموم :

جاءت دلالة التنكير للتعميم في قوله تعالى : {وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا} (١) فقد أوحى التنكير هنا "دابة" بالاستقصاء والتعميم اذ يشمل علمه بأحوال كل دابة في الأرض .
 وشبيه بما سبق قوله تعالى : {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٢) فتنكير "دابة" جاءت للتعميم وفيه دلالة على الوحدة والتفرد بالقوة فهو المتصرف فيها والمالك القاهر لجميع ما يدب على الأرض .

كما يأتي التنكير ويعنى به العموم في قوله {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتَنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي} (٣) ، فتنكير "أجر" مفيد للعموم والشمول أى أجرا ما قليلا أو كثيرا .

(١) سورة هود : آية ٦

(٢) سورة هود : آية ٥٦

(٣) سورة هود : آية ٥١

المبحث الخامس

التقديم

التقديم من أهم المباحث البلاغية لكثرة مجيئه في الأساليب ، ولدقة أسرارهِ وتنوع دلالاتهِ وكثرة الخصائص التركيبية الموجودة في أساليبه . وقد أثنى الامام عبد القاهر عليه في كتابه حيث قال : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بدیعة ، ويفضی بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ من مكان الى مكان " (١).

والتقديم عند البلاغيين قسمان : تقديم ماحقه التأخير أو ماله رتبة معلومة في بناء الجملة كتقديم الخير على المبتدأ والمعمول على العامل . وتقديم مالميس له رتبة معلومة ولكن جىء به مقدما لداع بلاغى كتقديم الأموال على الأولاد في النظم القرآنى الحكيم ، وهذا النوع قد أولاه المفسرون عناية فائقة بينما لم يهتم البلاغيون الا بالنوع الأول (٢). وفي سورة هود أمثلة من النوعين معا نعرض بعضها فيما يأتى .

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

تقديم ماحقه التأخير :

تقديم الخبر على المبتدأ :

ان أول موضع ورد فيه تقديم الخبر على المبتدأ فى السورة هو قوله تعالى حكاية عن الرسول صلى الله عليه وسلم : {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١)، قدم الجار والمجرور "الى الله" وهو خبر على "مرجعكم" وهو مبتدأ وجاء هذا التقديم لافادة القصر : أى الى الله مرجعكم لالى غيره ، وهو قصر صفة على موصوف حقيقى تحقيقى بالنظر الى الواقع . والمقام اقتضى هذا الأسلوب القصرى ، لأن الرسول يدعو الناس لعبادة الله وحده . فمن المناسب بلاغيا أن ينص لهم على هذا المصير ، لأنه أعون على الاذعان والطاعة وتحقيق المطلوب من الدعوة .

ونجد هذا التقديم كذلك فى قوله تعالى : {وَمِمَّنْ دَاخِلَةٌ فِي الْأَرْضِ الْإِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} (٢)، فقد قدم "على الله" وهو خبر على "رزقها" (٣)، وهو مبتدأ لافادة الاختصاص وهو قصر صفة على موصوف حقيقى تحقيقى بالنظر الى الواقع ونفس الأمر . فالله وحده هو الرزاق ، وهذا من مقتضيات المقام كذلك ، لأن سورة هود اهتمت فى مطلعها ببيان هيمنة الله على خلقه مبدأ ومصيرا ومابين المبدأ والمصير .

وشبيه بما تقدم قوله تعالى : {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (٤)، ويبدو أن التقديم هنا لمجرد الاهتمام ، لأن الله قد يغفر للمسيء اذا تعلققت بذلك ارادته واقتضت حكمته .

وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله تعالى : {وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} (٥).

(١) سورة هود : آية ٤

(٢) سورة هود : آية ٦

(٣) انظر التحرير والتنوير ٥/١٢ .

(٤) سورة هود : آية ١١

(٥) سورة هود : آية ٢٠

فالجار والمجرور "لهم" ، مسند ، و"من أولياء" مسند اليه ، والتقدير :
 ماكان أولياء لهم من دون الله . ويبدو أن التقديم جاء للتعجيل بالحسرة
 لهم ، لأن الولاية منفية ، ومن شأن الولي نصرة مولاه فوقع في النفس
 الحبوط والكدر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الحديث بـ"وماكان لهم" جاء في
 نظم جمل أخرى سبقت عليه اشتملت على ضمائر المتحدث عنهم فناسب
 ذلك تقديم "لهم" وهو الخبر على "من أولياء" وهو المبتدأ مراعاة لذكرهم
 مرات قبل هذه الجملة "أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وماكان لهم من
 دون الله من أولياء" .

وشبيه بهذا الموضع ودواعي التقديم فيه قوله تعالى حكاية عن نوح
 عليه السلام : {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ...} (١) .

فالأصل أن يقال : خزائن الله عندي "ولكن لما كان الحديث مسوقا
 لبيان حال الرسول ناسب ذلك تقديم الخبر "عندي" على المبتدأ "خزائن
 الله" لاشتغال الخبر على ضمير الرسول المتحدث .

وهذا لاينافي ارادة القصر من التقديم فيما نرى على أن يكون المعنى ،
 لأقول لكم عندي خزائن الله لاعند غيري من البشر ، أى لأدعى ذلك
 لأن مفاتيح الأمور كلها بيد الله (٢) .

أما تقديم الخبر في قوله تعالى : {بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا} (٣) ، فهو
 للتبرك وتعجيل المسرة ، ولأن الخبر اشتمل على اسم الجلالة فقدم مراعاة
 لشرفه .

وجاء تقديم الخبر وهو جار ومجرور "لك" على المبتدأ وهو "علم" في
 قوله تعالى : {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} لافادة القصر الحقيقي التحقيقي

(١) سورة هود : آية ٣٠

(٢) انظر الكشاف ٢/٢٦٦ .

(٣) سورة هود : آية ٤١

قصر صفة على موصوف : أى لنا وليس لك به علم ، ويحتمل أن يكون قصر افراد لظن نوح عليه السلام أنه يعلم شيئاً من أحوال ابنه الغيبية ، فرد الله عليه هذا الخطأ أو الظن .

ونظيره تماماً قول نوح عليه اسلام : {مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} (١) ، بعد أن أرشده الله الى الحق .

ومن التقديم للقصر قول صالح عليه السلام لقومه : {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ} (٢) ، حيث قدم الخبر "لكم" على المبتدأ "آية" لافادة القصر اذ هي آية لهم خاصة بهم فى زمانهم .

أما تقديم الخبر "منكم" على المبتدأ "رجل" فى قول لوط لقومه : {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} (٣) فليس للقصر فيما نرى ، لأن المعنى على القصر غير سديد ، اذ يكون : أليس منكم لامن غيركم؟ والأنسب فيما نرى حمل التقديم على الترفق فى الخطاب والاهتمام بتقريع المخاطب ليرعوا عما هم فيه .

كذلك فان التقديم فى قول قومه : {مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} (٤) لمجرد الاهتمام بالمعنى المنفى ، لأن لوطا كان لا يرى جواز مصاهرتهم بتزويجهم من بناته (٥) .

وقول لوط عليه السلام : {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} (٦) ، فقد قدم الخبر "لى" على المبتدأ "قوة" لأن المقام مقام تمن لنفسه ، فناسب ذلك تقديم الخبر لاشتماله على ضميره .

وجاء التقديم للقصر الحقيقى التحقيقى قصر صفة على موصوف فى قول شعيب عليه السلام : {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} ، وفيه حث على التمسك

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) سورة هود : آية ٦٤

(٣) سورة هود : آية ٧٨

(٤) سورة هود : آية ٧٩

(٥) الكشاف للزحشرى ٢٨٣/٢ .

(٦) سورة هود : آية ٨٠

يجنب الله وتفويض الأمر لله سبحانه وتعالى .

أما تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى في الحديث عن أنباء القرى :
{مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} (١) ، فليس لافادة القصر لأن الواقع ينافيه بل لأن الخبر
اشتمل على ضمير القرى المتحدث عنها فناسب ذلك تقديمه لانتظام الكلام في
سلك واحد هو الحديث عن القرى .

وشبيه به تقديم الخبر "كذلك" على المبتدأ {أَخَذُ رَبِّكَ} (٢) لأن في الخبر
إشارة الى ماتقدم من انتقام الله من الأمم التي تردت على رسالات ربها .
فليس التقديم فيه للاختصاص ولكن لجريان النظم على مراعاة ماتقدم من
المشار اليه في الخبر ، ومما يقوى هذا الفهم أو التوجيه العطف بالواو في
قوله : "وكذلك" .

ومن المواضع التي تكرر فيها تقديم الخبر على المبتدأ كثيرا في هود وفي
غير هود مخاطبة الرسل لأقوامهم : {اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (٣) .

تكرر هذا الخطاب على لسان هود ، وصالح وشعيب في سورة هود
عليه السلام . والتقدير : مامن اله غير الله لكم . وإرادة الاختصاص - هنا
- مستحيلة ، لأن الناس جميعا ليس لهم اله غير الله ، وليس قوم هود أو
قوم صالح أو قوم شعيب وحدهم . وإذا تقرر هذا فما السر البلاغى
للتقديم في هذه المخاطبات ؟

والذى أراه - والله أعلم يسر كتابه - أن التقديم هنا للمبادرة الى
النفى من أول الأمر ، ودليل هذا دخول "من" على "اله" المنفى وهى تفيد
استغراق نفى الجنس وشموله لجميع الأفراد .

فالاهتمام بالنفى هو الغرض المسوق من أجله الكلام وهذا اقتضى -
بلاغة - تقديم الخبر "لكم" واليا حرف النفى ، لاعلى معنى الاختصاص
والقصر اذ المقام يأباه كما تقدم .

(١) سورة هود : آية ١٠٠

(٢) سورة هود : آية ١٠٢

(٣) سورة هود : آية ٥٠

تقديم ما ليس رتبة :

هذا النوع من التقديم اهتم به المفسرون كثيرا ، وعلى منوالهم نسير

في ذكر النماذج الآتية :

تقديم الحكيم على الخبير :

وقد جاء هذا في مطلع السورة في قوله : {الر . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (١). والذي يظهر بجلاء أن "الر" في تقديم "حكيم" على "خبير" أنه لما قدم قوله تعالى : "أحكمت" على "فصلت" قدم "حكيم" مراعاة لتقديم الاحكام ، وآخر "خبير" مراعاة لتأخير "التفصيل" ، لأن الأحكام تناسبه "الحكمة" والتفصيل تناسبه الخبرة ، لأن المعنى "أحكمتها" حكيم وفصلها خبير عالم بكيفيات الأمور محكم للأمور واضح كل شيء في موضعه وخبير لاتعزب عنه الأخبار الباطنة فلايجرى شيء في الملك والملكوت الا ويكون عنده خبره ، فالخبير بمعنى العليم لكن العلم اذا أضيف الى الأشياء الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا فهو أبلغ من العليم" (٢).

تقديم النذارة على البشارة :

أما تقديم "نذير" على "بشير" في قوله تعالى : {إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} (٣) فلأن القوم كانوا يعبدون غير الله ، بدليل النهي الوارد في قول الرسول لهم : {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} في صدر الآية نفسها وعبادة غير الله يناسبها الانذار لا التبشير .

وهم لن يعبدوا الله الا بعد امتثال النهي عن عبادة غيره اذن فمرحلة

اقبالهم على عبادة الله - وحده - متأخرة عن مرحلة ما هم فيه من شرك .
فناسب ذلك تأخير البشارة فقال : {إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} .

(١) سورة هود : آية ١

(٢) انظر حاشية زاده على البيضاوى ٣٢/٣ .

(٣) سورة هود : آية ٢

تقديم الاستغفار على التوبة :

وجاء تقديم الاستغفار على التوبة في مخاطبات الرسل لأقوامهم في السورة في قوله : {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} (١).
وسر التقديم كما يبدو أن الاستغفار طلب مغفرة ذنوب ومعاص ماضية ، والتوبة الالتزام بالطاعة فيما يستقبل من الزمان . فمراعاة الترتيب الزمنى اقتضت - والله أعلم - تقديم الاستغفار على التوبة ، والدليل على ذلك العطف بـ "ثم" وهى لفادة الترتيب مع التراخى الرتبى هنا .

تقديم المجرى على المرسى :

وجاء تقديم المجرى على المرسى في قوله تعالى : {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} (٢) شبيها بتقديم الاستغفار على التوبة لمراعاة الترتيب الزمنى ، لأن المجرى حدث قبل المرسى .

تقديم بلع الأرض على اقلاع السماء :

وجاء تقديم ذلك في قوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي} (٣) والسر فى ذلك - والله أعلم - أن الكارثة حدثت بارتفاع حجم الماء على الأرض فكان الأنسب فى كشف هذه الكارثة توجيه الخطاب الى الأرض أولا ببلع ماعليها من ماء ، ثم أمر السماء بالاقلاع .

(١) سورة هود : آية ٣

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٠١/٥ ، فتح القدير للشوكاني ٤٨١/٢ .

(٣) سورة هود : آية ٤٤

تقديم الأمر بعبادة الله :

وجاء تقديم الأمر بعبادة الله على ما ذكر بعده في مخاطبات الرسل في نحو قول نوح عليه السلام : {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} (١).

لأن عبادة الله والنهي عن عبادة غيره هو الأصل في دعوات الرسل جميعا . لذلك بدأوا مواجهة أقوامهم بتوحيد الله وإفراده بالعبادة .

المبحث السادس

وضع الظاهر موضع المضمَر

قال البلاغيون : ان وضع الظاهر موضع المضمَر يشير الى معان قد يكون بعضها من خصوص دلالة الاسم الظاهر الذى أوثر وضعه موضع المضمَر ، فاذا كان اسم اشارة أفاد كمال العناية ، وقد يكون للتهكم بالسامع والتعجب من أمره ... وقد يراد به مع هذه الخصوصية تقرير المظهر وتمكينه فى القلوب (١).

ومما ورد معنا فى هذه السورة الشواهد الآتية :
ففى قوله تعالى : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (٢).

قال : "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" ولم يقل "عليهم" للاشارة الى ذمهم (٣) بمبدأ فعلهم الذى فعلوه واحتقارهم فهم الكفرة المتمردون بجرائتهم وافترائهم على الله .

ومما جاء كذلك قوله تعالى حكاية عن الملائكة فى مخاطبة ابراهيم عليه السلام {رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} (٤). حيث قال "رحمة الله" ولم يقل "رحمته" لاطهار شرف الرحمة وعظمتها باضافتها الى اسم الجلالة ، وفى ذلك تشريف لأهل البيت الذين عمتهم هذه الرحمة (٥).

(١) انظر خصائص التراكيب ص ١٩٢ .

(٢) سورة هود : آية ١٨

(٣) انظر روح المعانى ٣١/١٢ .

(٤) سورة هود : آية ٧٣

(٥) روح المعانى ١٠١/١٢ .

وقد يراد من وضع الظاهر موضع المضمرة زيادة التشنيع كما في قوله تعالى : {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (١) حيث عدل عن الضمير الى الظاهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته بحلول العذاب بهم (٢).

وقد يكون لزيادة التوضيح والبيان كما في قوله تعالى : {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ} (٣).

وشبيه به قوله تعالى : {أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتِ ثَمُودُ} فالمراد من وضع الظاهر موضع المضمرة المبالغة في تفضيع حالهم ولادخال الروع والمهابة في قلب السامع (٤) ليتعظ ويتدبر .

وقد يكون القصد من العدول الى الاظهار الزيادة في التهويل كما في قوله تعالى : {فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ} (٥).

وجاء وضع الظاهر موضع المضمرة في قوله {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} . فقد عبر بالظاهر عن المضمرة في قوله "الذين ظلموا" للتصريح بأن اتباع الشهوات ظلم منهم وأنه هو المؤدى الى الاستئصال (٦).

وقد يراد من وضع الظاهر موضع المضمرة تقرير المظهر وتمكينه في القلوب كما في قوله تعالى : {وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (٧).

(١) سورة هود : آية ٦٧

(٢) روح المعاني ٩٢/١٢ .

(٣) سورة هود : آية ٦٨

(٤) روح المعاني ١٢٩/١٢ .

(٥) سورة هود : آية ٦٣

(٦) حاشية زادة ٧١/٣ .

(٧) سورة هود : آية ١١٥

فقد آثر المظهر على الضمير لأن للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعا عظيما على القلوب . ثم قال "أجر المحسنين" ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتحلى بذلك وهو تعليل للأمر بالصبر .
 وشبيهه بما سبق قوله تعالى : {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} (١) ، فقد عبر بالاظهار في مقام الاضمار لادخال الروع في ضمير السامع ، ولتمكين الربوبية ولاشاعة هيمنتها في الضمائر (٢) .

(١) سورة هود : آية ٧٦

(٢) التحرير والتنوير ١٢/١٢٤ .

المبحث السابع

التقييد بالشرط

تأتى أهمية هذا المبحث لما يدل عليه من تربية الفائدة ، ذلك لأن الحكم كلما زاد تخصيصا زاد غرابة ، وكلما زاد غرابة زاد فائدة كما ذكر السعد - رحمه الله - (١).

ولهذا المبحث لطائف دقيقة استوقفت أهل العلم وأغرتهم على تحليل دلالتها وإيجاءاتها . ومع اتفاق البلاغيين على أن "ان" و"إذا" للشرط في الاستقبال ، أى تفيد حصول الجزاء بحصول الشرط في الاستقبال فانهم يفرقون بينهما بأن أصل "ان" عدم الجزم بوقوع الشرط ، وأصل "إذا" الجزم بوقوعه .

وهذا الفرق الكائن فى أصل الدلالة هو الذى تتفرع عنه الدلالات البلاغية فى الأدوات (٢).

ولكون "ان" لعدم الجزم بوقوع الشرط لاتقع فى كلام الله - تعالى - على الأصل الا لداع بلاغى كقوله تعالى عن نبيه : {وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} ، وقوله أيضا : {وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ، وقوله حكاية عن قوم نوح عليه السلام : {فَأْتِنَا بِمَاتَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٣).

وقد جاء هذا الأسلوب فى المواضع الآتية :

-
- (١) انظر مختصر السعد ومعه حاشية البنانى ١٢٢/١ .
 (٢) انظر : حاشية البنانى ١/٢٢٣-٢٢٤ ، الكتاب لسيبويه ٦٠/٣ ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، خصائص التراكيب ص ٢٥٣ .
 (٣) سورة هود : الآيات : ٣٢، ١٣، ٧

يقول الله تعالى : {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (١).

فقد جاء الشرط "وان تولوا" للتفريع لبيان موقف المدعويين في الحالتين الطاعة والعصيان .

ومنه قوله تعالى : {وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (٢).

فالشرط هو اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالبعث وما يتعلق بالأمر الغيبية المختص بها محقق ثابت ، وقد استخدمت معه "ان" بدل "اذا" لامكان اجتماع الشرط معها بخلاف اذا ولأنها حالة من حالات الدعوة يتصدى لها مرة ولغيرها مرات .

ومن مجيء ان للشرط قوله تعالى : {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (٣).

فمن المعروف أن عذاب يوم القيامة مجزوم به ، وانما جاء الشرط بحرف الشك "ان" في قوله : "ولئن أخرنا عنهم" تنزيلا لهم منزلة الجهلاء لكونهم يستنكرون ذلك ، ويتعجبون من حبسه ، وكان مقتضى علمهم تأخير الله له أن يذكروا فضل الله ورحمته .

وان أريد بالعذاب ، عذاب خاص بالدنيا تكون "ان" في موضعها للاختمال لأن عذاب الدنيا منه ما يعجل ومنه ما يؤجل .

وشبيه بهذا قوله تعالى : {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ...} (٤).

(١) سورة هود : آية ٣

(٢) سورة هود : آية ٧

(٣) سورة هود : آية ٨

(٤) سورة هود : آية ١٠، ٨

اذ المقصود بيان ما يترتب على حالتين متقابلتين أو حالات متقابلة بدون نظر الى الوقوع أو عدمه أو الرجحان أو عدمه .
ومثله قوله تعالى : {وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ} (١).

وقد أطال المفسرون في بيان الاتيان بالمس مع الضر وبالارادة مع الخير بكلام لا طائل من ورائه فقد حمل الزمخشري ذلك على الایجاز بذكر المس في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك (٢)، أو بأن الخير مراد بالذات أما الشر فلدواع خارجية (٣).

ولعل المراد - والله أعلم بمراده - أن الاتيان بالمس مع كشف الضر وبالارادة مع رد الخير مراعاة لزمن كل منهما لأن زمن الكشف لا يبدأ الا بعد المس ، أما منع الخير ورده فيبدأ زمنه الذي يمكن وقوعه فيه عند الارادة لذا لا يتأتى أن يقال في غير القرآن الكريم : وان يردك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فلا راد لفضله ، لأن رد الشيء يكون عند بدء الوقوع فيه لابعده .

وقد يكون الشرط موجهها من الله تعالى الى عباده لتقرير حقيقة غائبة وهى عدم صدقهم في دعواهم أو ايمانهم كما يدعون ، وهذا من مجيء المستحيل شرطا كما في قوله تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٤).

فعدم تمكنهم من الاتيان بسورة من مثله حتى وان دعوا ما يرغبون الاستنجاد به دليل واضح على عدم صدقهم .

وقد يأتي الشرط للتهيج كقوله تعالى : {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} (٥) أى ان كنتم مؤمنين احترزتم من الحرام ورضيتم بما بقى لكم من الحلال ، ولكنكم لم تفعلوا فلستم بمؤمنين .

(١) سورة هود : آية

(٢) الكشف ٢٥٦/٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ٦٧/٣ .

(٤) سورة هود : آية ١٣

(٥) سورة هود : آية ٨٦

وقد يكون الشرط مراعاة لحال المخاطبين كقوله : {إِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١).

الخطاب في الآية الكريمة للمؤمنين وهى تبين موقفهم من الكفار اذا لم يأتوا بما طلب منهم وهو عشر سور مثله .

وقد جاء الشرط "فان لم يستجيبوا" مجزوم به فهم لم يستجيبوا ولن يستجيبوا وانما استعملت معه "ان" دون "اذا" مراعاة لحال المخاطبين ومن تعلق بهم الخطاب كانوا فى موقف المتحدى المترقب ، ومن تحدث عنهم الخطاب وهم الكافرون فى موقف المحاول الذى يرغب ويتمنى أن يجد له فرصة للطعن فى كتاب الله .

ومن الآيات التى جاء فيها الشرط "بان" قوله تعالى عن نوح - عليه السلام - فى جدال قومه : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (٢).

فالشرط فى قوله "ان كنت على بينة من ربي" محقق الوقوع يجزم به نوح عليه السلام كما هو شأن الأنبياء - عليهم السلام - فى ثقتهم بأنهم على بينة من ربهم وعلى صلة به ذلك لأن "الوحى الشرعى بكل أنواعه يصاحبه علم من الموحى اليه بأن ما ألقى اليه حق معصوم من عند الله ليس من خطرات الأوهام ولا من نزعات الشيطان وهذا العلم ضرورى لا يخالجه شك ولا يتولد من مقدمات ، بل هو من قبيل ادراك الأمور الوجدانية كالجوع والشبع والحب والبغض" (٣).

والوجه فى مجيء "ان" مراعاة حالهم من شك فى نبوته وتفرقهم بين مؤمن وكافر . قال أبو حيان : "وهو متيقن أنه على بينة من معرفة الله وتوحيده وما يجب له وما يمتنع . ولكنه أبرزه على سبيل الغرض والاستدراج

(١) سورة هود : آية ١٤

(٢) سورة هود : آية ٢٨

(٣) أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط ومواقعه فى القرآن الكريم ، محمود موسى

للاقرار بالحق وقيام الحجة على الخصم ولو قال انى على حق من ربى لقالوا له كذبت" (١).

ومنه قوله تعالى : {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٢)

فالشرط فى قوله "ان أردت أن أنصح لكم" مجزوم به ومتيقن منه نوح عليه السلام لأن ذلك هدفه ورسالته ، وانما أتى بـ"ان" مراعاة لحال الشك فى نصحه التى استحوذت على قومه .

قال الزركشى فى البرهان : "فالشرط وهو فعل الارادة "ان كان الله مشكوك فيه لكون الارادة بالفعل والترك فيكون وقوع الارادة بهذا الاعتبار مشكوكا فيه ويستلزم الشك أيضا ما يقتضيه الأدب مع الله تعالى ، والشرط المذكور وان كان متأخرا فى الذكر عن الشرط الأول الا أنه على نية التقديم لكونه متقدما فى الوجود عن الشرط "ان أردت" وهو بمثابة القيد فيه فالتقدير ان أراد الله أن يغويكم فان أردت أنصح لكم لاينفعكم نصحي فاعترض الشرط الثانى على الشرط الأول فى الذكر" (٣).

ومن الآيات التى جاء فيها الشرط بـ"ان" قوله تعالى : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} (٤).

فقد جاء الشرط بان التى شأنها المشكوك فيه ابعادا للمشاكسة والمخاصمة فى دعواه فتزل معهم فى كونهم ينتظرون منه طاعتهم . قال الامام الزخشرى : "ان كنت على بينة بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين ، فكأنه قال : قدروا أنى على بينة من ربى وأنى

(١) البحر المحيط ٢١٥/٥ .

(٢) سورة هود : آية ٣٤

(٣) البرهان للزركشى ٣٧٣/٢ .

(٤) سورة هود : آية ٦٣

نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله ، فقد راعى ذلك في حالهم" (١).

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِّنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاجُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} .

والنكتة في مجيء الشرط بان "ان كنت على بينة من ربي" هو مراعاة حال المخاطبين .

قال العلامة أبو السعود : "وايراد حرف الشك مع جزمه عليه السلام بكونه على ما هو عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم" (٢).

ومنه قوله تعالى : {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٣).

فالشرط في نظر قوم نوح وهو كونه من الصادقين مستحيل في اعتقادهم ، وهو يصور عدم تحققه واستحالة كذبا وبهتاناً منهم (٤).

ومنه أيضا حكاية عن نوح عليه السلام قوله تعالى : {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} (٥).

حيث علق نوح - عليه السلام - مجيء العذاب الذي استعجله قومه على المشيئة ومقتضى خلق النبوة التسليم وعدم الجزم بمشيئة الله الاتيان بالفعل وترك ذلك للمولى جل وعلا .

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ٣/ ٦٩ .

(٣) سورة هود : آية ٣٢

(٤) أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط ص ٢٣١ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ١٦٦ ، سورة هود : آية ٣٣

وقد يجيء الشرط ليؤكد استحالة وقوعه من الرسول كما في قوله تعالى : {وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (١) ، حيث جاء الشرط "ان طردتهم" فأكد استحالة وقوعه من الرسول شرعا وعادة يترتب عليه الجزاء لأن مدلوله انتفاء وجود نصير له من دون الله فيدل ذلك على انتفاء ملزومه وهو طرده عليه السلام للفقراء الذين اتبعوه (٢).

وقريب منه قوله تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ} (٣).

فان ترتيب الجزاء وهو نسبة الاجرام اليه مستبعد فيستلزم ذلك استحالة ملزومه .

وقد يكون الشرط بحرف الشك تجهيلا للقوم على فعلهم الشنيع ، تأمل قوله تعالى عن نوح عليه السلام : {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} ، فقد جاء الشرط "ان تسخروا" بحرف الشك تجهيلا لهم على سخريتهم واطهارا بأنه كان ينبغي منهم الايمان وأن يكون العناد والسخرية من الأمور التي يستبعد وقوعها منهم (٤).

ومنه قوله تعالى : {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٥).

فقد جاء الشرط "والا تغفر لي" منهم بعيد الوقوع لأن مقام النبوة يجعل نوحا عليه السلام راجيا المغفرة من الله تعالى متوقعا رحمته . فالشرط وهو المغفرة مدلولها في المستقبل ووقوعه بعد السؤال .

(١) سورة هود : آية ٣٠

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٣٦ .

(٣) سورة هود : آية ٣٥

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٠ .

(٥) سورة هود : آية ٤٧

ومنه قوله تعالى على لسان هود عليه السلام : إفا ن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ { (١) } .

فالشرط "فان تولوا" من كلام هود عليه السلام يحكيه القرآن عنه ، والتولى وان كان واقعا منهم حال خطابه اياهم فان فى اخراجه بـ"ان" مخرج المشكوك فيه تليينا لهم وترققا لمشاعرهم وإشارة "عرضية" بأنه لا ينبغي أن يكون .

الشرط بـ "لو" :

جاء في قوله تعالى : {قَالَ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَىٰ إِلَيَّ رُكْنًا شَدِيدًا} (١).

والتقدير - والله أعلم - لو كان لي ذلك لفعلت ما أستطيع به دفعكم ومنعكم . قال الزمخشري : وجواب "لو" محذوف كقوله تعالى : {وَلَوْ أَنِّي قُرْآنًا سُيِّرْتُ بِهِ الْجِبَالُ} (٢).

ومنه قوله تعالى : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} (٣).

اذ لا بد من حكمة وراء امتناع الجزاء المترتب على امتناع المشيئة يعلمها الله ، ويدركها الخاصة بمزيد من النظر والاعتبار ، ولعلها الابتلاء والاختبار بطبيعة الاختلاف بين المخلوقات (٤).

"إذا" :

قال تعالى : {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} (٥).

فالشرط قد وقع فعلا وجاء الشرط فيه على الحكاية لما مضى .

(١) سورة هود : آية ٨٠

(٢) انظر المرجع السابق نقلا عن الزمخشري ص ٤٩٤ ، والآية : الرعد : ٣١

(٣) سورة هود : آية ١١٨

(٤) تفسير الطبري ٦/٨ .

(٥) سورة هود : آية ٤٠

"أما" :

تأتي أما في القرآن الكريم للتفصيل والتوكيد ومن ثم فهي تجمع بين تأدية المعنى مؤكدا كما يقتضيه المقام (١).

وأما التفصيل فهو غالب أحوالها ، ومن ذلك قوله تعالى : {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ} (٢).

وسوف نعرض لهذه الآية في مبحث الاطناب أثناء حديثنا عن التفصيل بعد الاجمال ان شاء الله .

"من" :

وأما من في قوله تعالى : {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ} فهو للتفريع .

(١) أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين ، د. فتحى بسيونى حمودة ص ٩٠ .

(٢) سورة هود : آية ١٠٦-١٠٨

المبحث الثامن

الإلتفات

ويسمى شجاعة العربية (١)، والمادة تدور في اللغة : حول صرف الشيء عن وجهه (٢)، وهو في اصطلاح البلاغيين : التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها (٣). هذا هو المشهور عند الجمهور ، والمقصود بالطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب ، والغيبة .

وزاد السكاكي : "أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها" (٤)، فكل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكي ، من غير عكس .. وجعل منه بعضهم الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر والاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل ، وعن المستقبل بالماضي (٥).

وهذا اللون يعين المتذوقين على الايحاء بكثير من اللطائف والأسرار التي تكمن وراءه ، وله قدرة على استجلاب النفوس الواعية ، واستمالة القلوب الى كثير من المزايا وذلك بايقاظها وتحريكها ، وتلك ميزة يحرص عليها كل من المتكلم والأديب .

واذا كان الزمخشري قد أدرك القيمة الأدبية لهذا الفن فأشار اليه

-
- (١) انظر الخصائص لابن جني ٣٦٠/٢ ، المثل السائر ١٦٨/٢ ، الطراز ١٣١/٢ .
 - (٢) لسان العرب ، مادة (لفت) .
 - (٣) الايضاح ٨٦/٢ .
 - (٤) الايضاح ٨٧/٢ .
 - (٥) ينظر : المثل السائر ١٧٩/٢ ، الفوائد المشوق ص ٩٨ ، الطراز ١٣٢/٢ ، الاكسير في علم التفسير ص ١٤١-١٤٢ .

بقوله : "كأنه ضربة على أوتار النفس يزيد بها تنبيهها وإيقاظا أو هزا وتحريكا" (١).

فان ابن جني من قبله قد نبه على الأسرار التي يلتفت من أجلها في الكلام ، موضحا أن هذه الأسرار هي من خصائص التراكيب ومتطلبات السياق ، فهو يقول : "وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى الخطاب بما عادة أهل النظر أن يفعلوه ، وهو قولهم : ان فيه ضربا من الاتساع في اللغة لانتقاله من لفظ الى لفظ ، وهذا ينبغي أن يقال اذا عرى الموضع من غرض معتمد ، وسر على مثله تنعقد اليد" (٢).

ويتضح من كلامه أنه لا يقبل مايقوله المتقدمون على إطلاقه ، فليس يكفي في كل الالتفات أن يقال أن فيه ضربا من الاتساع في اللغة فذلك "عكاز العميان" وهذا الذي قاله المتقدمون انما هو من قبيل التسويغ اللغوي للالتفات ، ومثل هذا التسويغ لا يرفض ، ولم يرفضه ابن جني بدليل قوله : وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال . أن فيه ضربا من الاتساع في اللغة ، وانما ينبغي أن ينضم لهذا التسويغ اللغوي شيء آخر وهو تفسير الخصوصية البلاغية تفسيرا يكشف ماوراءه من مقاصد وأسرار ، وذلك غاية ما يطلب لقبول مثل هذه المخالفات الأسلوبية (٣).

وقد جاء من صور الالتفات في سورة هود الأنواع الآتية :

-
- (١) البلاغة القرآنية في تفسير الزخشرى ص ٣٧٠ .
 - (٢) المحتسب لابن جني ١/١٤٥ .
 - (٣) انظر الالتفات في ضوء أساليب القرآن ، د. ربيع محمد عبد المحسن ص ٤٥ .

أولا : الانتقال من الخطاب الى الغيبة .

فأول مايلقاك قوله تعالى : {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} (١).

في هذه الآية الكريمة التفات من الخطاب في أولها "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ" الى الغيبة في قوله "وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ" ، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقال ويؤتكم بأسلوب الخطاب ليجرى الأسلوب على وتيرته الأولى من الخطاب، ليحدث ايقاظا ولفتا ، لمن استغفر ربه وتاب فانه سيلقى جزاءه في اللحظة التي بذل فيها الفضل يجده رضى نفسيا وارتياحا شعوريا واتصالا بالله وهو يبذل الفضل أيا كان متجها به الى الله " (٢).

وكان نقل الحديث من الخطاب الى الغيبة فيه معنى التكريم لأولئك المستغفرين النائبين .

وقول الله تعالى : {وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} (٣).

تسوق لنا الآية الكريمة قصة مشركى مكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية البعث وتكذيبهم له وانكارهم لاعادة الخلق وقد شاهدوا آثار بدء الخلق ، وهو أعظم وأبدع ، ولكنهم قوم قد عميت أبصارهم وطمست قلوبهم عن الحقيقة .

وقد جاء نسق الآية الكريمة على أسلوب رائع بديع بما في الآية الكريمة من انتقال يحرك الأذهان ويلفتها الى شأن هؤلاء القوم مع نبيهم .

والانتقال هنا من الخطاب الى الغيبة فبعد أن أمر بمخاطبتهم عليه السلام "انكم مبعوثون" عدل عن الخطاب الى الغيبة فقال "ليقولن الذين كفروا" على خلاف ما يقتضيه ظاهر سوق الكلام اذ قياس الكلام أن يقال :

(١) سورة هود : آية ٣

(٢) انظر في ظلال القرآن ١٢/١٨٥٥ .

(٣) سورة هود : آية ٧

لتقولن حتى يسير الالتفات على وتيرة واحدة من الخطاب . وسر الالتفات هنا هو التشهير بحالهم والتعريض بقبيح صنيعهم ، فهو يبرز بشاعة مآثله وارتكبه في شأن القرآن وليذاع بين الناس ليتعجبوا من شأنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه تعريض بأن المقول لهم كفر .

وقول الله تعالى : {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ . وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} (١).

جرى الكلام على طريق الخطاب في قوله "ولا تخاطبني في الذين ظلموا" ثم انتقل الى أسلوب الغيبة في قوله "ويصنع الفلك" .

ان المولى جل وعلا يقص علينا حكاية قوم نوح - عليه السلام - بعد ماتليت عليهم الآيات البينات ، وقد قالوا له بعد جدالهم معه {قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٢).

وقد جاء الالتفات في سياق هذا التهديد من الخطاب الى الغيبة يشير الى أن الله سبحانه وتعالى يسوق العذاب بذاته العلية كيف شاء ولا يدع ذلك لأحد من خلقه .

يقول سيد قطب : "والتعبير بالمضارع ، فعل الحاضر هو الذى يعطى المشهد حيويته وجدته . فنحن نراه ماثلا لخيالنا من وراء هذا التعبير "يصنع الفلك" ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يرون به فيسخررون" (٣). ثم ان الأسلوب اذا نقل الى أسلوب آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد كما يقول جار الله الزمخشري ، وفيه أيضا تفخيم لشأن الرسالة والرسول .

(١) سورة هود : آية ٣٧-٣٨

(٢) سورة هود : آية ٣٢

(٣) في ظلال القرآن ١٢/١٨٧٧ .

ومنه قول الله تعالى : {حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل} (١).

جاء الكلام على طريق الخطاب في مخاطبة نوح عليه السلام "احمل فيها من كل زوجين اثنين" ثم انتقل الى الغيبة في قوله "وما آمن معه الا قليل".

في هذه الآية يمتن الله على عباده بتنجيتهم من خطر طوفان عات وأمواج هادرة بدل الله تعالى فيها أمنهم خوفاً ، ثم أحاطهم بعنايته ورحمته ، فاذا هم مستقرون في الفلك آمنون فيها ، وكأنها قد تحولت الى مساكن على أرض يابسة تحميهم من أمواج تتقاذفها ، وأمواج تحيط بها ، وسيول تنهمر من فوقهم وهذا ما يعنيه قوله "قلنا احمل فيها من كل زوجين" ، ثم ينتقل السياق الى من سبق عليه القول وهو من قضى الله عليه أن يهلك مع الهالكين ، ثم ينتقل مرة أخرى الى المؤمنين "وما آمن معه الا قليل" ، وفي هذا لفت وتنبيه لهم فهؤلاء المؤمنون هم الذين استردلتموهم واحتقرتموهم فقد أصبحوا بإيمانهم في معية الله وكنفه (٢).

(١) سورة هود : آية ٤٠

(٢) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، د. محمد الأمين الخضري ص ٦١ .

ثانيا : الالتفات من الغيبة الى الخطاب .

وحقيقته أن يكون أولا بلفظ الغيبة ثم يحدث عدول وانتقال من ذلك الى الخطاب . والغيبة هنا لا تخص ضمير الغيبة فالاسم الظاهر يعد من قبيل الغيبة ، ثم ان سر العدول هنا - كما هو الشأن في كل التفات - ليس أمرا واحدا وانما يتعدد بتعدد المقامات والأحوال فمن ذلك قوله تعالى : { ... وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } (١).

موطن الالتفات هنا "وان تولوا بعد" ، "ويؤت كل ذي فضل فضله" حيث التفت من الغائب الى الخطاب في "وان تولوا فاني أخاف" ، والالتفات كما هي فائدته العامة لفت وتنبيه لهم وهذا يعني أنه ينكر عليهم ما هم فيه من الاعراض ، فالأمر خطير محتاج الى تدبر وترو . وفي التفاته "فاني أخاف" مايدل على حرصه وخوفه على قومه ألا يقعوا في العذاب الكبير .

وقوله تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٢).

في هذه الآية جرى الأسلوب على طريق الغيبة "أم يقولون افتراه" ثم التفت الى طريق الخطاب في قوله "فأتوا بعشر سور" .

وجاءت الآية في معرض التحدى لمشركي مكة حيث طلب منهم كلاما يضاهي القرآن في سمو بيانه وبلاغته . فالالتفات هنا فائدته هي اظهار التحدى والاعجاز لهؤلاء القوم ، كما أن فيه لفتا وتنبيها لهم لأن فيه انكارا على مقولتهم البشعة ، ثم هو مجابهة لهم بباطلهم ورمى به في وجوههم .

ومنه قوله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } (٣).

في هذه الآية الكريمة التفات من الغيبة الى الخطاب بعد أن أخبر الله عن ارسال نوح - عليه السلام - الى قومه وهو من الغيبة الى الخطاب بقوله

(١) سورة هود : آية ٣

(٢) سورة هود : آية ١٣

(٣) سورة هود : آية ٢٥

"انى لكم نذير مبين" ، وسره البلاغى هو ماتقتضيه فائدته العامة من لفت وتنبيه لهؤلاء القوم وايقاظ لمشاعرهم وهز وتحريك للعواطف كما يقول الزمخشري . كما أن فيه اقبالا عليهم بعد ارساله اليهم .

ومن الالتفات من الغيبة الى الخطاب قوله تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِّي افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ } (١).

جرى الأسلوب على طريقة الغيبة "أم يقولون افتراه" ، ثم انتقل الى الخطاب فى "وأنا برىء مما تجرمون" وكان قياس الكلام لو جاء على مقتضى الظاهر أن يكون مما يجرمون ، ولكنه التفت لغرض وسر بلاغى فما هو ؟ يقول الطاهر بن عاشور : "وفى هذه الجملة توجيه بديع وهو افادة تبرئة نفسه من أن يفترى القرآن ، فان افتراء القرآن دعوى باطلة ادعوها عليه فهى اجرام منهم عليه فيكون المعنى ، وأنا برىء من قولكم الذى تجرمونه على باطلا" (٢).

ومنه قوله تعالى : { وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } (٣).

قال : "وأوحى الى نوح" فجاء على طريقة الغيبة ، ثم قال : "انه لن يؤمن من قومك" - ثم : "فلا تبتئس" فنقل الأسلوب الى الخطاب وكان مقتضى ظاهر السياق أن يسير الأسلوب على وتيرة الغيبة فيقال "قومه" ولكنه التفت الى الخطاب ليحدث ايقاظا ولفتا عند هذا المقطع وفيه تقريع وتوبيخ لهؤلاء القوم ، فالخطاب مشعر بأن السخط من الجبار القوى نازل على هؤلاء القوم وهم لا يزالون بعد يرتعون فى هذه الحياة الدنيا . قال الزمخشري : "فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايدائك ومعاداتك فقد حان الانتقام لك منهم" (٤).

(١) سورة هود : آية ٣٥

(٢) التحرير والتنوير ٦٥/١٢ .

(٣) سورة هود : آية ٣٦

(٤) الكشاف للزمخشري ٢٦٨/٢ .

ومن الالتفات قوله تعالى : {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} (١).

جاء الكلام على طريقة الغيبة "ونادى نوح ابنه وكان في معزل" ، في نداء نوح - عليه السلام - لابنه ثم انتقل الى طريق الخطاب "يا بني اركب معنا" ليحدث ايقاظا ولفتا وتنبيها لابنه وما كان عليه من خطر ، وكان القياس أن يقال : قال له اركب معنا .

ومنه قوله : {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (٢).

جاء الالتفات من الغيبة "ونادى نوح ربه" الى الخطاب "فقال رب" لأنه مثل بوجدانه أمامه ثم ان في النقل تجديدا لنشاط المتلقى وجذبا لانتباهه للاصغاء الى ما يقرع اذنه خشية الملل والضجر مما لو سار الأسلوب على وتيرة واحدة .

ويجىء الالتفات في خطابات الأنبياء مع أقوامهم لمحاكاة أقوالهم وترقيق قلوبهم واستمالة نفوسهم وترغيبهم بما يأتي به كل نبى من وحى الهى ، وقد ورد ذلك في المواضع الآتية :

مع هود عليه السلام : {وَأِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} (٣).

مع صالح عليه السلام {وَأِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ ..} (٤).

ومع شعيب {وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ} (٥).

وقد جاء الالتفات في الآيات السابقة من الغيبة : عاد أخاهم .. ثمود أخاهم .. الى اخطاب : يا قوم ، والغرض منه التودد اليهم والانه الحديث معهم ليقبلوا عليه ويطيعوه ، فان الرائد لا يكذب أهله .

(١) سورة هود : آية ٤٢

(٢) سورة هود : آية ٤٥

(٣) سورة هود : آية ٥٠

(٤) سورة هود : آية ٦١

(٥) سورة هود : آية ٨٤

ثالثا : الانتقال من الخطاب الى التكلم .

والذى يمكن أن يمثّل به للالتفات من الخطاب الى التكلم هو قوله تعالى
 فى قصة صالح - عليه السلام - : {وَالْيَٰسِئُرَةُ أُمَمٌ خَالِفَةٌ مِّنْ أَمَمِهِمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ
 تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} (١).
 وكذلك قوله تعالى : {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ} (٢).

فان مقتضى ظاهر السياق فى الآية الأولى "ان ربكم قريب مجيب"
 وكذلك الثانية القياس فيها أن يقال : "ان ربكم رحيم ودود" ليجرى اللاحق
 على سنن السابق ولكنه خالف الظاهر والتفت عن الخطاب الى التكلم ، وبذا
 يكون قد عبر عن الذات الواحدة بطريقتين مختلفتين . وفى هذا العدول اشارة
 الى أنه مثلهم فى طلب استغفاره واستئزال رحمته وعفوه ، وفى هذا تأنيس
 لهم واستمالة لنفوسهم كما أن فى تذييل الآيتين تبشيرا للذين يستغفرون
 ربهم ويتوبون اليه فانه سبحانه وتعالى يقبل التوبة من عباده التائبين
 المستغفرين يفتح أمامهم أبواب عفوه ورحمته مودة منه واحسانا (٣).
 تلك هى مواطن الالتفات التى بدت لى فى السورة ، وقد حاولت
 استجلاء بعض أسرارها البلاغية ، وهذا الفن كلما أمعن البليغ النظر فى
 مواطنه من الكلام الرفيع ظهرت له وجوه من الحسن تزيده احساسا بجمال
 الصياغة وروعة البيان .

(١) سورة هود : آية ٦١

(٢) سورة هود : آية ٩٠

(٣) انظر الالتفات فى ضوء أساليب القرآن ص ٢٢٥ .

المبحث التاسع

الايجاز

الايجاز نوعان : ايجاز قصر ، وايجاز حذف يعترى الكلام .
والحذف فن عظيم من فنون القول ، ومسلك دقيق في التعبير وهو
"لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر
أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدر أنطق ماتكون
إذا لم تنطق ، وأتم ماتكون بيانا إذا لم تبين" (١).
وقد أشاد البلاغيون كثيرا بفن الحذف ، وأفصحوا عن ملاحه الجمالية
فقعدوا له القواعد ووضعوا الشروط وأظهروا المزايا .
ويمكن تصنيف الحذف في السورة على ثلاثة أنواع منه :

- (١) حذف حرف .
 - (٢) حذف بعض الجملة .
 - (٣) حذف جملة فأكثر .
- وهذا كله داخل في الايجاز بالحذف .

(١) دلائل الاعجاز ص ١٤٦ .

حذف الحرف :

وقد جاء حذف الحرف في السورة في مواضع متعددة ، وسوف نتناول

نوعين من الحروف :

أولهما : حذف الحرف الذى هو جزء من الكلمة ، وغالبا مايكون في آخر الكلمة ، وهذا الحرف نال عناية النحاة حيث تناولوه تحت باب الترخيم في النداء . غير أنه لم ينل عناية البلاغيين .

وثانيهما : حذف حرف من "حروف المعاني" مثل "يا" في النداء ، ولا النافية ، وواو القسم ، وهذا النوع قد أولاه البلاغيون عناية أكثر من سابقه . أما النوع الأول فقد ورد منه في السورة في المواضع الآتية :

قوله تعالى : {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ} (١)، ففي حذف حرف النون في "تك" دلالة على القلة الضئيلة فهو نهى عن التعرض لأدنى شك في بطلان عبادة المشركين (٢).

وفي مخاطبات الرسل لأقوامهم تكرر حذف الحرف الأخير من الكلمة كثيرا كما في قوله تعالى : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي} ، {وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا} (٣)، وقد تكرر النداء "ياقوم" على لسان هود وصالح وشعيب .. في سورة هود عليه السلام وفيه حذف ياء المتكلم في كلمة ياقوم ، وسره البلاغى هو فضيلة الايجاز البياني ، لأنه استثمار أقل مايمكن من الألفاظ في الدلالة على أكثر مايمكن من المعاني وفيه ترقيق لمشاعر قومه واستعطافهم واستمالتهم للدخول في منهج الله الذى يدعو اليه .

ونجد هذا الحذف لحرف النداء في قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}، وقوله : {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} (٤). فقد جاء حذف الياء مع "رب" في هذه الآيات للمبالغة في تصوير

(١) سورة هود : آية ١٠٩

(٢) انظر الأساليب الانشائية ص ٩٣ .

(٣) سورة هود : آية ٢٩

(٤) سورة هود : آية ٤٥، ٤٦

قرب المنادى "رب" حيث أن معناه المربي والسيد والمالك ، وهو بهذه المعانى من شأنه أن يكون قريباً حاضراً لا يحتاج فى ندائه الى وسائط (١).

وشبيه بما تقدم قوله تعالى : {رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} (٢)، وفى حذف حرف النداء فى "أهل" اشعار بقربهم من الله عز وجل فهم أهل بيت النبوة ثم ان فيه فضيلة الايجاز البياني كما تقدم .

وقد يأتى حذف الحرف الأخير من آخر الأفعال التى ترد فاصلة كما فى قوله : {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ، {وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} ، {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} مفعولاً به ولا تستقل مراعاة الفاصلة كما يقول المفسرون غرضاً ينهض بتفسير دلالة المحذوف لمجئ الحذف فى غير الفاصلة كما فى قوله : {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ، فنجد أن حذف "الياء" من "تسألن" لا ارتباط له بالفواصل ومراعاتها. ومع أن المقتضى البلاغى للحذف هو فضيلة الايجاز البياني ، لأنه استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ فى الدلالة على أكثر ما يمكن من المعانى ، وهذا هو منهج القرآن ، فقد جاءت مواطن الحذف لتفيد أيضاً أن الحذف جاء ملائماً لمقاماتها ومقتضيات النظم فيها .

ففى حذف الحرف فى قوله {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} كلام صادر من المولى عز وجل لنوح مفيد أن الأمر قد بلغ مبلغه ، فالنهي جاء لما يتوقعه من سؤال نوح عليه السلام مرة أخرى ، فناسب هذا أن يحذف الحرف من "تسألن" لضيق المقام تعليماً له وارشاداً ، فالأمر لا يحتاج الى مساءلة . وهكذا .

(١) انظر خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية ٤٢١/٢ .

(٢) سورة هود : آية ٧٣

حذف بعض الجملة :

تتجلى بلاغة حذف الكلمة في تنقيح العبارة وتجليتها واثراء معانيها وقوة حبكها .

هذا وقد جاء حذف جزء الجملة في المسند اليه وفي غيره :

أولا : حذف المسند اليه .

(أ) حذف الفاعل :

يحذف الفاعل عند بناء الفعل للمجهول اذ النائب ليس هو المسند اليه في الحقيقة ، وقد ورد ذلك في الآيات التالية .

وأول ما يلقانا في قوله تعالى في نهاية قصة نوح عليه السلام : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (١) .

فقد حذف الفاعل في قوله "وقيل ، غيض ، وقضى" دليل على أن الفعل حاصل على سبيل الحسم والقطع والسرعة وكأنه حادث بنفسه ، لاسيما وأن الكلام صادر من المولى جل وعلا ، ثم ان فيها اختصارا للكلام وفيه دليل على قدرة الأمر ، وتفرد بالاعتقاد على ذلك .

وقد يكون بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل لتحاشي ذكره وللعلم به كما في قوله تعالى : {وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} (٢) .

وشبيه بما تقدم قوله تعالى : {وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ}

وقد يكون حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول في قوله تعالى : {وَلَقَدْ

آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ} (٣) للعلم به ، وهم اليهود .

(١) سورة هود : آية ٤٤

(٢) سورة هود : آية ٦٠

(٣) سورة هود : آية ١١٠

(ب) حذف المبتدأ :

من الملاحظ أن حذف المبتدأ قد ندر في سورة هود عليه السلام ، فلم يرد الا في موضع واحد من السورة وهو قول الله تعالى : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (١)، والتقدير "هذا كتاب أحكمت".

ثانيا : حذف المسند :

(أ) حذف الخبر :

كقوله تعالى فيما دار بينه سبحانه وبين نوح عليه السلام : {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ، ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٢).

والتقدير : منهم أُمم سَنُمَتِّعُهُمْ ، فحذف الخبر مقدما لدلالة ما سبق عليه فان هؤلاء القوم الذين يمتنعهم الله ثم يمسه من عذاب أليم ليسوا من جملة الذين تنزل عليهم بركات الله سبحانه ، والمقصود بهم الأمم المتناسلة والمتشعبة منهم وقد حذف الخبر لدلالة السياق عليه والاشعار بمدى الانقطاع بين الأمم الأولى والمتشعبة منها (٣).

وقد يحذف الخبر لتخفيف الكلام مما يستغنى عنه لوضوح الدلالة عليه كقوله تعالى : {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ...} أى سلام عليكم .

وشبيه بما تقدم قوله تعالى : {مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} أى ومنها حصيد ، وقوله : {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} (٤)، أى ومنهم سعيد ، وقوله : {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} والتقدير ولهم فيها شهيق ، فقد حذف المسند فيها لتخفيف الكلام مما يستغنى عنه لوضوح الدلالة عليه .

(١) سورة هود : آية ٢

(٢) سورة هود : آية ٤٨

(٣) انظر الحوار في القرآن الكريم ص ٣٨ .

(٤) سورة هود : آية ١٠٠، ١٠٥

ومنه قوله تعالى : {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} (١) ، والتقدير : "لولا رهطك موجودون" .

(ب) حذف الفعل :

في قوله تعالى : {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ أَىٰ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ خِزْيِ .
ومنه ما تكرر في السورة من مثل قوله : {وَأِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} ، أَىٰ وأرسلنا عطفًا على "ولقد أرسلنا نوحًا" .

ثالثا : حذف المفعول .

اهتم البلاغيون بحذف المفعول ، وأولوه عناية خاصة لم يولوها لغيره من المحذوفات . وقد لوحظ أن الفعل المتعدى يأتي من غير أن يكون له مفعول ، وله حينئذ دلالتان :
* أن يكون الغرض مجرد اثبات المعنى للفاعل من غير نظر الى شيء وراء ذلك .

* أو يكون القصد هو الوقوف بالفعل المتعدى عند فاعله حجازا عن التعدى الى مفعول ، وإنما يأتي هذا للمبالغة التي تتنوع جهاتها ، ولعل هذا مما يكثر مجيئه في سياق الحديث عن ذات الله - سبحانه - اثباتا للصفات المقدسة .

يقول الدكتور صباح دراز : "ويكثر حذف المفعول لاثبات الصفة في الفواصل القرآنية نحو (لقوم يعقلون) ، (يشكرون) ، (يذكرون) ، (يتقون) (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، مبالغة في اثبات هذه الصفات اطلاقا لها من كل قيد" (٢) .

وقد وردت أفعال في سورة هود لها هذه الدلالة :

(١) سورة هود : آية ٩١

(٢) انظر الاعجاز البلاغى ص ١٢٤ .

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ، {وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} ، {فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ} ، {فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} ، {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} ، {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ، {وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} (١) .
حذف المفعول للتعميم :

جاء حذف المفعول للتعميم في مقام التحذير لادخال الرعب في قلوب المنذرين كقوله تعالى حكاية عن شعيب وقومه : {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} (٢) ، فانه قال : "وارتقبوا" ولم يحدد ما يرتقبون ليقع الرعب في قلوبهم .

حذف المفعول لضيق المقام :

قد يؤدي ضيق المقام لحذف المفعول كقوله تعالى مما دار بين نوح عليه السلام وابنه {يَابُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ} (٣) ، فان التقدير اركب معنا السفينة ، حذف المفعول لتعينه ولضيق المقام لأن بين نجاة من نجا وهلاك من هلك لحظات خاطفة ، ولأن الحرص على المعية والنص عليها أهم من تعيين المفعول في هذا المقام .
ومنه قوله : {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} (٤) أى تغفر لى ذنوبى .

حذف الجار والمجرور :

قد يحذف الجار والمجرور اختصارا لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ} (٥) أى على مكائتى .

(١) سورة هود : آية ٢٩، ٥١، ٣٦، ١٧، ٢١، ٢٠ ،

(٢) سورة هود : آية ٩٣

(٣) سورة هود : آية ٤٢

(٤) سورة هود : آية ٤٧

(٥) سورة هود : آية ٩٣

وقد يطوى الجار والمجرور في مقام دعوة الرسل لأقوامهم، لتخفيف الكلام مما قد يسبب المجافاة أو لدلالة الكلام أو للتكثير كقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام {ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين} أى بالله وبما أرسلت به اليكم .

ومنه قوله تعالى : {ذلك وعد غير مكذوب} أى فيه .

حذف جواب الشرط :

وقد يحذف جواب الشرط لزيادة الحث والتأكيد والنصح كقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام : {ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره} (١)، حتى قوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين . أى فبقية الله خير لكم ، ولقد قال قبل الشرط "خير لكم" مسارعة الى بيان أن هدفه نصحهم فهو يغريهم بالقبول أولاً ثم تناول المعنى في الشرط مرة ثانية تأكيداً للنصح وزيادة في الاغراء ، لكنه وضع للمعنى في المرة الثانية شرط الايمان والتصديق اشارة الى أن التخلي عن تلك المعايير الخلقية والاجتماعية ينبغي أن يكون في اطار الايمان بالله والتصديق برسالته ونحو ذلك مع المجازاة ودفع الخصم الى التأمل فرمما أدى ذلك الى مراجعة نفسه وقوله تعالى : {قال ياقوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا} تقدير الجواب أتقولون في شأني مما لاخير فيه ولاشر .

وشبيه به قوله تعالى : {وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم} (٢)، أى فمن ينصرني . وقوله : {فمن ينصرني من الله ان عصيته} .

ونلاحظ الحذف في قول نوح عليه السلام - عندما يؤس من قومه وعدم قبولهم دعوته ، وقد أدى حذف جواب الشرط دورا في الاشعار بهذا اليأس وتأكيده في قوله تعالى : {ولاينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون}، فان في كلامه شرطين

(١) سورة هود : آية ٨٤

(٢) سورة هود : آية ٦٣

جوابهما يكاد يكون واحدا يدل عليه قوله قبلهما {ولا ينفعكم نصحي} وملاحظة المحذوف قد يؤدي الى الاحساس بشيوع اللهجة اليائسة والتي لم تأت الا بعد أن استنفد نوح عليه السلام معهم كل محاولة ممكنة حتى استنفد سبل الترغيب والمجارة والتحذير^(١).

حذف المتضايين :

يحذف المضاف كثيرا كضرب من التوسع في اللغة ، وايراد المعنى في قليل من اللفظ ، فان المضاف اذا حذف سهل تصويره . وقد ذكر العز بن عبد السلام في كتابه^(٢) الآيات التي حذف فيها المضاف في سورة هود وحسبنا أن نشير الى شيء منها ، ونذكر سرها البلاغي ، فمنها قوله تعالى : {وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} ، أى ويؤت كل ذى فضل ثواب فضله . وقوله : {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أى فى مقدار ستة أيام .

وقوله : {فَلَاتَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} أى فلاتك فى شك من انزاله انه الحق من ربك .

وقوله : {أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} أى أولئك الذين خسروا حظوظ أنفسهم من خير الآخرة ونعيمها .

وقوله : {يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} أى يجادلنا فى انجاء قوم لوط .

وقوله : {وَلَوْلَا رَهْطُكَ كَرَجَمْنَاكَ} أى ولولا حرمة رهطك لرجمناك .

وقوله : {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}^(٣) أى ان الحسنات يذهبن

عقوبات السيئات .

(١) انظر الحوار فى القرآن الكريم ص ٤٨ .

(٢) الاشارة الى الایجاز فى بعض أنواع المجاز ص ١٥٦ .

(٣) سورة هود : آية ٣، ٧، ١٧، ٢١، ٦، ٧٧، ٩١ .

هذه بعض الآيات التي حذف فيها المضاف ودليل الحذف واحد في الجميع هو عدم صحة تعلق الحكم المستفاد من السياق بالمذكور من اللفظ . والذي يعنينا هو السر البلاغى في الحذف وهو اظهار المعنى في صورة أتم وأبين وعلى وجه أقوى وأشمل . وهذا المقتضى البلاغى يعم كل موضع حذف فيه المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (١).

(١) خصائص التعبير في القرآن الكريم ص ٤٥٤ .

المبحث العاشر

الاطناب فى السورة

الاطناب فى اللغة : البلاغة فى المنطق والوصف مدحا كان أو ذما ، وأطنب فى الكلام : بالغ فيه ، وأطنب فى الوصف : اذا بالغ واجتهد . وأطنب فى الكلام - أيضا - اذا أبعد ، وأطنب الابل : اذا تبع بعضها بعضا فى السير^(١). وهى معان كلها تدل على الطول والتتابع .

وفى اصطلاح البلاغيين : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة^(٢). ولهذا الفن أساسه النفسى من رغبة المتكلم فى الافاضة ، وفى هذا دلالة على فكر غنى وشعور زاخر وحس متوقد فى تصور المعنى .. وهو وفى نفس الوقت ملائم لأحوال خاصة تستلزمه ، وقد ذكر البلاغيون أنواعا كثيرة منه وأشاروا الى خصائصها البلاغية^(٣).

وقد ورد الاطناب فى السورة فى عدة مواضع منها قوله تعالى : {وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} ^(٤)، حيث لم يقل الظالمين وعدل عنه الى قوله "الذين ظلموا" لما يحتمل الأول من استمرار الظلم الذى لا يلائم المساس ولا تكون به المبالغة التى تحصل من لفظ الثانى من وقوع الظلم على سبيل التقليل ليناسب المعنى معنى الركون ومعنى المساس وتحصل المبالغة ، لأنه سبحانه اذا نهى عن الركون الى من وقع منه قليل الظلم نهى عن الركون الى من استمر منه الظلم بطريق أولى واذا نهى عن الركون الى الظالم كان النهى عن فعل الظلم أخرى^(٥).

(١) معجم المصطلحات البلاغية ، أحمد مطلوب ٢٢٤/١ .

(٢) المثل السائر ١٢٨/٢ .

(٣) المطول ص ٢٩١ وما بعدها ، وانظر الأطول ٣٢/٢ .

(٤) سورة هود : آية ١١٣

(٥) انظر اعراب القرآن وبيانه ، أ. محي الدين الدرويش ٤٤٤/١٢ .

كذلك نلمس البسط في قوله عن قوم صالح - عليه السلام - {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (١)، حيث لم يكتف بقوله "وأخذ الذين ظلموا الصيحة" حتى أتبعه بالنتيجة الحاسمة "فأصبحوا في ديارهم جاثمين" لظلمهم وطغيانهم على من سواهم .

والاطناب باد في قوله تعالى عن شعيب - عليه السلام - {وَالَيْ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ، وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (٢) حيث لم يكتف بالأمر "اعبدوا" حتى أعقبه بالنهي "ولا تنقصوا المكيال والميزان" ، ثم أفاض في أمر ايفاء الكيل ، أوفوا المكيال وأعقبه بضده ولا تبخسوا الناس . ثم جاء النهي عاما بقوله "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" .

ولعل البسط هنا قد لاءم المقام من ابراز فضل الله عليهم في قوله "انى أراكم بخير" ثم تجليته موقعهم من آثار هذه النعمة .
ومنه قوله : {كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ} (٣).
وفي خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أو المؤمنين يجيء الاطناب {فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا} (٤)، فقوله "ولا تطغوا" جاء مؤكدا لقوله فاستقم كما أمرت .

وقد جاء على صور الاطناب الشواهد الآتية :

-
- (١) سورة هود : آية ٦٧
(٢) سورة هود : الآيات ٨٤، ٨٥
(٣) سورة هود : آية ٩٥ حيث شبه وجودهم بالعدم بعد ذكر هلاكهم .
(٤) سورة هود : آية ١١٢

أولا : التذييل :

وهو تعقيب الكلام بجملة تشتمل على معناها للتوكيد ، سواء كان تأكيد مفهوم أو منطوق ، وقد يكون هذا التعبير مستقلا يجرى مجرى المثل وقد يرتبط بالكلام السابق فلا يفصل عنه (١).

وقد قال العسكري - رحمه الله - : "وللتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير ، لأن المعنى يزداد به اشراقا والمقصد اتضاحا" (٢). وقد جاء التذييل بأسماء الله الحسنى وصفاته مؤكدا بان في المواضع الآتية :

فأول ما يلقاك منها قوله : {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُزْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} وفيه تعليل بأن الله وعد من آمن منهم بنجاتهم وذلك بأن هيا لهم هذه السفينة ليبقى نسلهم وذلك من غفرانه ورحمته . و"ان" هنا تفيد توكيد التذييل وفيها تحقيق لاتباعه بأن الله رحمهم بأن أنجاهم من الغرق (٣).

وقد يكون في التذييل بالأسماء والصفات المقدسة تأنيس للمخاطبين واستمالة لنفوسهم كما في قوله تعالى : {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} (٤). وشبيه بهذا قوله تعالى : {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (٥).

ففى تذييل الآيتين تبشير للذين يستغفرون ربهم ويتوبون اليه فانه سبحانه يقبل التوبة من عباده التائبين المستغفرين يفتح أمامهم أبواب عفوه ورحمته مودة منه واحسانا .

(١) انظر : الايضاح ص ٢٠٠ ، المطول ص ٢٩٤ ، شروح التلخيص ٢٢٥/٣ .

(٢) الصناعتين للعسكري ص ٤١٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٧٤/١٢ . والآية من سورة هود : ٤٣

(٤) سورة هود : آية ٦١

(٥) سورة هود : آية ٩٠

وقد يلحظ في التذييل معنى التهديد والوعيد {فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوى العزيز} (١).

وقد أكد بان وضمير الفصل لأن المقام مقام انتقام فتتجلى فيه الصفة الالهية قوية فائقة كل تصور ليصيب الهول الأكبر أهله وتنسكب الرحمة على ذويها . وناسب ذكر هذين الاسمين هنا لمناسبة قهره هؤلاء القوم الذين ظنوا أنهم قادرون على التمرد على الله ، فجاء التذييل بأسلوب القصر مبينا قوته وانها تفوق كل قوة فلا يستطيع أحد الافلات منها (٢).

وقد يكون التذييل تأكيدا لما قبله كما في قوله تعالى : {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون} (٣) ، وفيه اخبار بما سيقع وتوضيح لسبب الأمر بصناعة الفلك .

وفي قوله : {قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد} (٤) تعليل للخبر الأول المتضمن افاضة الله عليهم ورحمته وبركاته .

التذييل والمثل :

ولم يرد في السورة الا في قوله : {ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب} (٥) تذييل ثان لجملة ان موعدهم الصبح ، حيث يجرى ايراده في كل مقام مشابه لذلك كما هو الشأن في قوله : {وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا} (٦).

(١) سورة هود : آية ٦٦

(٢) انظر أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ص ١٤٧ .

وانظر معارج الصعود الى تفسير سورة هود للشنقيطي ص ١٦٩ .

(٣) سورة هود : آية ٣٦

(٤) سورة هود : آية ٧٣

(٥) سورة هود : آية ٨١

(٦) سورة الاسراء : آية ٨١

ثانيا : التتميم :

التتميم في اللغة قولهم : تمه : اذا أكمله ، وتمام الشيء وتمامته وتتمته ماتم به ، وتتمة كل شيء : مايكون تمام غايته^(١).
وهو في اصطلاح البلاغيين : أن يؤتى في كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة^(٢).

ومن مجيء التتميم لهذا المعنى قوله تعالى : {وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين}^(٣) أى كل ماتقدم ذكره مثبت في اللوح المحفوظ لمن ينظر اليه من الملائكة عليهم السلام ، وهذا يدل على عموم علمه سبحانه وتعالى . قال الطيبي في قوله "كل في كتاب مبين" : "والجملة كالتتميم لمعنى وجوب تكفل الرزق كمن أقر بشيء في ذمته"^(٤).

"وقيل انها تحقيق للعلم وكأن الله جل وعلا لما ذكر أنه يعلم مايسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على عموم علمه"^(٥) ولعل الرأى الأول أولى وأسلم.

ومن أمثله قوله تعالى : {وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام}^(٦). يقول الشهاب : "خلق الأرض وما فيها للابتلاء ظاهر وأما خلق السموات فذكر تتميما واستطرادا مع أنها مقر لملائكته الحفظة"^(٧).

(١) اللسان ، مادة (تم) .

(٢) الايضاح ٢٣٥/٣ .

(٣) سورة هود : آية ٦

(٤) روح المعانى ٣/١٢ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦) سورة هود : آية ٧

(٧) حاشية الشهاب ٧٣/٥ .

ثالثا : التفصيل بعد الاجمال :

وهو فن قريب من التقسيم ، وقد أشار ابن أبي الاصبغ الى أن التفصيل على قسمين متصل ومنفصل ، فالمتصل منه كل كلام وقع فيه اما وأما .. ، وقيل ذلك اجمال وما بعد أما تفصيل (١).

ومن شواهد قوله تعالى : {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ} (٢).

يقول ابن كمال باشا : "فمنهم شقى : وجبت له النار تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس الا باذنه بانقسامهم الى قسمين اجمالا وتقديم الشقى على السعيد لأنه المفهوم أولا في مرتبة الاجمال .. فأما الذين شقوا ففي النار شروع في تفصيل أحوال الصنفين" (٣).

(١) بدیع القرآن ص ١٥٤ .

(٢) سورة هود : آية ١٠٥-١٠٨

(٣) تفسير ابن كمال باشا ٣١٤/٢-٣١٥ .

رابعاً : ذكر العام بعد الخاص :

ويؤتى به لافادة العموم مع العناية بشأن الخاص .

قال الزركشى : "وهذا أنكر بعض الناس وجوده وليس بصحيح" (١)، ومثل له بقوله تعالى : {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي} (٢)، والنسك العبادة فهو أعم من الصلاة .

ومما ورد منه في السورة قوله : {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} (٣)، فالتوبة أعم من الاستغفار لأن التوبة هي الاقلاع عن عمل ذنب مع تصحيح العزم على عدم العودة اليه والاستغفار طلب المغفرة على ذنب مضى .

وشبيهه بهذا قوله تعالى : {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ} (٤).

وقوله : {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا} (٥).

(١) انظر أساليب بلاغية ، د. أحمد مطلوب ص ٢٣٤ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٢

(٣) سورة هود : آية ٣

(٤) سورة هود : آية ٦١

(٥) سورة هود : آية ٥١

خامسا : الاحتراس :

الاحتراس في اللغة : مصدر احترس ، يقال : احترس منه ، تحرز ، وتحرس من فلان ، واحترست منه بمعنى : أى تحفظت منه (١).

وفي اصطلاح البلاغيين : "أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه" (٢)، وقد قال ابن يعقوب : وأما تسميته بالاحتراس فهو من باب حرس الشيء حفظه ، وهذا فيه حفظ المعنى ووقايته من خلاف المقصود ، لأن ما أتى به فيه يحترز به عن خلاف المقصود (٣).

وهو نوع من الاطناب يحرص فيه المتكلم على تخلص كلامه من معنى غير مقصود قد يسبق الى وهم السامع ، فيأتى في حديثه بما يدفع هذا الابهام. وقد تحقق هذا في قول الله سبحانه وتعالى على لسان نوح - عليه السلام - {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} (٤) جاء فيها تعبير "ان شاء" تأدبا مع الله كالاحتراس ، ولعل نوحا عليه السلام كان يوقن بتزوله بهم فيكون التعليق بـ"ان شاء" منظورا فيه الى كون العذاب معجلا أو مؤخرا ، وقد جاء حديثه عليه السلام دفعا لما يتوقعونه من أنه سيأتي بالعذاب (٥).

وكذلك قوله تعالى : {وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فانه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان ، أعقبه بالدعاء على الهالكين ، ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميع من هلك كان مستحقا للهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب ، فلما دعا على الهالكين علم أن كل هالك كان مستحقا للهلاك ، لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل فلا يدعو الا على من يستحق الدعاء ووصفهم بعد الدعاء عليهم بالظلم ، فان لم يكونوا

(١) لسان العرب ، مادة (حرس) .

(٢) الايضاح ٢٣١/٣ .

(٣) مواهب الفتاح ٢٣١/٣ .

(٤) سورة هود : آية

(٥) التحرير والتنوير ٦١/١٢ .

ظالمين كما أخبر عنهم فقد دخل خبره الخلف ، وخبره متزه عن ذلك ، فوقع هذا الدعاء وهذا الوصف احتراسا من ذلك الذى قدر توهمه "(١).

ومما ورد منه قوله تعالى : {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} فجاءت جملة "الا الذين صبروا" احتراسا من أن يسبق الى الوهم ماسبق من ثبوت الاتهام السابق وهو قوله تعالى : {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافُورٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءٍ...} فجاء الاحتراس مستثنى من الانسان ، اذ المراد به صنف غير الصنف السابق وهم المؤمنون بالله ولذلك أوتر وصف صبروا دون آمنوا "لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار فى قوله {انه ليؤوس كفور} وفيه تنفير من الوقوع بما يماثل صفات الكافرين ، فصفتا اليأس وكفران النعمة وفتنا الفرح والفخر ليست من صفات الذين صبروا وهم المؤمنون "(٢)

وقد ورد الاحتراس على لسان نوح عليه السلام فى قوله {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} حيث جاءت جملة "ان أجرى الا على الله" احتراسا من أن يسبق الى الوهم أنه يريد أجرا منهم . قال الطاهر "احتراس لأنه لما نفى أن يسألهم مالا ... نشأ توهم أنه لا يسأل جزاء على الدعوة فجاء بجملة "ان أجرى الا على الله" احتراسا "(٣).

(١) بديع القرآن ص ٩٣-٩٤ . والآية من سورة هود : ٤٤ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ١٥/١٢ .

(٣) المرجع السابق ٥٥/١٢ .

المبحث الحادى عشر

أسلوب القصر

يطلق لفظ القصر عند أهل اللغة على معان كثيرة أقربها الى ما نحن فيه "الحبس" . قال تعالى : {حور مقصورات فى الخيام} ^(١) أى محبوسات فيها . ويراد به فى اصطلاح البلاغيين : تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص ^(٢) .

وموضوع القصر يتصل بموضوع التوكيد اتصالاً وثيقاً ، فمن المعلوم أن درجات الانكار تتفاوت ونتيجة لذلك يتفاوت التوكيد ، وتتعدد أدواته من : ان ، وأن ، واللام ، والقسم ، وضمير الفصل ، وضمير الشأن ، وقد ^(٣) .

ومن المعلوم أن التوكيد فى القصر تتفاوت درجاته حسب الطريق المفاد منه القصر ، فليس التوكيد المفاد من القصر بطريق النفى والاستثناء كالتوكيد المفاد من القصر بطريق "أما" وهما يختلفان عن القصر المفاد بطريق التقديم .

وقد بين الشيخ عبد القاهر رحمه الله عندما تكلم عن مقام القصر بالنفى والاستثناء ، فقال : "وأما الخبر بالنفى والاثبات نحو : ما هذا الا كذا وان هو الا كذا فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فاذا قلت ماهو الا مصيب أو ماهو الا مخطيء ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ماقلته ، واذا رأيت شخصا من بعيد فقلت ماهو الا زيد لم تقله الا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد ، وأنه انسان آخر ، ويجد فى الانكار أن يكون كذلك" ^(٤) .

(١) سورة الرحمن : آية ٧٢

(٢) انظر بغية الايضاح ٤/٢ ، وانظر : من أسرار التركيب البلاغى ص ٧٧ .

(٣) انظر أساليب القصر فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية د. صباح دراز ص ٩ .

(٤) دلائل الاعجاز ص ٣٣٢ .

وحين نتأمل سياقات هذا الأسلوب فلن نعدم الملحظ الذى سجله الشيخ - رحمه الله - سواء فى المقامات التحقيقية أو التنزيلية ، فدائماً لاتأتى هذه الأداة الا فى المقامات التى هى أكثر توتراً وأعلى حرارة فلحظ النبوة العالية ، والنعمة الحاسمة والتعبير الشديد لذلك تستدعى مزيداً من الوثاقة والتركيز^(١).

لذا كثر مجيء هذا الأسلوب فى القرآن حين يتحدث عن القضايا التى كثر فيها عناد المشركين ، وطال فيها لجاج المعاندين من أمثال قضايا الوجدانية والغيب ، والرزق^(٢) ، وسوف نتناول طرفاً من هذا من سورة هود عليه السلام .

وقد يأتى أسلوب النفى والاستثناء مراعيًا لحال المخاطب التنزيلي ، فليس شرطاً أن يكون المخاطب منكراً حتى يجيء فى خطابه النفى والاستثناء بل قد ينزل غير المنكر منزلة المنكر مراعاة لأحوال ومواقف رسخت به مخالفة لما فى معتقده . ولعل هذا ما عناه الشيخ رحمه الله بقوله : "وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئاً من المعلوم الذى لا يشك فيه قد جاء بالنفى فذلك لتقدير معنى صار به فى حكم المشكوك فيه"^(٣).

ثم ان خير ما ينمى مباحث هذا الطريق أن طرفيه تتنوع دلالتهم تبعاً لتنوع أدواتهما :

فالنفى يكون بـ "ان" و"ما" ، و"لا" ، و"لن" ، و"ليس" ، و"هل" ، و"من" الاستفهاميتين .. والاستثناء قد يكون بـ "الا" و"غير" وأخواتهما . ولاريب أن هذا التنوع يحمل مذاقاً ودلالة يخضعان لقواعد دقيقة فى الاستعمال تبعاً لتباين المقامات ، تفاوتاً فى الأزمنة ، وتلونا فى المشاعر والأحاسيس^(٤).

(١) انظر دلالات التراكيب ص ١٠٥ .

(٢) فى البلاغة القرآنية ، د. صباح دراز ص ٣٢-٣٤ .

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٣٣ .

(٤) فى البلاغة القرآنية ، د. صباح دراز ص ٢٧ .

أما أسلوب القصر بـ"انما" فانها لاتكون الا في المواقف الهادئة الناعمة دون جلبة أو ثورة انها تنصدر الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف ، تبعث فيها حياة جديدة وتسوقها الى النفس المتلقية سوقا هادئا وتطبعه بتؤدة وريث^(١)، وهذا منظور فيه لقول الامام عبد القاهر - رحمه الله - : "اعلم أن موضوع انما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته أو لما يتزل هذه المنزلة"^(٢).

وسوف أتناول بعض أساليب القصر الواردة في السورة ، وأحللها على أساس من هذه المعالم السالفة الذكر .

(١) أساليب القصر في القرآن الكريم ص ٢١٨ .

(٢) الدلائل ص ٣٣٠ .

القصر بالنفى والاستثناء فى حوار الأنبياء مع أقوامهم :

سبق بيان مقامه البلاغى الذى يتطلبه ، وتنوع أطرافه المستلزمة لتنوع الدلالات المنبعثة من أساليبه ، وقد جاء هذا الأسلوب فى مواطن متعددة فى حوار الأنبياء مع أقوامهم .

فحين يسخر المشركون من البعث ويستعجلون العذاب يذكر بعض صفاته المحيطة كبسط سلطانه وشمول رزقه لكل شىء . قال تعالى : {وَمَنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (١). ففى جملة الرزق تداخل قصران : الأول بما ، والا ، والثانى الواقع بعد الا "على الله رزقها" بتقديم المسند على المسند اليه ، والعجيب أن لفظ الجلالة هو المقصور عليه فى الأسلوبين تصريحاً فى الثانى وبشئ من التأويل فى الأول وقد توسط القصيرين والأسلوب ايجاء بأنه مصدر الوجود والرزق وعماد الكون .

وهذه ظاهرة جاءت فى أساليب معدودة فى الذكر الحكيم حين يتطلب الموقف تركيزاً مضغوطاً طارقاً مزلزلاً ، وهذا مصدر اتساع المفهوم وشموله وكثرة ظلاله والتلاؤم واضح بين جرس الكلمات ودلالاتها وقوة التأكيد والشمول مع المقام فلأن الرزق دفاق أبداً جاءت "ما" تلتها من داخل على نكرة متفرقة وجاء الوصف "فى الأرض" تأكيداً وتصويراً ثم تأتى بعدها "على الله" فتثير أشواق النفس الى المبتدأ "رزقها" فهو مفتاح الآية يبدل بالجهل علماً وبلهفة التشوق طمأنة ويزيد بث الثقة المطلقة فى الله (٢)

ومثل هذا التركيب قوله تعالى على لسان هود : {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٣).

(١) سورة هود : آية ٦

(٢) أساليب القصر فى القرآن الكريم ، د. صباح دراز ص ١٩٥-١٩٦ .

(٣) سورة هود : آية ٥٤-٥٦

وقد أفاد القصر الأول أن كل دابة في كل حال من أحوالها على وقوعها تحت سيطرة المولى وقهره ، أما القصر الآخر فانه يدل على أن السلطان والقهر لله وحده لا يتعداه لغيره وفي منتهى الزجر لقوم بلغ بهم الغرور والافتراء حتى قالوا {ومانشن لك بمؤمنين ، ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء} وفي بنائهما على ضمير الجليل "هو" تصوير وتأثير وهز للقلوب وبيان للايمان حين يسمعه ويسموا ثقة بالله وتوكلا عليه جل وعلا (١). ومما ورد بالنفي والاستثناء قوله تعالى : {فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا} (٢).

فان قولهم هذا يعكس اعتقادا فاسدا عندهم وهو أن الرسول لا يكون الا ملكا ، ولذا نزلوا نوحا عليه السلام منزلة من ادعى أنه ملك فردوا عليه بالنفي والاستثناء مؤكدين بشريته ، وبانضمام القصر الثاني {ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا} تظهر محاولتهم لاثبات أنه غير جدير بالرسالة (٣) وهو ما صرح به عنهم في قوله {ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين} . وهذا القصر من قصر الصفة على الموصوف قصرا اضافيا .

ومنه قوله تعالى عن نوح عليه السلام وابنه {قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم} (٤) فهو من قصر الصفة على الموصوف وفيه رد على ابن نوح وتصحيح لاعتقاده {ساوى الى جبل يعصمنى من الماء} ويتضح من ذلك أن المعول عليه في تحديد المنقى هو السياق والقرائن وأن الصفة المنفية قد يخاطب بشبوتها وقد يتزل منزلة ذلك (٥)

ومنه قوله تعالى : {فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون} (٦) من قصر الصفة على الموصوف ، اذ الخطاب

(١) الحوار في القرآن الكريم ص ١٠٥ .

(٢) سورة هود : آية ٢٧

(٣) الحوار في القرآن الكريم ص ٧٦ .

(٤) سورة هود : آية ٤٣

(٥) انظر الحوار في القرآن الكريم ص ٧٦ .

(٦) سورة هود : آية ١٤

على الراجح للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه أنزل متلبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق وأخبار بغيوب لاسبيل لهم اليها .
وشهادة التوحيد مترتبة على عجز المشركين والأصنام أن يأتوا بالمعارضة فثبت أن القرآن من عند الله وأن النبي صادق وأن شهادة التوحيد حق وأن ماسواه من الآلهة المزعومة باطلة قطعاً واطلاقاً ومترتبة ومن ناحية أخرى فيها بعض التسبب ذلك أن القرآن العظيم بأعجازه الخارق نزل من عند الله لأنه واحد لا شريك له .

وقد لمح الرازى فى استعمال الشهادة وجهها من التهديد أى فكونوا خائفين من قهره وعذابه وهذا يجوز اذا كان الخطاب للكافرين ويكون معنى الاستفهام بالأمر بالاسلام والواضح أنه من خطاب النبي والمؤمنين والاسلام معناه هنا الاخلاص ترغيباً فى زيادته (١).

وفى حوار نبى الله صالح عليه السلام مع قومه يحىء القصر بالنفى والاستثناء من قصر . الصفة على الموصوف فى قوله تعالى : {فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} (٢) ليكن أنى عصيت بالمساهلة فى تبليغ الرسالة وجاريتكم فيما تأتون وتذرون فلاتفيدوننى غير تخسيرى وابطال عملى ، وقد قال أبو السعود أن تزيد بمعنى تفيد اذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى يزيده .

ولم يبين المفسرون سر استعمال الفعل زاد دون سواه ، ويبدو - والله أعلم - أنه لزيادة التهويل واستبعاد عصيان الله تعالى ، وأن مجرد التفكير فى ذلك يوقعه فى الخسار العظيم ، ولعل مما يصعد هذا الشعور بالاستبعاد والتهويل أنه عبر بلفظ الجلالة بعد ذكر "ربى" فى الآية قبلها ، وذكره جل وعلا أدل على مواقف الأخذ والانتقام ، ولذا نفهم دلالة الصياغة "تخسير" دون خسار مثلاً أى أتعلوننى أكثر خساراً فكان اتباعهم الخسار مرتين بالفعل تزيد ، والمصدر "تخسير" وهو مناسب فى القرآن فى تضعيف الجزاء خيراً

(١) انظر : الكشف ٢/٢٦٢ ، البحر ٥/٢٠٨ ، الرازى ١٧/١٩٧ .

(٢) سورة هود : آية ٦٣

حقيقة أو شرا تقديرا وفرضا للرسول والأنبياء (١).

وثمة ملحظ آخر ، وهو أن التخسير معناه نسبتهم الى الخسران فتكون صيغة نسب نحو كفر وفسق : أى نسبة للكفر والفسق ، والمعنى : لاتزيدوننى بهذا الرأى الا أن أؤكد حكمى عليهم بالخسران ، والرأى الأول أولى وأقرب .

ومن أساليب القصر التى جاء فيها النفى والاستثناء بقصر الصفة على الموصوف قوله تعالى فى خطاب نوح عليه السلام : {وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (٢) ، وقد قال العلماء أن قوله : من قد آمن : بمعنى استمر على الايمان ، لأن للدوام حكم الثبوت ، ويرى جار الله الزمخشري أن معناه : وجد منه ماكان يتوقع منه الا من قد استعد للايمان ، والاستثناء متصل مفيد للقصر دال على اثبات الايمان مستقبلا ودوامه لمن اتصف به قبل ونفيه عن غيرهم ، اذ لاأمل فى دعوتهم .

وهذه الآية تسلية لنوح - عليه السلام - الذى كان يرغب فى ايمان قومه ، ولكنه يؤس منهم وتمهيد للانتقام ، نفيا للحزن والأسى ، فان الدين قوى وان قل المستمسكون به (٣).

ومما ورد فيه القصر بطريق النفى والاستثناء بقصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : {أُولَٰئِكَ لَئْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} (٤) ، فقد قصرهم على النار لايتعدونها الى غيرها .

أما ماورد بالنفى والاستثناء من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا فقولته تعالى عن هود عليه السلام :

(١) انظر أساليب القصر فى القرآن ص ٥٩ .

(٢) سورة هود : آية ٣٦

(٣) انظر : الكشف ٢/٢٦٨ ، البحر المحيط ٥/٢٢٠ . تفسير الفخر الرازى ١٧/٢٢٢ ،

تفسير أبى السعود ٤/٢٠٤ ، حاشية الشهاب ٥/٩٦ ، روح المعانى ١٢/٤٩ .

(٤) سورة هود : آية ١٦

{والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم
الا مفترون} (١)

فقوله "ان أنتم الا مفترون" من قصر الموصوف "أنتم على الصفة"
مفترون" وهو من القصر الحقيقى اذ ليس المراد نفى كل أنواع الافتراء من
الصفات ، ولكن ماكان منه بسبب أو مايتخيل اجتماعه فى الذهن نحو
الصدق ، والانصاف ، وهود عليه السلام يحصرهم فى هذه الصفة دون غيرها
لعنادهم وتجبرهم ورفضهم على أنه ليس فى العبارة مايثبت أن هناك زعما
خاصا من المخاطبين ينافى ماأثبتته فيهم حيث جاء كلامه مبنيا على ماصدر
منهم (٢)

وأما صدر الآية فقد جاء بالنفى والاستثناء بـ "ما ، الا" حيث جاءت
الجملة الأولى أمرا بعبادة الله وحده "اعبدوا الله" ، وجاءت جملة القصر
تعليلًا لهذا الأمر الخاص ولكم خبر مقدم ، وقدم الظرف للتخصيص أى
مالكم فى الوجود أو فى العالم اله غير الله .

وقوله تعالى عن مشركى مكة : {ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} (٣) فقد حملهم انفعالهم وشدة
غيظهم من نزول الوحي أو القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم على
السخرية والتهكم بالنبى صلى الله عليه وسلم فرموا بمقولتهم الشنيعة من غير
تدبر لتلاوته "ان هذا الا سحر مبين" ، وهذا من قصر الموصوف على الصفة
أى قصر هذا القرآن على كونه سحرا فى زعمهم .

ومما ورد بالنفى والاستثناء من قصر الموصوف على الصفة قصرا
اضافيا قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : {وياقوم لأسألكم عليه مالا
ان أجرى الا على الله} (٤) ، حيث قصر أجره بكونه على الله ، فهو من

(١) سورة هود : آية ٥

(٢) انظر الحوار فى لاقرآن ص ٧٦ .

(٣) سورة هود : آية ٧

(٤) سورة هود : آية ٢٩

التأكيد مرة تلو الأخرى ، والدافع عليه أن يثبت لهم صدق قوله واخلاصه بأنه لا يطلب منهم أجرا وبأسلوب القصر يبرهن على صدق مايقول ، فكأن نوحا - عليه السلام - يتزلهم ، بسبب رفضهم منزلة من اتهمه بطلب الأجر ، ومثله قوله تعالى : { يَأْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (١)

وفي قصة النبي هود عليه السلام نلاحظ اجتماع أكثر من جملة قصرية فقد كان قومه في قمة الرفض وكان هود في قمة الحرص والنصح ، تأمل الآيات التي ذكرت من قبل { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَأْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ، يَأْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ .. قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ } (٢) (٣) .

فحشد هذه الجمل القصرية يوضح مدى مالقيه الأنبياء من عنت أقوامهم ثم فيها أيضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في السورة { وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ } (٤) .

(١) سورة هود : آية ٥١

(٢) سورة هود : الآية ٥٠-٥٣

(٣) انظر الحوار في القرآن الكريم ص ٩٧ .

(٤) سورة هود : آية ١٢٠

القصر بانما فى جدال الأنبياء مع أقوامهم :

سبق الحديث عن النفى والاستثناء ، ورأيت غزارة شواهد ذلك لأن النفى والاستثناء أنسب طرق القصر للمقامات التى يشتد فيها الإنكار والاعراض والحدة والجدل والعناد ، لذا فهى مواقف تقتضى تأكيد المعنى بالقصر والنفى والاستثناء .

أما إنما فيغلب استعمالها فى جانب الوداعة واللين لأنها فيما الأصل فيه أن يكون معلوما أو يزل منزلة ذلك . وقد ورد من شواهد فى "هود" ثلاثة شواهد ودونك بيانها .

أولها فى مشركى مكة فى قوله تعالى : {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلِكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (١).

فالنفى فى القصر هنا أنه لا يملك الآيات كناية عن وجوب اعراضه عنهم وانصرافه الى دعوته (٢)، فهو قصر قلب لغير المخاطب ، وفيه تعريض بالمشركين .

وقد يكون قصر افراد تنزيلا أى أنت نذير لا تملك هدايتهم بدليل صدر الآية {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} ونهايتها {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} ، والأول أولى .

ومن شواهد هذا النوع قوله تعالى : {إِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} أى لا بعلم غيره وهو اثبات ، كما يقول أبو السعود ، لما فيه من اعجاز بسبب المزايا ونفى العلم يستلزم نفى القدرة أى لا يقدر أحد أن يأتى بمثله (٣).

(١) سورة هود : آية ١٢

(٢) الكشف للزحشرى ٣٦٤/٢ .

(٣) تفسير أبو السعود ١٩٢/٢ ، الألوسى ٢٢/١٢ .

وقد ورد القصر حكاية عن نوح عليه السلام {إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ} (١) ردا على قول قومه {قَالُوا يَأْنُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} فانهم يطلبون العذاب الذى ينذرهم به على سبيل التحدى وقد فاتهم أنه من الله وبمقتضى ارادته وعلمه . ولهذا جاءت جملة القصر تؤكد هذه الحقيقة "انما يأتىكم به الله ان شاء" لأننا كما قلتم ، واستعمال "انما" خاصة للاشعار بأن مادخلت عليه ينبغى أن يكون معلوما ، لأن نبي الله بشر مثلهم لا يملك الثواب أو العقاب ولكنه مبلغ فحسب (٢) ، فهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا .

(١) سورة هود : آية ٣٣

(٢) انظر الحوار فى القرآن الكريم ص ٨٩ .

القصر بضمير الفصل :

أفاد ضمير الفصل القصر في ثلاثة مواضع من السورة :
 أولها : قوله تعالى : {الَّذِينَ يَصَّدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (١) برز ضمير الفصل "هم" للدلالة على أنهم خصوصاً
 كافرون بالآخرة وأن غيرهم مؤمنون ، والقصر هنا لتخصيص كفرهم
 بالآخرة والجزاء ، فان عقيدتي التوحيد والمعاد هما أساس الدين ، فالكفر
 بهما لا ينفع معه إيمان بغيرهما .

ويرى أبو حيان أن الأساليب التي لم يعرف فيها الخير هنا التقديم فيها
 لمجرد الاهتمام والضمير "هم" لمجرد التأكيد (٢).

ويرى غيره ممن لم يشترط التعريف تعريف الخير لافادة القصر مع
 ضمير الفصل كالزحشرى وأبي السعود أن في الآية قصراً واحداً بضمير
 الفصل أما تقديم "الآخرة" فللمبالغة مدحاً للموقنين وذماً للمنكرين ، ويرى
 الشهاب أن في الأسلوب قصرين : قصر الكفر عليهم دون غيرهم ثم قصر
 كفرهم على الآخرة ، ولعل مرادهم قصر كفرهم على حقيقة الآخرة لا يتعدها
 الى خلاف حقيقتها (٣).

وثانيها : قوله تعالى : {الْأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ} (٤)،
 حيث برز ضمير الفصل "هم" للدلالة على أنهم أشد خسرانا في الآخرة من
 غيرهم . فهم قد بلغوا الحد الأقصى في الأخسرين فكأنهم انفردوا بالأخسرين
 فهو قصر ادعائي (٥) .

ثالثها : قوله تعالى في شأن صالح عليه السلام : {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

(١) سورة هود : آية ٢٩

(٢) البحر المحيط ٣٠٩/٥ .

(٣) انظر الكشف ٢٣٧/٢ ، أبا السعود ٢٧٧/٤ ، الشهاب ١٧٨/٥ .

(٤) سورة هود : آية ٢٤

(٥) التحرير والتنوير ٣٩/١٢ .

والأليق أن نقول : تنزيلي تأدباً مع كلام الله . الباحث .

صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ
الْعَزِيزُ (١).

فقد تداخل الرحمة في هذه الآية حول الانتقام فيصيب الهول الأكبر
أهله وتنسكب الرحمة على أصحابها ، وفي الآية قصر صفة على موصوف
وقد جاء بضمير الفصل .

القصر بـ "تعريف الطرفين" :

جاء القصر بتعريف الطرفين في قوله تعالى : {فَلَاتَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ} (٢).

فهو قصر موصوف على صفة ، حقيقى تنزيلي .

(١) سورة هود : آية ٦٦

والمشهور في مثل هذا التركيب أن القصر مستفاد من تعريف الطرفين دون ضمير
الفصل .

(٢) سورة هود : آية ١٧

القصر بالتقديم :

ورد القصر بالتقديم فى الآيات التالية :

فقد جاء من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام يخاطب قومه : {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (١).

اذ التوكل مقصور على الله لا يتعداه الى غيره ، وكذلك الانابة مقصورة عليه دون غيره اشارة الى تمسك شعيب عليه السلام بالله وحده ، وفيه تفويض الأمر اليه سبحانه وتعالى .

وورد قصر الصفة على الموصوف قصرا اضافيا كقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب : {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ} (٢) ، فقوم شعيب ينفون أن يكون عزيزا عليهم حتى يكون فى مأمن من نيلهم وشرهم ، والمعنى هو انما يعز علينا رهطك لأنك لذللك قال فى جوابهم "أرهطى أعز عليكم من الله" . ولو قيل ما عزرت علينا لم يصح .

ومنه قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} (٣). فان نوحا عليه السلام ينفى أن يصدر منه طرد الذين آمنوا خصوصا وكأن هؤلاء القوم كانوا يلوحون بطرد من آمن معه {أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ} وفى التعبير بالقصر اثبات أن ذلك يصدر منهم لتكبرهم وكفرهم وجهلهم .

ومن قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى : {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} (٤).

(١) سورة هود : آية ٨٨

(٢) سورة هود : آية ٨٧

(٣) سورة هود : آية ٢٩

(٤) سورة هود : آية ٥٣

ونلاحظ قصر الموصوف على الصفة في قوله تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ إِنِّي افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ }^(١) حيث قصر الاجرام
عليه لاعليهم وقد جاء القصر بطريق التقديم .

(١) سورة هود : آية ٣٥

المبحث الثاني عشر

أساليب الإنشاء

الإنشاء لغة : الإيجاد والاحداث والابداع وهو في التضييق قسم الخير : وهو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخير ، والانشاء : إيجاد معنى بلفظ يقارنه وقد قالوا أن الخير : ما يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وقولهم لذاته : يخرج ماتدل القرائن والدلائل على تعيين صدقه كالقرآن الكريم وحديث النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، وهذه النسبة مقصودة منه .

أما الانشاء فمع أن فيه نسبة كلامية ونسبة ذهنية ، ونسبة خارجية ، إلا أنه لا يقصد فيه إلى المطابقة ، بل احداث مدلول الانشاء وإيجاده بذلك اللفظ فنسب الأشياء ليست حاكية بل محضرة ليرتب عليها وجود أو ترك أو ثن أو تعجب ونحو ذلك^(٢).

وينقسم الانشاء إلى قسمين : طلبى وهو ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، وغير طلبى .. ولم ينل عناية من البلاغيين .

وإذا كانت الخصائص البلاغية لأسلوب الخير تأتى وهو على حالتى الحقيقة والخروج عليها ، فإن الانشاء تأتى لمحاته البلاغية حين يخرج عن معناه الأصل إلى المعانى الثانوية .

فحين ننظر فى أقسام الانشاء الطلبى من استفهام وأمر ونهى ونداء ، نجد أن الدراسة البلاغية منصبّة فيها على خروجها عن معانيها الحقيقية إلى المعانى الثانوية .

(١) انظر الايضاح ص ٨٦ ، حاشية الدسوقي ١٦٤/١ ، دلالات التراكيب ص ١٨٥، ١٨٦ .

(٢) انظر الأطول ٤٤/١ ، حاشية الدسوقي ١٦٤/١ ، الأساليب الانشائية ص ١٠ .

وقد اهتم بعض البلاغيين ببيان هذا الخروج : فحين ينتقل الأسلوب بالاستفهام من معناه الحقيقي الى معانيه المجازية يكون على سبيل المجاز المرسل ملاحظا العلاقة ما بين حقيقة الاستفهام والمعنى المقصود ، واضعا في الاعتبار القرينة الصارفة عن ارادة المعنى الحقيقي^(١).
وكذلك الحال بالنسبة للأمر والنهي .

(١) انظر مواهب الفتاح ٢٩٣/٢ .

الاستفهام

قال البلاغيون في تعريف الاستفهام بأنه طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، وقد اهتموا بضبط أقسامه والأدوات المستعملة مع كل قسم .

وقد عني البلاغيون المتأخرون بتحديد نوع العلاقة بين الاستفهام والمعاني المتفرعة عنه : أهو مجاز مرسل ، أم استعارة أم كناية ؟ (١) وهو فيما أختار مجاز مرسل مركب علاقته الاطلاق والتقييد .

والاستفهام في القرآن الكريم لايجيء على حقيقته في كلام الله غير المحكى ، لأنه يستلزم الجهل وهو على الله محال ، وكل ما جاء منه على سبيل الحقيقة تسعة عشر أسلوبا من ستين ومائتين وألف في القرآن الكريم ، وماورد على الحقيقة كان من قول البشر دائما (٢).

وقد ورد الاستفهام في خمسة وعشرين موضعا من السورة ، كلها تحمل دلالات مختلفة ، واليك تحليل كل شاهد في موطنه .

(١) انظر حاشية البناني ١١،٦،٥/٢ .

(٢) أساليب الاستفهام في القرآن ، د. عبد العليم السيد فودة ص ١٩١ .

الاستفهام الانكارى :

يرى بعض الباحثين أن الاستفهام الانكارى فى القرآن أكثر الأنواع فى القرآن "وأوسعها تصرفاً فجملته أساليبه بلغت سبعة وثمانمائة .. وكثرت فى المكي حيث بلغت ثلاثين وستمائة" (١).

وبتتبع نوع الاستفهام الانكارى فى كلام الأقوام نلاحظ قلة الانكارى التوبيخى وكثرة التكذيبى ، أما الرسل فيقل منهم التكذيب ويكثر التوبيخ (٤).

وإذا كان للاستفهام هذه الخاصية العجيبة فى الكشف عن خفايا الأحوال النفسية وما يجتلى فى الشعور ، فحرى بنا أن نتأمل فى السورة أولاً فى قوله تعالى : {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} (٣). فالاستفهام فى الآية - كما ترى - جاء على طريقة الانكار التكذيبى ، وقد فجر منه السياق معانى متكاثرة من تهكم واستهزاء وسخرية فما الذى يمنعه من التزول ، وكأن القوم متفقون على تكذيب رسلهم ومتعاونون فى كيفية التكذيب البالغ والاستهزاء الثقيل (٤).

كما نلاحظ الاستفهام الانكارى فى قوله تعالى : {إِمْثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (٥). فقد جاء الاستفهام فى الآية بعد ضرب المثل بين فريقى المؤمنين والكافرين منبهاً للأذهان الى أن ما يستفهم عنه جدير بالتأمل فى شأن الفريقين والتوقف عنده لادراك الحقيقة ففیه انكار عليهم وتوبيخ لهم ، والانكار فيه منصب على عدم المساواة بين الفريقين .

ولما كان اقتران ضرب المثل للفريقين لا يخفى على كل ذى عقل ووعى تسبب عن ذلك انكار أنكى من سابقه وأعتى فقال "أفلا تذكرون" ، أى

(١) المرجع السابق ص ١٩١ .

(٢) الحوار فى القرآن الكريم ص ١١٥ .

(٣) سورة هود : آية ٨

(٤) انظر حاشية الصاوى على الجلالين ص ١٩٥ .

(٥) سورة هود : آية ٢٤

ألا يكون عندكم أدنى تذكر فتعلموا الفارق بين الفريقين . فالاستفهام في الآية فيه معان متكاثرة متداخلة ، فان فيه انكارا وتوبيخا وتقريعا وتجهيلا وكشفا لضلالهم وتنبيها على مكن الداء فيهم وتصوير مفارقة واضحة بين حال الفريقين .

ومن مجيئه للانكار قوله تعالى : {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (١)

همزة الاستفهام داخلية في ظاهر اللفظ على "الفاء" ومذهب سيويه والجمهور في هذا أن الهمزة مقدمة من تأخير وحققها أن تؤخر عن الفاء غير أنها قدمت لأنها أم أدوات الاستفهام ، والاستفهام له الصدارة ، فأعطيت حق التصدير على أدوات العطف من دون بقية أدوات الاستفهام (٢).

وقد تكون الفاء للعطف على مقدر يفهم من الكلام ودخلت عليه الهمزة ، أى : ألا تتفكرون فلا تعقلون ، وحذف متعلق الفعل هنا للتعميم ، أى : أفلا تعقلون شيئا من الأشياء التى من جملتها ما ذكر . وهذا هو الأنسب بحالهم اذ ترك العمل يوبخ عليه المكذبون لأنها فضائل عالية ، ولذا كان التوبيخ على تركها والبعد عن الاتصاف بها (٣).

ومن مجيئه للانكار قوله تعالى : {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِزُ مَكْمُوهُمَا وَاتَّخِذْتُ لَهَا كَارِهُونَ} (٤).

وقد جمعت الآية أسلوبين من الاستفهام ، فالأول قوله "أَرَأَيْتُمْ" جاء تمهيدا للاستفهام الانكارى وإشارة الى أنه فى غنى عن الإلزام بما هو عليه من البينة والرحمة .

(١) سورة هود : آية ٥٩

(٢) المغنى لابن هشام ١٤/١ .

(٣) من عطاء نظم القرآن الكريم ، دراسة تحليلية لسورة الأنبياء ص ٦٧ .

(٤) سورة هود : آية ٢٨

وجاء الاستفهام الثانى فى قوله "أنلزمكموها" أى أنكرهكم على قبول الهداية والدين "ونلزمكم تلك الحجة والحال أنكم كارهون لها ، وهذه الكلمة تجسد جو الاكراه كما يدج الكارهون مع مايكرهون .

ثم إن الاستفهام الانكارى يوحى بأن اكراه النفوس وقسرها حتى فى شئون العقيدة ليس وسيلة فللعقل والقلب حرية الاقتناع والتأثر حتى فى أخطر قضايا الوجود أعنى وحدانية الله تعالى وليس معنى هذا اقرار الكافر على كفره والتزلف لديه ، بل معناه أن الاسلام بقوته وأخلاقه لا يجبر أحدا على ماركبت عليه الفطر واستقر فى الوجدان ونطقت به المخلوقات ترفعا عن وسائل القهر بل دعوة إلى طهارة النور والحق الأسمى" (١).

وفى عبارة "فعميت عليكم" تعريف بغاوة المخاطب .

وجاء الاستفهام التوبيخى فى قوله : {أَرَهْطَىٰ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ} انكارا للمسند ، وذلك من رد شعيب عليه السلام على قول قومه له {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ} لأنه يتضمن إنما يعز علينا رهطك ، لأنهم من أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا" (٢).

وورد الاستفهام فى قول صالح عليه السلام : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ} ، وقد احتوت على استفهامين أولهما كان لفتا وتنبيها لما يأتى بعده وتمهيدا له أما الاستفهام الثانى "فمن ينصرنى من الله" فمعناه الانكار والنفى .

قال القرطبي : "استفهام معناه النفى أى لا ينصرنى منه إن عصيته أحد" (٣).

(١) الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية فى القرآن ص ١٩٩ .

(٢) الكشاف للزحشرى ٢/ ٢٨٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٨٧ .

وقال أستاذنا : "ولامشاحة كذلك في أن المراد من قوله "فمن ينصرني" الانكار والنفي وهو منصب على انكار الوقوع ونفيه أى لا يكون ذلك ، إذ لا مانع لما يريد الله" (١).

وقد يحذف جواب الاستفهام كما في قوله {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاجُمْ عَنْهُ} ، قدره الزمخشري بقوله "فان قلت : أين جواب أرايتم وماله لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط ؟ قلت جوابه محذوف . وانما لم يثبت لأن اثباته في القصتين دل على مكانه . ومعنى الكلام ينادى عليه ، والمعنى : أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي ، وكنت نبيا حقا أوصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون الا لذلك" (٢).

وقدره القرطبي : "أفلا أنهاكم عن الضلال ؟ وقيل : "أتأمروني بالعصيان في البخس والتطيف وقد أغنانى الله عنه" (٣). وجاء الاستفهام الانكارى في {قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ...} فيه انكار واستهزاء وتهكم بمن بعث إليهم .

(١) التفسير البلاغى للاستفهام في القرآن الحكيم ٩٩/١ .

(٢) الكشف للزمخشري ٢٣٠/٢ ، المرجع السابق ص ١٠١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٩/٩ .

الاستفهام التقريرى :

للاستفهام التقريرى معنيان : التحقيق والتثييت ، والآخر حمل المخاطب على الاقرار بما يعرف ، والجاؤه اليه وطلب اعترافه (١).

ومما ورد من هذا النوع فى سورة هود قليل بالنسبة لمقابله الانكارى ذلك "لأن التقرير أقل حدة وعنفا من الانكار ومواقف الأقوام مع رسلهم مشحونة بالاثارة والخصومة فمن الطبيعى أن يزيد فيها الانكار عن التقرير" (٢).

ومن جبيئه للتقرير فى السورة قوله : {أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور} حيث جاء التقرير فى صورة الاستفهام والتقدير كما قاله المفسرون "بل أيقولون افتراه" ، وفيه استدراج لمشركى مكة وتوبيخ لهم على مقولتهم الشنيعة بشأن القرآن ، أى ان كنتم تزعمون أنه قرآن مفترى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وذلك لأنهم تعللوا بأنهم كيف يأتون بمعان مثل معانى القرآن فأعفاهم من ذلك وقرب لهم الغاية بأن يأتوا بمثل نظمه وألفاظه وسبكه .

وجاء الاستفهام التقريرى على لسان لوط عليه السلام {أليس الصبح بقريب} ، فالاستفهام مقرر ومؤكد أن موعدهم الصبح وماذلك على الله بعزیز .

ومما يحتمل الاستفهام التقريرى - وقد عددناه من شواهد الانكارى - قوله تعالى حكاية عن صالح عليه السلام مما دار بينه وبين قومه : {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} فان قوله فمن ينصرنى من الله بمعنى قدروا أنى كنت على بينة من ربي وأنى نبى على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي فمن ينصرنى ويمعنى من عذاب الله" (٣).

فهو يقررهم بهذه الحقيقة .

(١) انظر : شروح التلخيص ٣٠٧/٢ .

(٢) الحوار فى القرآن الكريم ص ١٢٤ .

(٣) الكشف للزحشرى ٢٧٩/٢ .

الاستفهام للنفى :

كما نلاحظ الاستفهام بمعنى النفي كما في قوله تعالى في تعظيم شأن الافتراء عليه في قوله : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} (١).

وقد تكرر هذا الاستفهام في القرآن في غير موطن هذه الآية ومنها {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} (٢).

وقوله : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} (٣) الى غير ذلك .

"ولما كان هذا الاستفهام معناه النفي كان خبرا ، ولما كان خبرا توهم بعض الناس أنه اذا أخذت على ظواهرها سبق الى ذهنه التناقض فيها" (٤).

وقد تعددت طرق المفسرين في الجواب على ذلك (٥) وخيرها طريقان :

الأول : تخصيص كل واحد في هذه الآيات بمعنى صلته فصلة الموصول

عنصر فاعل في المفارقة بين هذه الآيات ، فاذا تخصصت بالصلات زال عنده التناقض (٦).

الآخر : وهو أمكن في المعنى وسالم عن الاعتراض ، وهو الوقوف مع

مدلول اللفظ من الاستفهام ، والمقصود به أن هذا الأمر عظيم فظيع ،

قصدا بالاستفهام عنه تخيل أنه لاشيء فوقه ، لامتلاء قلب المستفهم عنه

بعظمته امتلاء يمنعه من ترجيح غيره ، فكأنه مضطر الى أن يقول : لأحد

أظلم .

(١) سورة هود : آية ١٧

(٢) سورة الانعام : آية ٢١

(٣) سورة البقرة : آية ١٤٠

(٤) البحر المحيط ٣٥٧/١ .

وانظر الاستفهام القرآني : دقائق ورقائق ، د. محمود توفيق محمد سعد ص ٦٧ .

(٥) البرهان للزركشي ٧٤/٤ - ٧٧ .

(٦) البحر المحيط ٣٥٧/١ .

وكثيرا ما يستعمل هذا في الكلام اذا قصد به التهويل ، فيقال أى
شئ أعظم من هذا اذا قصد به افراط عظمتة ، ولو قيل للمتكلم بذلك :
أنت قلت أنه أعظم الأشياء لأبى ذلك ، فليفهم هذا المعنى ، فان الكلام
ينتظم معه والمعنى عليه" (١).

فيكون الاستفهام هنا انكاريا بمعنى النفي أى لا أحد أظلم ممن افترى
على الله اذ الافتراء اختراع أمر لا أصل له (٢).

(١) الاستفهام القرآنى : دقائق ورقائق ، دراسة نظيرية تأويلية ص ٦٧ .

(٢) لسان العرب ، مادة (افترى) .

الاستفهام للتعجب والدهشة :

التعجب : النظر الى شىء غير مألوف ولا معتاد فهو حالة تعرض للانسان عندما يعظم الشىء عنده ويخفى عليه سببه ، والشىء الذى يكون كذلك وهذا الشىء قد يكون خيرا وقد يكون شرا (١).

وافادته لهذا متمثل فى قصة ابراهيم عليه السلام حين بشرت زوجته بالولد فى قوله {قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَلِدِي وَأَنَا عَجُوزٌ ، وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} . وفى رد الملائكة عليها من تعجبها بالبشارة {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ} .

وقد جاء الاستفهام فى الآية الأولى مصورا تعجبها عن طريق ثلاثة أساليب : الندبة فى قولها ياويلتا ، والاستفهام والخبر فى قولها "إن هذا لشيء عجيب" . ونلاحظ أن مجيء الاستفهام يحمل معنى التعجب والاستبعاد ، وقد تقرر ذلك وعلل بالجملتين الواقعتين حالا من الضمير فى "ألد" ، وهما "وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا" . والجملة الأولى منهما توضح حالها المنافية للولادة الموجبة للتعجب وهى كونها عجوزا عقيما كما صرح بذلك فى الذاريات .

والجملة الثانية تبين حال زوجها التى يمثل معها احتمال الانجاب وان كانت لاتنافيه ، وهى كذلك من موجبات التعجب (٢).

وجاء الاستفهام الآخر فى رد الملائكة {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} فهو استفهام انكارى تعجبي "فيه تعجب وانكار لتعجبها ، أى لاينبغى لك أن تتعجبي من شىء هو من أمر الله تعالى الذى لايعجزه شىء ، لأنك معتادة على رؤية الخوارق فى بيت النبوة والعجب انما يكون ممن خفى عليه مثل

(١) انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٨٤/٣ ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ١٨٨/٢ .

(٢) خصائص النظم القرآنى فى قصة ابراهيم عليه السلام ، د. الشحات أبو ستيت ص ٢٧٨، ٢٧٩ .

ذلك ، وفي قولهم "من أمر الله" زيادة انكار لتعجبها ولوم لها ورد عليها بأن هذا الشيء المنافي للعادة من أمر الله تعالى وشأنه وقدرته وهو الذى يقول للشيء كن فيكون ، فلا ينبغي التعجب من ذلك "(١).

(١) المرجع السابق ص ٢٧٩ .

معانى متفرقة للاستفهام :

وقد يقصد بالاستفهام "التهكم" كما فى قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} (١) .

فان الاستفهام فى هذه الآية "جاء للتهكم أو التندر وهى روح تسرى فى سائر أجزاء عبارتهم من قوله "أصلواتك تأمرك" ومافيه من تخيل أن الصلاة تتصرف فى أمره وتوجهه وجهة معينة يرفضونها وكأنها عندهم هذيان أو وسوسة شيطان ، ومرورا بقولهم "انك لأنت الحليم الرشيد" حتى قولهم "مانفقه كثيرا مما تقول" (٢).

وقد يأتى الاستفهام بمعنى الأمر ، وهذا النوع يشيع لونا من الاثارة والتشويق ، وسياسة النفوس والتأثير فيها واشراكها فى عملية الاقتناع ، كما فى قوله : {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} والضمير لكم ، بالجمع للمؤمنين بقيادة النبی الكريم جبهة واحدة وصفا كالبنیان المرصوص ، ومجىء الاستفهام بعد شهادة التوحيد أمر بالثبات على الاسلام ، والاخلاص فيه وهو من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين كما قال أبو السعود ، لأنه للمؤمنين المخلصين الذين محصهم البلاء والجهاد الطويل الصابر (٣).

وقد يعنى بالاستفهام تمييز أحد المشتركين فى أمر يعمهما كما فى قوله تعالى : {لِيَلْوَظَّكُمْ أَكْرَمُ أَحْسَنَ عَمَلًا} أى كأنه قال ليظهر من هو أكمل علما وعملا ويتميز ممن هو على خلافه وفيه تعظيم للمحسنين المتقين وتشريف لهم وإشارة الى أنهم من الله تعالى بمكان (٤).

(١) سورة هود : آية ٨٧

(٢) الحوار فى القرآن الكريم ص ٦٣٦ .

(٣) الأساليب الانشائية ص ٢٦ .

(٤) تفسير ابن كمال باشا ٢/ ٢٧٤ .

النداء

وهو طلب اقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو ، وأدواته الهمزة ، وأى ، ويا ، وأيا ، وهيا^(١) ، وقد تحدث البلاغيون عنها وفصلوا القول فيها ، فمنها ماينادى به القريب ، ومنها ماينادى به البعيد ، مع تركيزهم على اللطائف الدقيقة في مخالفة هذا النمط من التعبير^(٢) ، كما تحدثوا عن خروجه عن معناه الحقيقي ، واهتمامهم بتبيين العلاقة في هذه الأساليب المجازية^(٣).

وهو فن يخرج لمعان مجازية : كالأغراء ، والاختصاص ، والاستعانة ، والتنبيه ، والتعجب ، والتحسر ، والتوقع .. وقد جرى النداء في متصرفات كثيرة جدا وكأنه من أكثر الفنون تصرفا في المقاصد والمواقف ، ومن وراء ذلك "أغراض وأسرار ومذاقات والبحث في ذلك ودرسه باب جليل من أبواب معرفة الأدب وذوق اللسان"^(٤).

وجاء أسلوب النداء في السورة في ثلاثة وأربعين موضعا استأثرت "يا" منها باحدى وثلاثين موضعا^(٥).

(١) الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية في القرآن ، د. صباح دراز ص ٢٧٦ .

(٢) شروح التلخيص ٣٣٤/٢ .

(٣) حاشية البناني على مختصر السعد ٢٨/٢ بتصرف .

(٤) دلالات التراكيب ص ٢٦٨ .

(٥) سورة هود : الآيات ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٦١، ٦٢

٦٣، ٦٤، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣ .

التحليل البلاغى للنداء :

"يا" هى الأداة الطبيعية فى النداء . اذ هى أكثرها استعمالا عند العامة والخاصة ، ولأنها أم الباب ، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها ، لأنها تبدو فى خفة حركتها كأنها صوت واحد لانطلاق اللسان بمدّها دون أن يستأنف عملاً (١).

قالوا : ولا ينادى اسم الله الا بها ، وكذلك لا يقع فى نداء أيتها سواها ولا يقدر عند الحذف غيرها ، قال البلاغيون : "وانما يقول الداعى فى دعائه يارب وهو أقرب اليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر استقصارا منه لنفسه ، واستبعادا لها من مظان الزلفى ، وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين ، هضما لنفسه ، واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله" (٢).

(١) خصائص التعبير فى القرآن، د. عبد العظيم المطعنى . ٤٢٢

وانظر تفسير سورة الأحزاب ، د. أبو موسى ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٨ .

"يا" فى نداء القريب :

تأتى "يا" الموضوعه لنداء البعيد فى نداء القريب زيادة تنبيه للمنادى وتوكيدا لدعائه . وقد جاء ذلك فى المواطن الآتية :

نداء الأنبياء لأقوامهم :

قال تعالى : {قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ...} ، وقوله تعالى : {ويا قوم لأسألكم عليه مالا} فقد جاء النداء فى هاتين الآيتين لفتا وتنبيه للمنادى .

ومنه قوله تعالى : {قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره} ، وقوله : {يا قوم لأسألكم عليه أجرا} (١). فقد جاء نداء الأنبياء لأقوامهم "بوصف القوم مضافا الى ضميره ، لتذكيرهم بأصرة القرابة ، ولاستئزال طائر نفورهم تذكيرا لهم بأنه منهم فلا يريد لهم الا خيرا مع التنبيه على الاهتمام بما يلقي بعدها" (٢).

وعلى هذا المنوال جاءت الآيات التالية :

{ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه} ، {والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله} ، {قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة} ، {ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها} ، {يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم} ، {والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره} ، {ويا قوم أوفوا المكيال والميزان} ، {قال يا قوم أرأيتم ان كنت ...} ، {ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى} ، {يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله} ، {ويا قوم اعملوا على مكانتكم} (٢).

وقريب من هذا السياق نداء الملائكة للأنبياء فى قوله تعالى :

(١) سورة هود : آية ٥١، ٢٩، ٢٨

(٢) التحرير والتنوير ٥٠/١٢ .

(٣) سورة هود : آية ٩٣، ٨٩، ٨٧، ٨٥، ٨٤

{قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك} ، {ياابراهيم أعرض عن هذا} (١)

فالنداء لشد انتباههم وتنبيههم لتلقى الأمر الوارد بعده بأنهم رسل الله ، وبالأعراض عن الجدال في شأن هؤلاء القوم ، لأن الله قد حكم على الجميع بالهلاك حكما منتهيا لا عودة فيه .

وفي استعمال أداة البعد "يا" مع قرب "لوط" ، ابراهيم" عليهما السلام منهم اشعار بتعظيم شأنه وعلو منزلة المنادى مع التنبيه على عظم الكلام الآتي بعدها لكي يعوا مايلقيه الملائكة من نصائح وارشادات (٢).

نداء القوم لأنبيائهم :

ورد نداء القوم لأنبيائهم في خمسة مواضع من السورة هي على النحو الآتي :

قوله تعالى : {قالوا يانوح قد جادلنا فأكثر جادنا} ، {قالوا ياهود ماجئتنا ببينة} ، {قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا} ، {قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك} ، {قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا} (٣).

ولعل السر البلاغي في استعمال أداة البعد "يا" مع قرب الأنبياء عليهم السلام من أقوامهم ، هو أن النداء يبا هنا مشعر بالفراغ والبعد الهائل الذي كان يشعر به هؤلاء المارقون بينهم وبين الرسل : أعنى بعدهم عن الاقتناع بهداية الرسل ، فحرف "الياء" في هذه النداءات كاشف عن أوضاعهم النفسية ، رامز الى الهوة السحيقة بين واقع الرسالات وهؤلاء المتمردين عليها . والله أعلم .

(١) سورة هود : آية ٧٠، ٧٦

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة ابراهيم ص ٢٨٦ .

(٣) سورة هود : الآيات ٣٢، ٥٣، ٦٢، ٨٧، ٩١

النداء والتوكيد :

من خلال تأملنا لأساليب النداء في السورة ، يستوقفنا اقتران النداء

بالتوكيد في الآيات الآتية :

{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} ، {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} ، {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ} ، {قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} (١).

من الملاحظ أنه كثيرا ما يعقب النداء جملة مؤكدة بأدوات التوكيد المختلفة ، فاذا تذكرنا طبيعة النداء التنبيهية اتضح لنا أن مجيء أساليب التوكيد بعد النداء إنما هو توكيد بعد تهديد وتوثيق بعد تنبيه ، وله في النفس موقع وأثر .

(١) سورة هود : الآيات ٨١،٤٧،٤٦،٤٥

النداء بـ "يابنى" :

ورد أسلوب "يابنى" فى ستة مواضع من القرآن كله على لسان الأنبياء عليهم السلام .

وقد جاءت دلالة التصغير على حنان الأبوة فى سياق آية هود ، لأن القرآن أفاد أنه ابن مكلف ، والتكليف لا يكون الا بعد مرحلة البلوغ ، ولذلك لم يبق الا حنان الأبوة قبل أن تتضح له حقيقة أمره "انه عمل غير صالح" .

أما مع آية يوسف {يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} (١) على لسان أبيه نلحظ نداء يعقوب عليه السلام لابنه "يابنى" تصغير التحبيب والتقريب والشفقة تلاؤما بمخاطبة أبيه "ياأبت" بما فيه من اظهار الطواعية والبر والتنبيه على مكنى الشفقة بطبع الأبوة ، بينما نلحظ فى أسلوب ابراهيم {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى الْمَنَامَ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} (٢) مايلى أن نداء ابراهيم عليه السلام لاسماعيل فان التصغير فيه يدل على أمرين : أحدهما : خاص بالمقام وهو صغر سن اسماعيل قطعاً .

وثانيهما : الدلالة فيه على فرط المحبة والتلطف لأن الكلام يحمل لهذا الوليد ازعاجا شديدا وهو الذبح ، وفى النفس البشرية ضعف بطبيعة الحال وبخاصة من كان فى صغر اسماعيل .

بينما تأتى دلالتها فى أسلوب لقمان فى سياق النصيح الهادى {يابنى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (٣) .

(١) سورة يوسف : آية ٥

(٢) سورة الصافات : آية ١٠٢

(٣) سورة لقمان : آية ١٣

وبقى ملحظ بلاغى يعم المواضع كلها ، وهو أن نداء "ابن" مكبرا فيه ثقل لفظى : ياابنى ، والنداء مما يستحب فيه التخفيف بدلالة جواز الترقيم فيه كما قال ابن مالك .

ومن قراءات القرآن : {وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} (١).
فاذا حملنا التصغير فى المواضع السابقة على توخى التخفيف اللفظى مع الدلالة على حنان الأبوة كان أجمل .

بين النداء وبين الأمر والنهى والاستفهام :

يكثّر في النداء القرآني أن يصحب الأمر والنهى والاستفهام ، وقد جاء ذلك في الشواهد الآتية :

قوله تعالى : {يَابْنَىٰ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ} .

وقوله : {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} . نداء ، أمر ، نهى .

وقوله : {قَالُوا يَا لَوْطَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} . نداء ، أمر ، نهى ، استفهام .

وقوله : {وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} .

وقوله : {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} .

وقوله : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ} (١) .

وحين تتأمل سر مجيء أسلوب الأمر والنداء ، والاستفهام عقب النداء نجده يمثل ارتباطا نفسيا متساوقا مع طبيعة التعبير ، فالنداء : طلب اقبال ، وما يصحبه من أدوات التنبيه والايقاظ تجعل النفس أشد تهيؤا وأقرب تقبلا لما يجيء بعد النداء من أمر ونهى واستفهام ، ثم إن معظم أساليب الطلب جاءت مقترنة به حيث يراد تحريك العاطفة واثارة الوجدان وشدة التأثير في النفس ، والنداء وصيغ الطلب الأخرى أصلح الأساليب لبلوغ ذلك الغرض (٢) .

(١) سورة هود : الآيات ٤٢، ٦٤، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٩٢

(٢) أساليب الاستفهام ص ٣٩٥، ٣٩٦ .

نداء غير العاقل :

جاء نداء غير العاقل في قوله تعالى : {وقيل ياأرض ابلعى ماءك
وياسما اقلعى} (١). فالنداء للأرض وللسماء خطاب تكويني ليس فيه قول في
الواقع وفي التغيير اشارة الى حصول ماأراده الله .

حذف حرف النداء :

ورد حذف حرف النداء في ثلاثة مواضع كلها على سبيل الدعاء هي :
{ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى} ، {قال رب انى أعوذ بك
أن أسألك} ، {رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت} (٢).

يقول السيوطى : "والقرآن المجيد مع كثرة النداء فيه لم يأت فيه نداء
بغير "ياء" (٣)، وهى أكثر حروف النداء استعمالا ، ولهذا لايقدر عند الحذف
سواها ولاينادى اسم الله الا بها" (٤).

وأما الغرض البلاغى في الحذف فهو فضيلة الایجاز البيانى لأن استثمار
أقل مايمكن من الألفاظ فى الدلالة على أكثر مايمكن من المعانى هو منهج
القرآن .

ثم فيه اشعارا بالاحساس القوى الذى امتلأ به قلب نوح عليه السلام
من قرب الله ومعيته له .

أما فى الموضع الآخر "أهل البيت" فمع فضيلة الایجاز البيانى فان فيه
"اشعارا بخصوصيتهم وفضلهم وقربهم من الله عزوجل فهم أهل بيت
النبوة" (٥).

(١) سورة هود : آية ٤٤

(٢) سورة هود : الآيات ٧٣، ٤٧، ٤٥

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى ١٠١/٢ .

(٤) بصائر ذوى التمييز ٤٢٢/٥ .

(٥) خصائص النظم القرآنى فى قصة ابراهيم ص ٢٨٥ .

الأمر والنهي ودلالاتهما البلاغية

أولا : الأمر .

وقد عرفه البلاغيون بقولهم : "طلب فعل طلبا جازما على جهة الاستعلاء" (١).

والمقصود بالاستعلاء "عد الأمر نفسه عاليا سواء كان عاليا في نفسه أم لا" (٢).

وقد تعددت صيغه المفيدة لمفهومه كفعل الأمر ، كقوله تعالى : {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، والمضارع المقترن بلام الأمر نحو ليحضر عمرا ، واسم الفعل نحو قوله تعالى : {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} ، والمصدر نحو قوله : {فَضْرَبَ الرَّقَابِ} .

(١) أساليب الأمر والنهي وأسرارها البلاغية في القرآن ص ١٠ .

(٢) الحوار في القرآن الكريم ص ١٨١ .

خروج الأمر الى المعانى المجازية :

استعمل الأمر على غير حقيقته فى معان متعددة منها :

الالتماس :

وأصل الالتماس أن يكون الأمر فيه للمساوى ، غير أنه من الأجدر أن يتوسع فيه قليلا ، فيشمل الطلب من الأدنى الى الأعلى اذا كانا مشتركين فى البشرية ، فاننا نستطيع تسميته دعاء فيكون الالتماس أحق بهذه الأساليب . ومما ورد منه قول هود عليه السلام فى دعوته لقومه متلطفا فى قوله تعالى : {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} (١) ، والأمر اذا كان على سبيل التلطف يكون التماسا كما يرى السعد . وقد نزل الالتماس لقوة الترغيب منزلة الأمر الواجب . ومنه قوله تعالى مما دار بين ثود وصالح عليه السلام {وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} (٢) فان حرص نبى الله صالح عليه السلام على قومه من عذاب الله جعله يذكرهم بخالقهم فهو أنشأهم من الأرض واستعمرهم فيها ثم حثهم على الاستغفار والتوبة فالله قريب من المستغفرين والتائبين ، وفى قوله "استغفروه ثم توبوا اليه" تلتطف منه عليه السلام وحث لهم على عبادة الله على سبيل الالتماس . فقد نزل الالتماس لقوة الترغيب منزلة الأمر الواجب .

وقد عد بعض الباحثين قوله تعالى {وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} (٣) من قبيل

(١) سورة هود : آية ٥٢

(٢) سورة هود : آية ٦١

(٣) سورة هود : آية ٨٤ ، وانظر الحوار فى القرآن ص ١٨١ .

الالتماس حيث يقول : "ويلحظ تعلق هذه الأوامر بوسائل متعددة من التوجيه والاصلاح والاغراء ، فيها شيء من تلفظ هؤلاء الأنبياء لأقوامهم فيكون ذلك التماسا" .

والذى أراه أن هذه أوامر حقيقية تقتضى الايجاب وليست دلالات مجازية . وماذكره الباحث سبيل من سبل استمالة المأمور .

ومن مجيء الأمر للالتماس قوله تعالى مما دار بين نوح عليه السلام على نجاه ابنه جعله يلتمس التماسا لا يخلو من تضرع في قوله {وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ} (١).

وقد جاء من دعاء نوح عليه السلام في أثناء الانتقام المحيط بالطوفان وفي موقف الغضب الجبار لم يجرؤ نوح عليه السلام وهو في سفينته اللاعب بها هوج الأمواج بسم الله مجريها ومرساها لم يجرؤ على الدعاء لابنه العاصي صراحة ، بل كنى {رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (٢)، فالمقام للحكمة والارادة النافذة دون الرحمة فالكون كله في غضب ، فبين له ربه أن عاطفة الأبوة يجب ألا تنسيه أمر النبوة فابنه كان عملا فاسدا كغيره طهر الطوفان منه الأرض ثم عاتبه في شدة {إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فانطلق في ضراعة ودعاء {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٣).

(١) سورة هود : آية ٨٤

(٢) ٤٢

(٣) سورة هود : آية ٤٦، ٤٥

التهديد :

يستعمل الأمر في التهديد وذلك اذا استعملت صيغة الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمور به (١).

وقد استعمل الأمر في التهديد في مواطن الدعوة الى الله سبحانه وتعالى ، من جانب الرسل عليهم السلام كقوله تعالى حكاية عن صالح عليه السلام {فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} (٢) فان في قوله "تمتعوا" تهديد ووعيد لقومه الذين خالفوا أمره وفيه تبكيت لهم واهانة . ومن الملاحظ أن دلالة التمتع على صيغة الأمر وردت في آيات أخر جميعها خطابات شديدة متوعدة في اهانة وتبكيت ، كما أن فيها تنفيرا مما عليه القوم حتى يتأملوا ما هم فيه فيرجعوا عن غيهم .

وشبيه بما سبق قوله تعالى : {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ} (٣)، فقد جاء فعل الأمر "ذر" على غير دلالة الأصلية لما اشتمل عليه من تهديد ووعيد ، ولما فيه من الحفة في نطقه وانزلاق اللسان بحروفه المناسبة للانتقام الهائل والتهديد المخيف والانتقام السريع ، وهذا ما ألمح إليه حرف "الفاء" في قوله : "فذروها" فليس هناك وقت متسع للامهال وانما العذاب آت في وقت ليس بالبعيد وهو ما أشارت إليه خاتمة الآية {فِيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} .

ومن مجيئه للتهديد في قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} (٤) فقد خرج الأمر في هذه الآية عن دلالة الأصلية للتهديد ، وقد كان التهديد فيها خطابا مزلزلا للكافرين

(١) أساليب الأمر والنهي في القرآن ص ٢٥

(٢) سورة هود : آية ٦٥

(٣) سورة هود : آية ٦٤

(٤) سورة هود : آية ٩٣

ففيه وعيد شديد لهم وهو ما ألمحت اليه الآية "سوف تعلمون .." ثم ان الفعل "ارتقبوا" يدل على نتيجة العمل ، أى سترون أن العاقبة الحسنة ستكون لأينا مع العلم أنه واثق بما يقول ولكنه جاراهم فى قولهم عندما فقد الأمل فيهم .

ومثله قوله : {وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} (١) ، ففيه تهديد ووعيد للمشركين اذ ماذا يفعل الكافر أمام خالقه الجبار وهو قعيد الخطو بسنن راغمة وان ربك لبالمرصاد ، فالأمر جاء مجردا من أى لون تعاطفى ، بل جاء فى لهجة صادقة تعبر عن السخط والغضب (٢).

(١) سورة هود : آية ١٢٢

(٢) بلاغة الأمر والنهى فى النسخ القرآنى ص ١٠١ .

التحدى :

يكون التعجيز حين يقتضى فعل مالىس فى طاقة المخاطب لىظهر عجزه فالعلاقة بين الأمر والتعجيز شبه التضاد لأن الأول كما يقول اليعقوبى فى الممكنات والثانى فى المستحيلات (١).

ومن أشهر أساليب التعجيز آيات التحدى لمن نزل عليهم القرآن وهم أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثل القرآن فى بيانه أو بمثل عشر سور أو سورة واحدة .

ومما ورد معنا قوله تعالى : **إِقْلُ فَاَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ** (٢) وهى الآية الوحيدة التى ذكر فيها الوصف مفتريات ، لأنهم تعللوا بأنهم كيف يأتون بمعان مثل معانى القرآن ، فأعفاهم من ذلك وقرب لهم الغاية بأن يأتوا بمثل نظمه وسبكه وألفاظه ، ومعنى هذا أن هذه الكلمة جاءت مجازاة للخصم ، وليست هى القدر المشترك بين القرآن وبين ماطلب منهم الاتيان به ، وانما المطلوب منهم كلام يضاهى القرآن فى سمو بيانه ، وهذا وجه الشبه المطلوب منهم على وجه التحدى .

ومن مجيئه هكذا قوله تعالى : **اِقَالُوا يٰنُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَاكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ** (٣).

فالأمر : ائتنا استعجال وتكذيب وتحد ، وقولهم : ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين توحى مع التهكم بالتأفف وعدم المبالاة ، تلاحظ ذلك من تعميمهم (٤) "بما تعدنا" .

(١) مواهب الفتاح ٣١٥/٢ .

(٢) سورة هود : آية ١٣

(٣) سورة هود : آية ٣١

(٤) الأساليب الانشائية ص ٤٨ .

قال الزمخشري : "أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كأنه قيل : ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وجل لا يخلف الميعاد" (١).

وفكرة استعجال العذاب وردت كثيرا على ألسنة المكذبين وكلها تعني التكذيب والتحدى والاستهزاء من ذلك قوله تعالى : {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٢)، وقوله تعالى : {فَأُتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٣)، وقول لوط عليه السلام أصرح وأعنف سخرية {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} وهكذا .

(١) الكشاف للزمخشري ٢/٢٧٢ .

(٢) سورة هود : آية ٣٢

(٣) سورة الأحقاف : آية ٢٢

الالهـاب والتهـيج :

عرفهما البلاغيون بقولهم : "مقولان على كلام دال على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله ، ولكن يكون صدور الأمر والنهي ممن هذه حاله على جهة الالهـاب والتهـيج له على الفعل أو الكف لاغير" (١) ، ثم يبين مكانتهما بقوله : "فهذان نوعان من الكلام يردان في الكلام الفصيح والخطب البالغة ولولا موقعهما في البلاغة أحسن موقع لما ورد في كتاب الله تعالى الذي أعجز الثقلين الاتيان بمثله أو بأقصر سورة من سورة" .

ومن شواهد قوله تعالى : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} فالمراد به الأمر والاثارة والتهيج والالهـاب ، وذلك لأنه متوجه الى المأمور الواقع منه الفعل ولا يتصور أن يكون من خلافه ، وفائدة هذا أن يزداد الرسول صلى الله عليه وسلم تمسكا بما هو عليه من الحق واليقين ، يقول العلوى : "والمعلوم من حاله عليه السلام أنه حصل لهذه الأمور كلها من عبادة الله .. لا يفتر عن ذلك ولا يتصور منه خلافهما لأنه معصوم منه الأنبياء ، فلا يمكن تصوره من جهتهم بحال ، ولكن ورودهما على هذه الأوامر انما كان على جهة الحث له عليه السلام" (٢) .

وهناك ملمح آخر ارتآه أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى ، وهو "الاشارة إلى بسطة سلطان الربوبية وغلبتها وتفردا بالأمر والنهي وأن البشرية في أسمى صورها وهى النبوة تؤمر وتنهى وهذا تعميق للفرق بين الألوهية والنبوة ، وبذلك يضمن القرآن نقاء عقيدة الوحدانية لهذه الأمة ، فلا يطوف بخيال أن محمدا هذا الذى كرمه الله كل التكريم وقربه غاية التقريب يعرج إلى مرتبة الألوهية ، أو يتصف بصفة من صفاتها ، وقد كان أتباع الأنبياء يخلطون بين الألوهية والنبوة فقد قال النصارى : المسيح ابن الله ، وقال اليهود : عزيز ابن الله" (٣) .

(١) الطراز للعلوى ٦١/٣ .

(٢) المرجع السابق ٦٦/٣ .

(٣) دلالات التراكيب ص ٢٥٣ .

التكوين والتسخير :

من المعلوم أن الفرق بين التكوين والتسخير ، "أن التسخير تبديل من حالة الى أخرى أخس منها والتكوين انشاء من عدم الوجود ، ويوجد استعمال الأمر فيه كقوله تعالى {كن فيكون} ، والتعبير عن اليجاد بكن ايماء الى أنه يكون في أسرع لحظة وأنه طائع لما يراد فكأنه اذا أمر ائتمر ، ويحتمل أن يكون التكوين أعم بأن يراد به مطلق التبديل الى حالة لم تكن ، ويراد بالتسخير ما تقدم أى التبديل من حالة الى أخرى فيها مهانة ومذلة" (١).

ومن شواهد هذا النوع

التكوين قوله تعالى في نداء الأرض {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢) وقوله : {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} (٣)، فالمخاطب بالقول الالهي في هذه الآية السماء والأرض ، وقد نقل الامام الطبري آراء ثلاثة دارت مواقف العلماء بينها اغيازا لرأى أو ابطلا لآخر في مثل هذه الأساليب ، وهى :

الرأى الأول : أن القول الحقيقى فى الوجود ويحمل عليه خطاب المعدوم تخصيصا ، ثم قال أنه تخصيص من غير مخصص .
الرأى الثانى : أنه لاقول هناك بل جاء على الأسلوب العربى كقول الراجز :

امتلاً الحوض وقال قطنى
مهلا رويد قد ملأت بطنى
ثم ذكر شواهد جاءت بعد فى كتب العلماء .

(١) أساليب الأمر والنهى فى القرآن الكريم ص ١٧٦ .

(٢) سورة هود : آية ٤٤

(٣) سورة فصلت : آية ١١

الرأى الثالث : كأنه اكمال للأول وهو أنه لاخير فى خطاب المعدوم
لأنه فى علم الله موجود ، وقد رجح هذا الرأى (١).
والآية مما أفاض حولها المفسرون والبلاغيون.

ويرى الباحث أنه لامانع من اجراء الخطاب على وجهه وهو خطاب
التكوين الحقيقى والله قادر على خلق قوة ادراكية فى الجماد أن تسمع
فتطيع .

(١) تفسير الطبرى ١/٤٠٤-٤٠٦ .

التكريم :

وقد ورد في السورة في قوله تعالى : {قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (١)
 فالأمر في قوله "اهبط" في الظاهر أمر حقيقى ، ولكن الرضا والتكريم في هذه الآية مستفاد من قوله "بسلام منا وبركات عليك" لأن الحال هيئة من هيئات الفعل أى اهبط يحفك السلام (٢). وقد نزل التكريم فيه منزلة الأمر الواجب .

التثبيت والاستمرار :

ومنه قوله : {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} ، وقد جاءت الجملة التعليلية مبالغة في أمر الحث والتحريض عليه ، وزيادة في التثبيت والدوام (٣) ، ثم فيه توطين للرسول صلى الله عليه وسلم على تحمل أذى قومه بعد سماعه لقصاص الأنبياء السابقين فليس الذى هو فيه من أذى بأكثر مما كان عليه السابقون من الأنبياء عليهم السلام .

(١) سورة هود : آية ٤٨

(٢) أساليب الأمر والنهى في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٥ .

الارشاد والنصح :

قد يصعب التمييز بين الارشاد والالتماس لعدم وجود الضابط الدقيق الذى يفصل بينهما ، والملاحظ أن أوامر الأنبياء عليهم السلام إن لم تكن للنصح والارشاد ، فإن الباعث عليها هو تلك المعانى الانسانية والخلقية والدينية التى يتصف بها الأنبياء ، وقد يلحظ غير ذلك حينما يصر القوم على الرفض ويتجاوزونه الى السخرية والأذى كقول قوم هود عليه السلام ردا على دعوته اياهم {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} ، وكان رد هود عليه السلام : {قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ} ، فانه يحذرهم "انى أشهد الله" ، أما قوله "واشهدوا" فانه فى مقابلة السخرية والاستهانة بمثلها ، وهو ما يلمس من المخالفة بين الشهادتين بالواو .

يقول الزمخشري : "فان قلت : هلا قيل انى أشهد الله وأشهدكم ؟ قلت : لأن اشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد .. وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب .. كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه : أشهد على أنى لأحبك تهكما به واستهانة بحاله ..

أما الأمر الثانى فتحد ، فقد جاء تأكيدا لاستهانتهم بهم وبآلهتهم ورد على قولهم "إن نقول إلا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء" ، أراد هود عليه السلام بهذا الأمر أن يثبت عجزهم عن أن يمسوه بسوء كى يلزمهم الحجة لأنهم اذا عجزوا عن كيده على الرغم من قوتهم واجتماعهم وهو فرد ثبت استعصامه بقوة أعظم هى قوة من يدعوهم اليه ويؤكدده قوله {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ، فالأمر اذن للتعجيز والتحدى ويكشف السياق عن الباعث عليه وهو الزام القوم الحجة وتحريك عقولهم نحو الخالق الأعظم (١).

اجتماع الأمر مع النهى :

وفيه دلالة التوكيد والحرص على تنفيذ ما طلب ، وفيه دليل على أهمية ماورد بشأنه كقوله تعالى مما دار بين نوح وابنه {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} (١) ، فالظروف النفسية التي عاشها نوح عليه السلام وهو يرى ابنه يخرج عنه الى الهلاك يفسر تجاوز الأمر والنهى ، وما يقدمانه من مقارنة بين أمرين بينهما غاية التنافر أى معية الأب الحنون على ابنه المشفق عليه الحريص على نجاته ومعية الكافرين الموردة الى الهلاك " (٢) .

ومنه قوله تعالى فى أهمية الأمر والنهى وخطورة دورهما عندما يجتمعان فى قوله {وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ، وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (٣) .

فان شعيبا عليه السلام يحذرهم بالنهى " ويغريهم بالأمر وبينه أنه لا يكفى التخلّى عن النقصان بل يجب معالجة ما كان سببا فى ظلمهم بايفاء الكيل والميزان على أن النواهى تعددت وتدرجت على نحو يشعر بمدى تمكن النهى عنه فى نفوسهم وتعدد معاييبهم وانتشار مفسادهم " (٤) .

(١) سورة هود : آية ٤٢

(٢) الحوار فى القرآن الكريم ص ١٨٠ .

(٣) سورة هود : آية ٨٤، ٨٥

(٤) الحوار فى القرآن الكريم ص ١٨٢ .

ثانيا : النهى .

هو طلب الكف عن الفعل استعلاء ، وله صورة واحدة تنقدم فيها "لا" الناهية^(١) على الفعل المضارع نحو {يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} (٢) وكثيرا ما يخرج النهى عن معناه الحقيقى من طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء الى معان مجازية حسب دلالة السياق .

النهى للرجاء :

ورد الرجاء عن طريق النهى فى قوله تعالى عن نبى الله لوط مخاطبا قومه {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} ، ففى قوله "ولا تخزون" أى لاتذلونى وتهينونى لمن أجرتهم بمثل هذه الفعلة الشنيعة ، فالنهى للرجاء ويصور رغبة نفسية فى المحافظة على ضيفه وعدم التعرض لهم بأذى^(٣).

(١) الايضاح ص ٢٤٤ .

(٢) سورة لقمان : آية ١٣

(٣) أساليب الأمر والنهى فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ص ٣١٤ .

النهى للتسليّة والطمأنة :

جاء النهى مفيدا للطمأنة والتسكين في قوله مخاطبا نوح عليه السلام :
 {وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ} (١).

فالنهى في قوله "لا تبتئس بما كانوا يفعلون" أى لا تحزن حزن يأس
 مستكن ولا تغتم بما كانوا يفعلونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء والمعاداة
 في هذه المدة الطويلة ، فقد حان وقت الانتقام منهم .

فالنهى في قوله "لا تبتئس" للطمأنة والتسكين والتسليّة والتثبيت (٢).
 ومنه قوله تعالى : {قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ} حيث جاء
 النهى للطمأنة والتسكين ، منزلا منزلة النهى الجازم للطمأنة من النهى عنه .

(١) سورة هود : آية ٣٦

(٢) أساليب الأمر والنهى ص ٣٣٢ .

النهى للتهديد والوعيد :

وهو لا يرد الا فى سياق متوعد نلحظ ذلك فى نهى المولى عز وجل لنوح فى قوله : {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون} (١).

فالنهى هنا للتيئيس كأن الله يقول لنوح عليه السلام لافائدة من مخاطبتى فى شأن الذين ظلموا من قومك فقد قضيت باغراقهم فلاتخاطبنى فيهم تيئيسا لعدم الجدوى من المخاطبة .

النهى للتهكم والاستخفاف :

كقوله تعالى : {... واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون} ، فيأمرهم هود بكيده وينهاهم عن التأجيل تهكما بهم واستخفافا بقوتهم وقوة آلهتهم التى يدعونها (٢).

(١) سورة هود : آية ٣٧

(٢) الحوار فى القرآن الكريم ص ١٨٥ .

المبحث الثالث عشر

الفصل والوصل

كمال الاتصال :

وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوى كأنهما أفرغا في قالب واحد ، فتنزل الثانية من الأولى منزلة التوكيد أو البيان أو البدل . ومدار هذا أن العطف بالواو يقتضى التغاير ، وهذا لا يتحقق في التوكيد وصنويه اذ لا مغايرة بينهما .

(١) التوكيد :

وهو قسمان : معنوى ولفظى .
أما المعنوى فيتحقق بكون الجملة الثانية بمنزلة التوكيد المعنوى من الأولى ، فتفيد التحقيق والتقرير مع الاختلاف في المعنى ، وهو مقيس على التوكيد المعنوى في المفردات ، حيث يدفع توهم المجاز (١) .
وقد لوحظ في محاوراة الأنبياء لأقوامهم أن الجمل التي يقوى الاتصال بينهما حتى يصل الى درجة الكمال أكثر ماتكون اذا كانت الجملة الثانية تأكيداً للأولى ، "ولعل ذلك لأن الحاجة الى التأكيد أو ماهو بمنزلة في الحوار أكثر من الحاجة الى البيان والبدل أو ماهو بمنزلة التأكيد يدفع توهم غير المقصود في مقامات يحاول كل طرف فيها أن تقوى فكرته ويتأكد رأيه لينتصر على خصمه ، على أنه لا يوجد حد فاصل بين مايقع تأكيداً أو بيانا أو بدلا ، ولذلك يتجه عبد القاهر الى أن الجملة الثانية في قوله تعالى {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} محتملة للتأكيد أو بمنزلة الصفة

والبيان ، ويلخص الخطيب كلامه بقوله : "وأما قوله تعالى {ما هذا بشرا} ان هذا الا ملك كريم { فيحتمل التبيين والتأكيد ، أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل في جنس آخر ، فاثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد فلأنه اذا كان ملكا لم يكن بشرا ، ولأنه اذا قيل في العرف لانسان - ما هذا بشرا - حال تعظيم وتعجب مما يشاهد منه من حسن الخلق أو الخلق كان الغرض منه أنه ملك بطريق الكناية ، يعنى أن الجملة الثانية بيان لمن ينتظر بعد قوله "ما هذا بشرا" بيان نوع الجنس الذى يدخل فيه ، وتأكيده لمن لا ينتظر لفهمه ذلك بحسب العرف" (١).

وقد تحقق هذا في الشواهد الآتية من السورة :

قوله تعالى : {فلاتك فى مريم} منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٢) حيث جاءت جملة "انه الحق من ربك" لتقوى المعنى السابق وتؤكد وتضفى عليه طابع الاهتمام بصدق ما يتلى عليه صلى الله عليه وسلم وقد عد الطاهر بن عاشور الثانية تعليلا على سبيل الاستئناف البيانى (٣) وهو لم يبعد فيما قال ، اذ النكات البلاغية تتوارد ولا تتزاحم (٤).

وكثير من أمثلة هذا الباب يختلف حول تحليلها وتصنيفها ، ولكل وجهة صحيحة ، يقول أستاذنا الدكتور أبو موسى : "وليس الذى قلناه فى علاقات المعانى فى هذا الضرب من الاستئناف مالا يحتمل الكلام غيره ، فقد تلمح نوعا من الصلة غير الذى أشرنا اليه ، وقد ترى فى كثير من شواهدنا غير الذى قلناه ، ولا عليك : مادام هناك وجه ينهض به الكلام ولا يكبو ، وقد ترانا نذكر الشاهد فى موضعين مختلفين ، ولا علينا أيضا مادام الوجه مقبولا" (٥).

(١) مذكرة فى الفصل والوصل ص ٣٤ ، الشيخ سليمان نوار .

(٢) الحوار فى القرآن ص ٢٢٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٣١/١٢ .

(٤) دلالات التراكيب ص ٣٣١ .

(٥) سورة هود : آية ٢٣

وجاءت جملة {الاجرم انهم فى الآخرة هم الأخسرون} بمنزلة التوكيد المعنوى لجملة "وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ" فبينها وبين الأولى كمال اتصال لتوكيد معناها .

وهذا مانراه بعينه فى قوله تعالى : {والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون ، يا قوم لأسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون}{(١)}.

فقد فصل بين هذه الجمل لقوة الصلة المعنوية بينها فقد جاءت جمل "ان أنتم الا مفترون" ، "ان أجرى الا على الذى فطرنى" بمنزلة التوكيد المعنوى للجمل المتقدمة عليها وهو توكيد يبين استحقاق الله - سبحانه - بالعبادة وفيه بث لعقيدة التوحيد فى قلوب قومه .

وفى خطاب صالح - عليه السلام - تلحظ التوكيد فى قوله : {نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خذى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز}{(٢)}، فجملة "ان ربك هو القوى العزيز" ظاهر فيها توكيد انفراد المولى جل وعلا بالقوة والعزة ، فمن كان الله معه فلا غالب له ، وهى توكيد لجملة "نجينا صالحا والذين آمنوا معه..." فالتنجية لاتأتى الا من قوى ، فجاء قوله "ان ربك هو القوى العزيز" فزلت منزلة التوكيد المعنوى ، فبين الجملتين كمال اتصال .

كما نلحظ التوكيد فى قوله تعالى : {وما أريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح مااستطعت}{(٣)}.

فجملة "ان أريد الا الاصلاح" جاءت توكيدا معنويا لقوله "وما أريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه" ، لأن ارادة الاصلاح هى مفهوم قوله تعالى "الى ماأنهاكم عنه" فبينها وبين الأولى كمال اتصال لتوكيد معناها .

(١) سورة هود : آية ٥١،٥٠

(٢) سورة هود : آية ٦٥

(٣) سورة هود : آية ٨٧

كما جاءت جملة "ان موعدهم الصبح" بمنزلة التوكيد لجملة "انه مصيبيها ماأصابهم" في قوله "انه مصيبيها ماأصابهم ان موعدهم الصبح" توكيد فصل عما قبله للاهتمام والتهويل ، ولما بينهما من كمال الاتصال .

كما جاء على لسان امرأة ابراهيم عليه السلام قوله تعالى : {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} (١) ، فجملة "ان هذا لشيء عجيب" بمنزلة التوكيد لقولها "وهذا بعلي شيخا" ، فلذلك فصلت عن التي قبلها لكمال الاتصال بين الجملتين ، قال الطاهر : "وكأنها كانت مترددة في أنهم ملائكة فلم تطمئن لتحقيق بشرهم" (٢).

(١) سورة هود : آية ٧٢

(٢) سورة هود : آية ٧١

(٣) التحرير والتنوير ١٢/١٢٣ .

(٢) البيان :

وهو أن تكون الجملة الثانية بيانا للأولى وتوضيحا وتفسيرا لها من حيث كشف خفائها وازالة ابهامها .

وقد تحققت صورته في الشواهد الآتية :

حيث فصلت {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} عن {وَالِلّٰهُ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَأْقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ} لأنها منها بمنزلة البيان ، فالبدء في ذكر قوله "هو أنشأكم" انما هو كشف وتوضيح لابهام "مالككم من اله غيره" في الجملة السابقة .

كذلك فصلت جملة "انا أرسلنا الى قوم لوط" عن جملة الاستئناف البياني "قالوا لا تخف" اذ البداء المتقدم ظل معناه مطويا ملفوفا حتى أوضحتها الجملة الثانية وكشفت عن مكنونه . فبين الجملتين كمال اتصال .

وتأمل كيف جاءت "يابنى اركب معنا" تفسيرا وبيانا لسابقتها "ونادى نوح ابنه وكان في معزل" لكونها مبينة لها موضحة لابهامها ، وكأنها تبين ماهية الذى حدث فبين الجملتين كمال اتصال ، ولأن كلمة يابنى هو عين المنادى .

ويجىء الفصل بين جملتي {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ} مُبَيِّنٌ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ { على سبيل كمال الاتصال لكون الثانية تفسيرا للأولى وكشفا لها .

(١) سورة هود : آية ٦١

(٢) سورة هود : آية ٨١

(٣) البدل :

وهو نوع من أنواع الفصل لكمال الاتصال ، ويتحقق بكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الأولى ، والمقتضى للابدال كون الأولى غير وافية بالمعنى المراد ، فتأتى الثانية لتوفيه . اذ المقام يقتضى الاعتناء به لنكتة ما ككونه عجيبا أو مثيرا أو لطيفا^(١).

وقد تحقق هذا فى المواضع الآتية من السورة :

وقد تمثل أولى هذه الشواهد فى تصوير القرآن لاهلاك قوم صالح عليه السلام فى قوله تعالى : {كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود} . فلفظة "الا ان ثمودا" عامة تشمل جميع من حل بهم العذاب وهم قوم صالح ، ثم جاءت جملة "ألا بعدا لثمود" بدلا من سابقتها حيث تشمل هؤلاء على "سبيل كمال الاتصال" فهى بدل كل من كل وفيها وضع المظهر موضع المضمهر .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى فى قصة قوم شعيب عليه السلام : {كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود}^(٢) قوله "ألا بعدا لمدين" عامة تشمل جميع من حل بهم العذاب ، ثم جاءت جملة "كما بعدت ثمود" بمنزلة البدل من سابقتها على سبيل كمال الاتصال .

ومنه قوله تعالى : {ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد} . فجملة "من أنباء القرى نقصه عليك" عامة تشمل جميع القرى التى سابقة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء قوله "منها قائم وحصيد" بمنزلة البدل على الاشتمال على سبيل كمال الاتصال . والبدل هنا يصور حالة القرى ومنها مافنى واضمحل ومنها ماهوباق مما يزيد القصص المتلو دقة فى الوصف وليس ببعيد أن تكون "منها قائم" بمنزلة بدل بعض من كل ، وحصيد معطوف عليها .

(١) أسرار الفصل والوصل فى القرآن الكريم ص ١٠٦ .

(٢) سورة هود : آية ٦٨ . والظاهر أن هذه الجملة وماقبلها فصلتا لكمال الانقطاع لأن ما قبلهما خبر لفظا ومعنى . وهما انشاء معنى لأنهما دعائيتان .

الاستئناف البياني :

كثر هذا اللون في السورة وانتشرت أساليبه في آياتها ، ولعل ذلك لأنه يمثل أداة الحوار المتبادل بين أطراف القصص في مراحلها المختلفة ، نجده مرتبطا بكل محاورة مبدوءة بقال التي تتكرر في جواب لسؤال مقدر يثيره الكلام المتقدم عليها . ولذا يقول الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - في هذا الأسلوب : "الذى تراه في التزليل من لفظ "قال" مفصولا غير معطوف ... جاء على مايقع في أنفس المخلوقين من السؤال ، فلما كان العرف والعادة بين المخلوقين اذا قيل لهم : دخل قوم على فلان فقالوا كذا ، أن يقولوا : فماذا قال ؟ فيقول المجيب : قال كذا ، خرج الكلام ذلك المخرج ، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه ، وسلك باللفظ المسلك الذى يسلكونه" (١).

كذلك يكثر مجيء الاستئناف البياني في الأساليب التي ترد فيها الجملة المؤكدة عقب الأمر والنهى وكأنهما تبين علة الأمر وسبب النهى ، وتبين الحكمة منهما .

وهناك من أساليب شبه كمال الاتصال ماجاء على غير المنوالين السابقين حيث تكون الجملة الأولى متضمنة لسؤال تصلح الثانية أن تكون جوابا له .. وفي هذا تكمن القيمة البلاغية لأسلوب الاستئناف ، حيث تكون بذرة الجملة الثانية ملفوفة في الأولى وفي طيها ، وترك الجهر بها صنيع يبرز الأسلوب وجيزا مختصرا ولو ذهبت تبسط مأو جز لأعوزك التعبير الى عديد من الجمل ... وشتان ما بين الطريقتين (٢).

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٤٠ .

(٢) دلالات التراكيب ص ٣٣١ .

(١) الاستئناف البياني في صيغ الحوار :

بعد عرض ماتقدم أصبح من اليسير تحليل أساليب الاستئناف في
السورة .

فبدهى بعد أن سمعنا رد قوم نوح عليه السلام بعد أمرهم بالدعوة
وهم قد رفضوا دعوته واحتقروا أتباعه أن يسأل سائل : فماذا قال نوح
عليه السلام بعد سماعه رد قومه لهذه الدعوة ؟ فيأتي الجواب : "قال يا قوم
أرايتم ان كنت على بينة من ربي" على سبيل الاستئناف البياني .

وعلى هذا المنوال جاءت الآيات التالية :

قوله تعالى : { قَالَ سَأُوَيِّ إِلَيَّ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }.

وقوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } .

وقوله تعالى : { قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا } .

وقوله تعالى : { قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } .

وقوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } .

وقوله تعالى : { قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا } .

وقوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي } .

وقوله تعالى : { قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ } .

وقوله تعالى : { قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } .

وقوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ } .

وقوله تعالى : { قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ } .

وقوله تعالى : { قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي } . { قَالُوا يَا لُوطُ } .

وقوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي } .

وقوله تعالى : { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ } .

وقوله تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِيَّ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ } (١) .

فالاستئناف في هذه الآيات مظهر من مظاهر اللفت والاثارة والتشويق الذى يتميز به جدال الأنبياء مع أقوامهم .
ومما جاء منه قوله تعالى : {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم} (١).

فالآية تنفى أن يكون في الوجود أظلم ممن افترى على الله كذبا ، وقد جاءت الآية بهذا النفي في تركيب استفهامي كيما يكون مستقرا في كل قلب متغلغلا في كل نفس ، فكان كالمطالب ادراك ذلك فاذا بكل متلق منقب مقارن وموازن بين ضروب المفترين بحشا عن أظلمهم فلا يكون الا ماأراده القرآن: أن لاأظلم ممن افترى على الله كذبا ، وعندما نعرف الحقيقة اذا كان هؤلاء لأحد أظلم منهم فما مصيرهم ؟ فيجىء الاستئناف البياني ليلفت الأذهان الى مصيرهم مصدرا باسم الاشارة "أولئك يعرضون على ربهم" . وكأن الاستئناف البياني السابق كان مقصورا على تهديدهم في الآخرة فأعقبه باستئناف بياني آخر ليزيل الالتباس من ذهن السامع حين يسأل "هل هم سالمون في عذاب الدنيا ؟ فيأتى الجواب : {أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض} (٢) أى لم يكونوا معجزين في الدنيا ، ولايخرجون عن مقدرة الله على تعذيبهم في الدنيا اذا اقتضت حكمته تعجيل عذابهم" (٣).

(١) سورة هود : آية ١٨

(٢) سورة هود : آية ٢

(٣) التحرير والتنوير ٣٤/١٢ .

(٢) الاستئناف البياني بالجملة التعليلية :

جاء الاستئناف البياني عى غير ماسبق فى الجمل التعليلية ويكثر بدؤها بأن التوكيدية مراعاة لمقام التساؤل والطلب فى الجملة الأولى .
وفى مقام الأمر والنهى - خاصة - تحتاج النفس الى معرفة علة أمرها وسبب نهيها عن هذا الفعل أو ذاك ، وهنا يحسن الاستئناف التعليلى ، ويعظم موقعه .

وقد جاءت الجمل التعليلية استئنافا عقب الأمر فى المواضع الآتية :
فالتعليل عقب الأمر ورد بعد طلب هود عليه السلام من قومه أن يعبدوا الله فى قوله : {وَالِىٰٓ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَأْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} (١).

فان جملة "مالك من اله غيره" استئناف وقع تعليلًا للأمر بالعبادة .
وقوله تعالى : {وَالِىٰٓ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَأْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} (٢).

فان جملة "مالك من اله غيره" استئناف وقع تعليلًا للأمر بالعبادة ، وكذا جملة "ان ربي قريب مجيب" استئناف تعليلى مؤكد لمضمون ما قبلها .
ومن مجيء الاستئناف بعد الأمر قوله تعالى : {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} (٣) ، استئناف بياني وقع تعليلًا لقوله "أعرض عن هذا" فكأن سائلًا سأل لم يعرض عن هذا ؟ فقال مستأنفا انه قد جاء أمر ربك .
وشبيهه بما سبق قوله تعالى عن شعيب عليه السلام {وَالِىٰٓ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَأْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ} .

(١) سورة هود : آية ٥٠

(٢) سورة هود : آية ٦١

(٣) سورة هود : آية ٧٦

ومنه قوله تعالى : {وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتية عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا انى معكم رقيب} (١).

عندما أشار شعيب عليه السلام الى قومه بالتهديد "اعملوا على مكانتكم انى عامل" كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول : فماذا يكون بعد ذلك ، فقليل "سوف تعلمون" ، فالاستئناف هو الأنسب لمقام مجادلة شعيب عليه السلام لقومه .

وقد قارن جار الله الزمخشري بين هذه الآية وبين قوله تعالى : {قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتية عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم} (٢) فيقول :

"فان قلت : أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون ؟ قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت ، فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب ، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه" (٣).
وانما كان الاستئناف أبلغ الوصلين ، لأنه تتبع لحال المخاطب وبناء الكلام على ما يلاحظ من حاله ، وربما قصد الزمخشري بقوله : وأقوى الوصلين ... الخ المفارقة بينهما بوجه عام فى كل كلام ، والا فان كلا من الاستئناف والوصل بالفاء بليغ فى موضعه من القرآن الكريم لارتباطه بمقامه فليس الوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف فى القرآن للتفنن فى البلاغة أو لأن أحدهما أقوى من الآخر ولكن لأن كلا منهما له مقامه الذى يرتبط به ويناسبه (٤).

(١) سورة هود : آية ٩

(٢) سورة الزمر : آية ٤٠

(٣) الكشف ٢٩١/٢ .

(٤) انظر الحوار فى القرآن ص ٢٢٥ .

ومنه قوله تعالى : {ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم
ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب} (١).

حيث جاء الاستئناف تعليلا للنهي ، وكأنه أحدث سؤالا مفاده لم
لا يلتفون إلا امرأته ؟ فجاء الجواب "إنه مصيبتها ما أصابهم" استئنافا بيانيا على
تقدير التساؤل المتقدم .

وكان جملة "ان موعدهم الصبح" وهى مستأنفة استئنافا ابتدائيا والتي
فصلت عما قبلها للاهتمام والتهويل قد أحدثت تساؤلا آخر فى نفس لوط -
عليه السلام - من استبطاء العذاب (٢)، فجاء الاستئناف التعليلي مجيبا على
ما جاش فى نفسه عليه السلام "أليس الصبح بقريب" ، وهكذا .

قلت : وهذا خلاف المتبادر الى الذهن ، لأن الظاهر أن فصل جملة
"أليس الصبح" عما قبلها "ان موعدهم الصبح" سببه كمال الانقطاع ،
لاختلاف الجملتين خبرا وانشاء ، لفظا ومعنى ، ويندفع ما قاله الطاهر بن
عاشور من أن لوطا استبطأ مجيء العذاب أن الله قال على لسان رسله اليه :
ان موعدهم الصبح ، وهذا تحديد قريب لا يترتب عليه نشوء استبطاء فى
خاطر لوط ، لذلك نرجح عدم الاستئناف البياني فيها .

وهذا من أبلغ الاستئناف فان "أبلغ الاستئناف ما كان مبنيًا على صفة
ما استؤنف عنه لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم" (٣).

وقد يأتى الاستئناف فى سياقات خالية من الخصومة ولكنها تنطوى على
غربة فيكون الاستئناف تعليلا للشيء بما ينفى عنه الغربة كما فى قوله تعالى
{قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح} (٤)، فان قوله تعالى "إنه
ليس من أهلك" موضع غربة وتساؤل ، ولذا علله بقوله "إنه عمل غير
صالح" اذ الاعتبار بقراءة الدين لا بقراءة النسب .

(١) سورة هود : آية

(٢) التحرير والتنوير ١٣٣/١٢ .

(٣) المطول ص ٢٦٠ .

وكذلك جاء الاستئناف تعليلا للأمر في قوله : {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} (١)، فان جملة "انا
عاملون" ، و"انا منتظرون" قد وقعتا تعليلا لفعل الأمر اعملوا وانتظروا .
وتلاحظ أن الاستئناف وقع بعد فعل الأمر في قوله تعالى : {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} (٢) فقد كان مظنة
سؤال من سائل لم تقام الصلاة في هذين الوقتين ؟ فقال "ان الحسنات ..."
استئنفا تعليليا لما أثاره السائل .

ومن مجيئه للأمر قوله تعالى عن هود عليه السلام : {فَكِيدُونِي جَمِيعًا
ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ} ، إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ} فان جملة "انى توكلت على
الله ربي وربكم" تعليلا لقول هود عليه السلام ، فقد أثار الأمر سؤالاً وكأن
القوم قالوا ماسبب قوله هذا مع أنه فرد وهم عشيرة ؟ فجاءت جملة "انى
توكلت على الله ربي وربكم" مجيبة على هذا التساؤل ، وكأن هذا السؤال
أثار تساؤلاً آخر فجاء بعده استئناف آخر "مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها"
مؤكدًا بجملة تعليلية "ان ربي على صراط مستقيم" .

وكذلك جاء الاستئناف تعليلا للنهى في خطاب المولى جل وعلا
{وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} (٣)، حينئذ نتساءل عن سر هذا
النهى لم لا يخاطبه في هؤلاء القوم ؟ فيجىء الجواب "انهم مغرقون" استئنفا
بيانيا على تقدير السؤال المتقدم .

ومن مجيئ الاستئناف تعليلا للنهى قوله تعالى : {قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا
إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ} (٤) عندما أوجس منهم ابراهيم - عليه السلام - خيفة أجابوه
بقولهم لا تخف ، فأثار سؤالاً في نفسه ماسبب مجيئكم ؟ فكان الجواب انا
أرسلنا الى قوم لوط ، مكاشفة منهم بأنهم ملائكة (٥).

(١) سورة هود : آية ١٢١، ١٢٢

(٢) سورة هود : آية ١١٥

(٣) سورة هود : آية ٣٧

(٤) سورة هود : آية

(٥) التحرير والتنوير ١٣٠/١٢ .

كمال الانقطاع :

ويتحقق هذا المصطلح في مقصود البلاغيين في صورتين :
أولاهما : اختلاف الجملتين خبرا وانشاء ، لفظا ومعنى ، أو معنى فقط
وثانيهما : ألا يكون بين الجملتين جامع يصحح العطف ، وإن لم نعدم
مناسبة معنوية تصحح جمع الجمل في حيز واحد .
أما الصورة الأولى فتنحقق بتباين الجملتين خبرية وانشائية في اللفظ
والمعنى ، أو في المعنى فقط . وقد رفض جمهور النحويين فيها العطف ،
وماقاله أبو حيان عن سيبويه بجواز العطف : شك في نسبته ابن هشام
وشارحو كتابه ، ذكروا أن أبا حيان قد غاب عنه فنسب كلام الصفار الى
سيبويه (١) .

ودونك شواهدا :

ففى قوله تعالى : {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} ، أَمْ يَقُولُونَ
اِفْتَرَاهُ} نلاحظ تباين الجملتين ، فقد جاءت الجملة الأولى خبرية ، بينما جاءت
الثانية انشائية "أَمْ يَقُولُونَ" ففصل بينهما لكمال الانقطاع .

وعلى شاكلة ماسبق جاءت الجمل الآتية مفصولا بعضها عن بعض
لاختلاف الجملتين خبرا وانشاء {فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ
غَيْرٌ مُّكَذَّبٌ} ، {أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ} ، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ
أَوَّاهٌ مُّنتَبِّ} ، {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} ، {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ
بِقَرِيبٍ} ، {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٢) .
وفى قوله : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً
مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْكُمْ مَّوَاهَا} كمال انقطاع ، لأن قوله "فعميت عليكم"
جملة لها محل من الاعراب ، والجملة الثانية "أنزلكم مموها" ليس لها محل من
الاعراب ففصل بينهما لكمال الانقطاع .

(١) انظر مغنى اللبيب ١٠٠/٢ .

(٢) سورة هود : آية

أما الصورة الثانية من صور كمال الانقطاع : فتتحقق في الجمل المفصولة من غير الأساليب المتقدمة ، وقد انعدمت فيها المناسبة المستلزمة للعطف الصريح ، غير اننا لانعدم فيها رابطا معنويا ، أو تسلسلا ذهنيا أو جامعا مايسوغ حمل هذه الجمل في قرن واحد (١).

وقد ورد في الشواهد الآتية :

حين نتأمل قوله تعالى : {ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} نجد الفصل لكمال الانقطاع قد تحقق هنا ، فبعد انتهاء القصص وأحداثها التفت القرآن الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} وهذه مفصولة عما قبلها لأنه لامسوغ للعطف هنا ، فأحداث القصة قد انتهت وهذا شروع في ازجاء العبر واللفت الى المواعظ فيها .

أما الفصل بين قوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وقوله : {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} فهذه الجملة أو الآية لم تعطف على سابقتها لأنه كلام جديد يخبر فيه عن حال الفريقين ، فالفصل في الأولى لأنها خبر "ان" والفصل في الثانية لعدم وجود مسوغ للعطف ولعدم التناسب بين الآيتين .

ومثلها قوله تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرياتٍ وادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} حيث فصلت عن قوله : {من كان يريد الحياة الدنيا} لعدم التناسب بين الجملتين .

وهذا مانراه يعينه في قوله تعالى : {إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْعٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} حيث فصل بين الجملتين لعدم التناسب بين المسند والمسند اليه ، ولذلك استأنف القول . ويصح ارجاع الفصل فيها للاستئناف البياني .

وشبيه بهذا قوله تعالى : {الْأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ . إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وهى مفصولة عما قبلها لأنه لامسوغ للعطف
هنا ، لعدم التناسب بين المبتدأ والخبر فبينهما كمال انقطاع .

مواطن الوصل :

وله موطنان :

أولهما : كمال الانقطاع مع الايهام :

بمعنى أن تختلف الجملتان : خبرا وانشاء والفصل فيها يوهم خلاف المقصود ، كقول أبي بكر لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ قال : "لا عافاك الله" . قال : لقد علمتم لو كنتم تعلمون . قل : لا وعافاك الله . وهذا النوع لا يوجد له شاهد قرآني والحسن فيه محدود (١).

وثانيهما : التوسط بين الكمالين : أى بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال وهونوعان :

الأول : أن تتفق الجملتان في الخبرية أو الانشائية والواقع أن المعنى الخبرى أو الانشائى هو الأهم ، والصورة الشكلية خبرا وانشاء ليست مقصودة لذاتها ، ولذا فهذا التقسيم عند الخطيب لا يفيد كثيرا (٢).

هذا ، وقد جاءت شواهد هذا النوع في معظم آيات السورة ، ولذا سوف نكتفى بتحليل بعض آياتها ثم نشير لبقية المواضع في نهاية المبحث . فأول ما يلقانا من شواهد قوله تعالى : {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٣). ففي الجملتين تناسب فى المعنى لأن قوله "وهو على كل شىء قدير" عام يشمل الرجوع اليه سبحانه اذ من مظاهر قدرته خلق الانسان ورجوعه اليه ، ولذا فهو يعتبر جزءا من كل مظاهر قدرته جل وعلا فيبينهما توسط بين الكمالين .

ومثلها قوله تعالى : {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٤)، حيث عطف بين هاتين الجملتين لأن الجملتين متناسبتان فى المعنى ، فالنذارة تعتبر جزءاً من الوكالة فما عليك الا النذارة وماعداها فأمره موكل الى الله

(١) أسرار الفصل والوصل ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤ .

(٣) سورة هود : آية ٤

(٤) سورة هود : آية ١٢

سبحانه وتعالى ، فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى وبينهما توسط بين الكمالين .
ومنه قوله تعالى : {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم} (١) ، فقد وحد العطف بين الجملتين لتناسبهما فى المعنى لأن الاخبات أعلى درجات الايمان يقتضى زيادة فى الخشوع .

يقول ابن منظور : "وأخبت الى ربه اطمأن اليه . وروى عن مجاهد فى قوله تعالى : {وبشر المخبتين} قال المطمئنين ، وقيل : هم المتواضعون ، وكذلك قوله تعالى : {وأخبتوا الى ربهم} أى تواضعوا ، وقال الفراء : أى تخشعوا لربهم ، قال : والعرب تجعل الى فى موضع اللام ، وفيه خبته أى تواضع" (٢) .

فالفعل يدل على الاطمئنان وهذا يعنى أنه وجد سكنه وراحته فى الركون اليه ، فبين الجملتين تناسب فى المعنى ، اذ الاخبات يعنى الايمان وزيادة فى الخشوع ، فعطف بينهما للتوسط بين الكمالين .

وحين يكون النهى مؤكدا للأمر تلحظ التناسب بين الجملتين كقوله تعالى : {يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين} (٣) ، فبينهما توسط بين الكمالين ، لأنهما انشائيان لفظا ومعنى .

وشبيه به قوله تعالى : {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا} (٤) فبين الجملتين تناسب فى المعنى ، فأمر يعقبه نهى بينهما توسط بين الكمالين .

ومنه قوله تعالى : {وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين} (٥) ، فقد عطف قوله "ولا تتولوا" على الأولى "استغفروا" وذلك لأن الاستغفار اقبال على الله ورجوع اليه ونهاهم عن التولى ، كذلك معناه اقبال على الله أيضا ، فعدم

(١) سورة هود : آية ٢٣

(٢) لسان العرب ، مادة (خبت) .

(٣) سورة هود : آية ٤٢

(٤) سورة هود : آية ٣٧

(٥) سورة هود : آية ٥٢

التولى يعنى الاقبال ، فبين الجملتين تناسب فى المعنى ، ولذلك عطف بينهما للتوسط بين الكمالين .

وقد يكون التناسب بين الجملتين فى المعنى لأن بينهما تضادا يؤدى الى التناسب فى المعنى ، والتضاد بألوانه يؤدى دورا خطيرا فى الأساليب القرآنية وذلك لأن التقابل فطرى فى النفس وأقرب خطورا بالبال والحياة نفسها تقوم عليه ، بل هذا الكون العتيد مبنى عليه ليس فى الأمور المادية الحسية فحسب ، بل والعقلية والنفسية والروحية ، وليس الضد شرابالضرورة ، بل هو قانون التغير والتقلب فى الحياة والأحياء ، أليس الكون سماء وأرضا ، وليلا ونهارا ، وشمسا وقمرا ؟ أليست حياة البشر رفعة وضعة ، وغنى وفقرا ، وعزا وذلا ، وحلما وجهلا ؟ أليس الانسان مجموعة صفات متنازعة وحالات متفاوتة من صحة ومرض ، وسعادة وشقاء ، وإيمان وكفر . لذا وجدنا الطباق مما يبنى عليه القرآن وهو حياة مصورة للحياة بمفهومها الكبير ، ومراة عاكسة لقضية الايمان والكفر ، والصراع بين الحق والباطل ، والفضيلة والرذيلة ، ومالذلك من تشعب وتنوع وتقلب وحدة بين أصحاب الرسالات وأتباعهم المؤمنين ، وبين ذوى الباطل والكفر وأشياءهم^(١). تأمل قوله تعالى : {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} (٢)، فعطف بين الجملتين لأن بينهما تضاد ، والتضاد يؤدى الى التناسب فبين الجملتين توسط بين الكمالين .

وقد يأتى العطف بين الجملتين اذا كان الثانى جزءا من الأول كقوله : {أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (٣)، فالضلال جزء من خسارة النفس ، فلم يعد ينفعهم افتراؤهم الذى كانوا يتعززون به ، فبينهما توسط بين الكمالين للتناسب بينهما فى المعنى .

(١) انظر أسرار الفصل والوصل ص ٦١-٦٢ .

(٢) سورة هود : آية ١٧

(٣) سورة هود : آية ١٧

ومنه قوله تعالى : {أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من أولياء} (١)، فقد عطف بين الجملتين لأنهما متناسبتان فى المعنى فهم بأنفسهم لم يعجزونا ولا أولياؤهم ببعيدين عنهم فعطف بين الجملتين لما بينهما من توسط بين الكمالين .

وعلى ضوء ماسبق جاءت الآيات التالية :
قال تعالى : {وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها} .

- {انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون} .
- {قل ان افترتيه فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون} .
- {ويستخلف ربه قوما غيركم ولا تضرونه شيئا} .
- {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها} .
- {فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء} .
- {انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود} .
- {فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى} .
- {انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط} .
- {أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم} .
- {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا} .
- {بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ} .
- {ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم} .
- {ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله} (٢) .

(١) سورة هود : آية ٢٠

(٢) سورة هود : الآيات ١٧، ٣٥، ٥٧، ٦٤، ٧٦، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ١١٢، ١١٣، ١٠٩، ١٢٢، ٦١ .

القسم الثاني

آيات التشابه اللفظي في هود

القسم الثاني

آيات التشابه اللفظي في هود

التشابه في القرآن نوعان معنوي مثل اطلاق اليد في جانب الله ، وهذا النوع يقضى بتفويض السر فيه الى الله فلا يعلم حقيقته الا الله سبحانه وتعالى . ولفظي وهو مجيء موضعين فأكثر بألفاظ متشابهة للدلالة على معنى واحد .

ومنه في سورة هود قوله تعالى : {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} (١).

أوثر التعبير بالمال في هذا الموضع من قصة نوح عليه السلام في سورة هود ، ولم يرد في غيرها من قصص الأنبياء التي ذكرت في هود أو في غيرها - في سياق نفى أخذ الأجر على الدعوة ، من التعبير بلفظ المال ، وإنما الذي كثر في ذلك لفظ "الأجر" كقوله تعالى : {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (٢)، وكذلك في غيرها من السور (٣). غير أنه قد ورد نفى سؤال المال في مقابل الدعوة فيما ذكر من قصة

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع بعض المؤمنين في سورة محمد وذلك في قوله تعالى : {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ الْوَلِيُّ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ . هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (٤).

(١) سورة هود : آية ٢٩

(٢) سورة هود : آية ٥١

(٣) انظر المعجم المفهرس ، مادة (سأل) ، ص ٣٣٦، ٣٣٧ .

(٤) سورة محمد : آية ٣٦-٣٨

والواضح من سياق هذه الآيات أنها واردة في خطاب المؤمنين وحثهم على الانفاق وعدم البخل ، وعلى هذا فليس الخطاب في مثل هذا السياق فيما نحن فيه ، لأننا هنا في آية هود في معرض الحديث عن خطاب الأنبياء للكافرين من أقوامهم .

وعلى هذا لم يرد التعبير بنفى سؤال المال بوصفه أجرا دون التصريح بلفظ الأجر الا في هذا الموقع من القرآن الكريم ، كما لم يرد في المواقع الأخرى التي ذكرت فيها قصة نوح الا التعبير بلفظ "الأجر" كقوله تعالى : {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١). وقوله تعالى : {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} (٢)، وقوله : {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (٣). وهذا يعنى أن لهذا الموقع الخاص من سورة هود وجه اختصاص بلفظ المال ، وفي تفسير هذا الوجه يقول الكرمانى "لأن في قصة نوح وقع بعدها خزائن ولفظ المال بالخزائن أليق" (٤). وذلك أن في سياق آية هود : "ويا قوم لأسألكم عليه مالا .." ذكرا للخزائن وذلك قوله تعالى : {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (٥).

قلت : وهذا من باب المشاكلة والمناسبة للسياق ، غير أننا نبحت هنا عن وجه مناسبة المال والخزائن لقصة نوح في هذه السورة بخاصة .

لأن في السور الأخرى ذكرا للأجر على الإطلاق وهو يشمل المال وغيره ، وليس فيها ذكر للخزائن أو ماشاكلها مما يناسب المال ، لكننا لانعدم شيئا مما يدل على حب قوم نوح للمال وتشبثهم به حتى انهم جعلوه

(١) سورة الشعراء : آية ١٠٩

(٢) سورة الشورى : آية ٢٣

(٣) سورة ص : آية ٨٦

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرمانى ص ٩٨ .

(٥) سورة هود : آية ٣١

عمود جدالهم مع نوح عليه السلام في أكثر من موقع من مواقع سرد هذه القصة في القرآن كقوله تعالى : {قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ} (١).

الا أنهم في سورة هود بخاصة قد بالغوا في اتخاذ هذا الأمر ذريعة للكفر وأكثروا من الجدل فيه ، يدل على ذلك ماورد على لسانهم في قوله تعالى : {فَقَالَ الْمَلَأُ (٢) الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ، مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (٣).

وقد حملت هذه المبالغة نوحا عليه السلام على جوابهم بأبلغ حجة في قوله تعالى : {قَالَ يَأْقَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكْمُوهُمَا وَآتَمَّمْ لَهَا كَارَهُوْنَ . وَيَأْقَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَنَا أَنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ . وَيَأْقَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكُ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (٤).

يقول الرازي : "اعلم أن هذا هو الجواب عن الشبهة وهى قولهم لايتبعك الا الأراذل من الناس وتقرير هذا الجواب من وجوه :

الوجه الأول : أنه لم يطلب على تبليغ الدعوة مالا حتى يتفاوت الحال في كون المستجيب فقيرا أو غنيا وانما أجرى على هذه الطاعة على رب العالمين .

(١) سورة الشعراء : آية ١١١

(٢) مما يدل على أن لقوم نوح مزيد تعلق بالمال والجاه والاعتزاز بالشرف أكثر من غيرهم من الأقوام أنهم لم يشاركهم في التعبير بلفظ "الملأ" الوارد في قوله "فقال الملأ ... " لم يشاركهم أحد من أقوام الرسل الآخرين الذين وردوا في السورة ، وانما الذى ورد "قالوا ياهود .. ياشعيب .." وهكذا وهذا يشير الى أن القوم كانوا في شئ من الفخر غير قليل .

(٣) سورة هود : آية ٢٧

(٤) سورة هود : آية ٢٧-٣١

الوجه الثاني : كأنه عليه السلام قال لهم انكم اذا نظرتهم الى ظواهر الأمور وجدتموني فقيرا وظننتم اني انما اشتغلت بهذه الحرفة لأتوسل بها الى أخذ أموالكم وهذا الظن منكم خطأ فاني لأسألكم على تبليغ الرسالة أجرا ان أجرى الا على رب العالمين فلا تحرموا أنفسكم بسبب هذا الظن الفاسد . وهذا منطق الأنبياء كلهم يدل على ذلك ماورد في قصة سبأ مع سليمان { فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ } . فكان نوح عليه السلام يقول لقومه عندما قال لهم "ولأقول لكم اني ملك" كأنه يقول لهم ماقاله سليمان عليه السلام .

الوجه الثالث : في تقرير هذا الجواب أنهم قالوا "مانراك الا بشرا مثلنا" الى قوله "ومانرى لكم علينا من فضل" فقد بين عليه السلام أنه تعالى أعطاه أنواعا كثيرة توجب فضله عليهم ولذلك لم يسع في طلب الدنيا وانما يسعى في طلب الدين والاعراض عن الدنيا (١).

كأنه يقول لهم عليه السلام انني لأطلب مالا على هذه الدعوة ، فيكفيني شرفا أن الله تعالى قد خصني بالنبوة والعلم فهذا أكمل الفضل ، فأنا غنى عن أن أسأل مالا .

وهنا تبرز أهمية التعبير بلفظ المال في هذا السياق .

كل هذا يدل على أن لفظ المال في هذا السياق مالميس للفظ الأجر ، لأن الأجر قد يفهم منه الرئاسة والجاه ، فالرد عليهم بنفى سؤال "المال" خاصة أنسب لما جادلوه فيه من قبوله لأولئك الفقراء المساكين الذين آمنوا معه .

ومن متشابه اللفظ قوله تعالى : { أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات } (٢).

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٢٣/١٧ .

(٢) سورة هود : آية ١٣

وفي سورة "يونس" {أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله} (١).
وفي سورة البقرة : {وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله} (٢).

فلم أثر التعبير القرآني لفظ "من" في سورة البقرة واسقاطها في كل من
يونس وهود؟

يقول الزركشى في البرهان : "لما كانت سورة البقرة سنام القرآن
وأوله بعد الفاتحة حسن دخول "من" فيها ليعلم أن التحدى واقع على جميع
القرآن من أوله الى آخره ، بخلاف غيرها من السور فانه لو دخلها "من"
لكان التحدى واقعا على بعض السور دون بعض" (٣).

وعلق الدكتور عبد الفتاح لاشين بقوله : "فقد أسقط التعبير القرآني
حرف "من" في آيتي التحدى الأولى والثانية ، لأن الابتداء والتبعيض غير
مراد ، وإثبات "من" في كليهما يدل على أن التحدى واقع على بعض السور
دون بعض ، وهذا ما يأباه المعنى ، ولذلك سقطت . أما الآية الأخيرة التي في
سورة البقرة ، فقد حسن فيها دخول "من" حيث أن المراد أن يكون
التحدى واقعا على جميع القرآن من أوله الى آخره ، لذلك ثبتت هنا
وأسقطت هناك" (٤).

ولم يبين لنا كيف أفادت "من" أن التحدى واقع على جميع سور
القرآن في آية البقرة وتفيد التحدى ببعض سور القرآن لو دخلت في آيتي
يونس وهود؟

ويقول الطاهر ابن عاشور في كتابه المعروف : "والضمير في قوله من
"مثله" يجوز أن يعود على مانزلنا أى من مثل القرآن ، ويجوز أن يعود الى

(١) سورة يونس : آية ٣٨

(٢) سورة البقرة : آية ٢٣

(٣) البرهان ١/ ١١٥ .

(٤) من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن ص ١١١ .

عبدنا ، فان أعيد الى ما نزلنا ، أى من مثل القرآن ، فالأظهر أن "من" ابتدائية ، أى سورة مأخوذة من مثل القرآن ، أى كتاب مثل القرآن ، والجار والمجرور صفة لسورة ، ويحتمل أن تكون "من" تبعيضية أو بيانية أو زائدة^(١).

ولم يوضح لنا لماذا جاءت "من" الابتدائية أو البيانية أو التبعيضية وهل لوجودها فائدة؟

والواقع أن آية البقرة وإن كانت أول الآيات الثلاث ترتيباً في المصحف فهي آخرها نزولاً فكيف فهم المنزل عليهم آيتى هود ويونس قبل أن تنزل آية البقرة ، وإن كانوا قد فهموا منها أن التحدى واقع على جميع سور القرآن فما الذى أضافته آية البقرة الى ما فهموه؟

إن أفضل ما طالعت فى هذا هو ما ذكره الأستاذ محمد الغمراوى رحمه الله فى كتابه الاسلام فى عصر العلم حيث يقول : "فانظر كيف أن الله بعد أن نفى كل ريب عن كتابه ، تحدى أهل الريب أن يأتوا بسورة من مثله مستعينين بمن شاءوا الا بالله القادر وحده على مثل كتابه ، وهى آخر آيات التحدى ، فيها ثناء لاثناء يعدله بانفراد القرآن من بين الكتب المنزلة - حتى فى أقصر سورة يعجز للخلق أجمعين فى جميع العصور ، وقد يظن أن هذا التحدى الأخير فى العهد المدنى تكرر للتحدى الأخير فى العهد المكى فى آية يونس { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ، وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ففى كل من الآيتين الكريميتين جاء الأمر "فأتوا" يتحدى المرتابين بسورة "مثل" القرآن فى يونس ، و"من مثله" فى البقرة فهل لزيادة الحرف "من" مغزى يزيد فى قوة التحدى ؟ إن ضمير الجلالة للمتكم فى آية البقرة ، بدلا من ضمير الرسالة المستتر فى فعل الأمر "قل" يجعل التحدى مباشرا من الله فى البقرة بدلا من أن يكون من الله بواسطة الرسول فى يونس . وهذا لاشك يجعل وقع التحدى أقوى مايكون ، فلا ينبغى قط أن يفهم قوله تعالى "من مثله" على وجه يجعل الحرف "من" مضعفا للتحدى ،

فيكون في مغزاه منافيا لمغزى ضمير الجلالة في قوله تعالى {مما نزلنا على عبدنا} ، وهذا مايكون لو أرجع الضمير في "من مثله" الى الرسول المكنى عنه بعبدنا بدلا من القرآن برده الى الاسم الموصول "ما" الدال على القرآن في قوله "مما نزلنا" فشتان ثم شتان بين التحدى بسورة من "مثل القرآن" في آخر صور التحدى الباقي على الدهر ، والتحدى بسورة "من مثل النبي" في أميته كما ذهب اليه بعض كبار المفسرين في القديم وفي الحديث .

فالمثلية التي هي ركن التحدى في قوله تعالى "من مثله" هي اذن مثلية القرآن كما عليه جمهور المفسرين ، لامثلية النبي كما عليه قليل منهم ، وفي هذه الحالة يمتنع أن تكون "بيانية" اذ تصبح زائدة لامغزى لها ، لأن فأتوا بسورة مثله أصح وأخصر من "فأتوا بسورة من مثله" عند اتحاد العنى ، وليس في القرآن حرف زائد ، حذفه خير من وجوده ، أو حذفه ووجوده سواء ، كما قرره الفخر الرازى في القديم ، والأستاذ الأكبر السابق الشيخ تاج في الحديث . لكن اذا كانت "من" تبعيضية كأن قد قيل "فأتوا بسورة بعض مثله" كان في التحدى تساهل وارشاء يزيد قوة فوق التي يزيدها ضمير الجلالة للمتكلم ، كأنهم لما عجزوا عن المثلية التامة لسورة من القرآن طولبوا على وجه التعجيز بسورة تشبه أن تكون مثل القرآن أسلوبا ومعنى ، وهذا لاشك ترقى في التحدى في آخر صورة تجاوزه الذروة التي بلغها في آية سورة يونس "(١)".

أما لماذا أوتر التعبير بلفظ "بعشر سور" ولم وصف "بمفتريات" وفي يونس "بسورة مثله" ولم قيل في البقرة : "وادعوا شهداءكم" وفي يونس وهود بقوله "من استطعتم" ، وليبان سر اختصاص كل سورة بما جاء فيها يذكر صاحب ملاك التأويل : أنه لما قيل في سورة هود "مفتريات" وسع عليهم فناسبه التوسعة في العدد المطلوب "بعشر سور" لأن الكلام المفتري أسهل فناسبته التوسعة ، أما ماجاء في السورتين الأخريين فلم يذكر لهم

فيهما أن يكون مفترى عليه بل المطلوب منهم المماثلة مطلقا ، وذلك أصعب واشق عليهم مع عجزهم في كل حال فوق الطلب حيث التطبيق بسورة واحدة وحيث التوسعة بعشر سور مناسبة جليلة واضحة .

وأما قوله "مفتریات" ليحصل عجزهم بكل جهة فلا يقررون على وجود شخص مماثل له صلى الله عليه وسلم في ظاهر الصورة الجنسية سمع منه ما يسمع من محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقدرّون على مثل سورة واحدة من سور القرآن . وقد جاء ذلك من طلبهم بالتدريج فأولا بالمماثلة من دون ذكر مفترى ثم قيل لهم جيئوا بمفترى ، لتتضح البينة ولم يبق لهم بعد ذلك عذر الا العناد .

وأما قوله "وادعوا شهداءكم" فالمراد به من يشهد لكم أن شخصا مثله صلى الله عليه وسلم قد سمع منه ما طلب منكم ، ويشهد لكم بأن قد فعلتم ، وأما ما قيل في يونس وهود "أى استعينوا في النظم والتأليف بمن قدرتم ، لأن سماع ذلك منهم لا يحتاج معه الى شهادة شاهد اذ لو ادعوا أن أحدا سمع منه مثل القرآن لما اقتنع منهم بمجرد دعواهم" (١).

ومن التشابه قوله تعالى : {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} (٢).
وقوله : {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ} (٣).

وقوله : {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} (٤).
وجاء باثبات النون في قوله تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} (٥).

(١) ملاك التأويل ، ابن الزبير الغرناطى ٣٩١/١ - ٤٠ .

(٢) سورة هود : آية ١٧

(٣) سورة هود : آية ١٠٩

(٤) سورة النمل : آية ١٢٧

(٥) سورة السجدة آية ٢٤

فما وجه حذف النون واثباتها في الآيات السابقة؟
 من الملاحظ أن جميع هذه الأساليب جاءت خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم ، وجاءت تثبيتاً وتزجيهاً وتسلياً وربطاً على قلبه الشريف .
 ففي حذف النون في قوله : {ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون} ، وقوله : {فلاتك في مرية مما يعبد هؤلاء} دلالة على القلة الضئيلة فهو نهى عن التعرض لأدنى ضيق من مكر المشركين . وقد نزلت تصير النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في شهداء أحد العظام وفيهم أسد الله حمزة ابن عبد المطلب وقد ملأ القلوب الأسى والحزن فنزلت الآيات لتصف جزاءات الشهداء عند الله .

فالمقام رقيق حزين وحذفت النون بيانا لتركه أدنى ضيق مما يكره المشركون .

كما جاءت فلاتك في مرية مما يعد .. نهياً عن التعرض لأدنى شك في بطلان عبادتهم .

وأما ماورد باثبات النون في قوله {فلاتكن في مرية من لقائه} وقوله : {فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين} ، وقوله : {الحق من ربك فلاتكن من الممترين} .

لما كان الحرج مما لاينهى عنه ، والشك غير متوقع كان نهياً عن التعرض للحرج بطريق الكناية ونهياً عما يوقع في الريب ، باكتساب المعارف المزيلة للشك .

وقد فسر الزمخشري الحرج بالضيق ، والرازي بالضيق أو الشك وضعفه أبو حيان وقال : ان كان صح عن ابن عباس فالمراد النهى عن التعريض له بطريق الكناية كما في قولهم : لأأرينك هاهنا فانه في الظاهر للمتكلم وفي الواقع للمخاطب أى لاتكن ههنا بحيث أراك اذ الرؤية مترتبة على الوجود في المكان ففيه كناية ، فكأنه في قوله "فلا يكن في صدرك حرج منه" كناية مترتبة على كناية والمعنى لو كان الحرج مما ينهى عنه لنهيناك

عنه فلا تتعرض له ضيقا أو شكا أو غيرهما . وفيه تنزيه للنبي صلى الله عليه وسلم عن النهي المباشر لأن ثم مايزيله ويكون سببا لشرح الصدر وطمأنينة القلب وهو القرآن الكريم . ففي اثبات النون زيادة في تأكيد النهي ، لأنه يتناسب والسياق الذي جاءت فيه (١).

ونجد متشابه النظم في قوله تعالى : {الْأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ} (٢)، مع قوله في سورة النمل : {الْأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ} (٣)، فقد كان تخصيص كل سورة مناسبا لسياقها ، حيث ذكر الخطيب الاسكافي والغرناطى أن ماورد في كل سورة ملائم لسياقها ، ففي سورة هود قد تقدمها مايفهم المفاضلة من سياقها ، فقد تقدمها : {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ...} (٤). ويفهم من هذا السياق "أفمن كان على بينة من ربه" كمن كفر وجحد وكذب الرسل ، ثم تلاه بقوله : {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا} (٥) فهذا صريح مفاضلة ، ثم تلتها آيات في وصف من ذكر وعرضهم على ربهم ، وقول الأَشهاد : {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ . أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ، لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ} (٦). فناسب لفظ الأخسرين بصيغة التفاضل ومقصود التفاوت ماتقدم مما يفهم من الآيات السابقة ، ولو ورد هنا الخاسرون مكان الأخسرين لتنافر النظم ولم يتناسب السياق .

(١) انظر الأساليب الانشائية ص ٩٣ .

(٢) سورة هود : آية ٢٢

(٣) سورة النمل : آية ١٠٩

(٤) سورة هود : آية ١٧

(٥) سورة هود : آية ١٨

(٦) سورة هود : آية ١٨-٢٢

وقد وردت هذه اللفظة بصيغة التفاضل في آيات أخر كقوله تعالى :
 {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
 يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} (١) ، فكانوا أخسرين لأنهم ظنوا أن أعمالهم
 صالحة وهى خلاف ذلك حيث اجتمعت لهم خسارة الدنيا والآخرة .

ونجد هذه الصيغة في سورة الأنبياء في قوله : {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
 الْأَخْسَرِينَ} (٢) ، فقد كانت المكايدة بين ابراهيم عليه السلام والكفار ، حيث
 كادهم بقوله : {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ} ثم أخبر عن الكفار لما ألقوه في النار
 بقوله : {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا} فلما جرت بينه وبينهم مكايدة بكسر أصنامهم ، ولم
 يكيده لأنهم لم يبلغوا مرادهم من احراقه كانوا هم الأخسرين ، لأنهم قد
 عادت عليهم مكايدهم بالخسران المبين .

أما ماجاء في آية النمل السابقة فلم تقع قبلها مفاضلة ولا تفاوت وإنما
 ورد قبلها {ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ،
 إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون} . وبعد
 هذا "أن الله لا يهدى القوم الكافرين} . فقد اتفقت الفواصل في اسم الفاعل
 في قوم متفقى الأحوال في كفرهم الى أن ختم وصفهم بـ "الغافلون" وما قصد
 من ذكرهم بقوله : {لأجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون} فتناسب الآى في
 السياق والفواصل ، حيث ختمت بمثل ما بدئت به ، ولم يكن بين الآيات
 مفاضلة كما في الآية السابقة (٣) .

(١) سورة الكهف : آية ١٠٣

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧٠

(٣) انظر : درة التزليل وغرة التأويل للاسكافي ص ٢١٩، ٢٢٠ ، البرهان في توجيه
 متشابه القرآن للكرمانى ص ٩٦-٩٧ ، ملاك التأويل ، أحمد بن الزبير الغرناطى
 ص ٥١٢، ٥١٣ .

ومما ورد منه في سورة هود قوله تعالى : {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} ، وقوله تعالى في سورة القصص : {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} .

عبر بلفظ "يهلك" في سورة هود "وما كان ربك ليهلك" فقد تقدمها {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} .

وجيء بالفعل يهلك ، اشارة الى التكرار بحسب ما يكون منهم . فلو كان في كل أمة وقرن بعد قرن من ينهى عن الفساد والظلم لما أخذوا بذوى الظلم منهم ، ولكن تكرر الفساد منهم فكرر عليهم الجزاء والأخذ فجاء التعبير بالفعل .

ثم ان الصلاح والغفلة ذكرتا مع نفي الاهلاك لأنهما سبب دفعه وقد أثبت لهم صفة الصلاح بطريق مباشر وفي الثانية أثبت الصلاح عن طريق الغفلة والمراد بها أن المعاصي لم تخطر مجرد خطور في بيان المتحدث عنهم . وأما الظلم فقد ذكر مع ثبوت الاهلاك لأنه سببه .

القسم الثالث

التطوير البيانى فى السورة

ويشمل الآتى :

- المبحث الأول : التشبيه
- المبحث الثانى : الاستعارة
- المبحث الثالث : المجاز المرسل
- المبحث الرابع : الكناية
- المبحث الخامس : التعريض

المبحث الأول

التشبيه فى السورة

يعد التشبيه من أقوى الأساليب البلاغية بيانا فى تصوير المعانى وتجسيدها وصياغتها الكاشفة ، وقد كثر هذا الأسلوب فى القرآن كثرة لفتت نظر الزمخشري - رحمه الله - يقول : "ولضرب العرب الأمثال ، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالحفى فى ابراز خبيئات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامع الأبى ، ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء ، قال الله تعالى : {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (١) ، ومن سور الانجيل سورة الأمثال (٢) .

وللتشبيه فوائد قيمة أفصح عنها العلماء منها : الایجاز ، والاختصار ، وأفضل فوائده تتمثل فى التبيين والتوضيح ، حيث وظيفته الأساسية ازالة اللبس والغموض عن المعنى وتجليته للأنظار القريبة الى الأذهان (٣) .

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٣

(٢) الكشف للزمخشري ١٩٥/١ .

(٣) راجع فن التشبيه د. على الجندى ٧٣/١ .

وقد يتجاوز التوضيح هذا الحد الى تقرير المعنى وتوكيده ، لاسيما في مجال التشبيه بالمحسوس ، وبخاصة اذا كانت أدواته كأن^(١)، فانها مقصده الأعظم لاسيما اذا حذف الوجه والأداة ، وان دارت مناقشات حول الافراط في هذه المبالغات من حيث القبول والرفض^(٢).

(٤) المرجع السابق ٨٢/١ .

(٥) المرجع السابق ٧٧/١-٧٩ .

أساليب التشبيه :

من الملاحظ أن الصور التشبيهية تقل في السورة اذا قيست بنظائرها من سور القرآن ، فلم يرد التشبيه الا في ثلاثة عشر موضعاً ، وهذا بيانها .
قال تعالى : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } (١) .

هذا التشبيه قصد به الاقرار بالقرآن الكريم حيث جاء قبل ذكر الأنبياء كأن التوراة امام في ذكر الهالكين ، وامام في ذكر قصص النبيين ، وامام في التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه امامة معنوية تشبه الامامة الحسينية ، ولا يعرف كتاب قبل التوراة يحوى قصص النبيين ولا الهالكين ، فكأن التوراة امام في هذا الشأن ، ومن أقر بامامة كتاب موسى ، لزمه الاقرار بامامة القرآن ، قال ابن كثير : "أى أنزله الله تعالى الى تلك الأمة اماما لهم ، وقدوة يقتدون بها ، ورحمة من الله بهم ، فمن آمن بها حق الايمان قاده ذلك الى الايمان بالقرآن ، ولهذا قال تعالى : { أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } ، ثم قال تعالى متوعدا من كذب بالقرآن ، أو بشيء منه : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ } (٢) .

والتأمل في الآية الكريمة يرى أن وجه الشبه بين كتاب موسى والامام هو الاقتداء والسبق اذ يقتدى بالتوراة كما يقتدى بالامام .
أما الغرض منه : فهو بيان حال كتاب موسى - عليه السلام - في أتباعه والمراد بذلك الالتزام بأمة القرآن .

وقد جاء هذا التشبيه في جملة بنيت على اللف والنشر المرتب { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ... } كمن ليس كذلك ، فيكون أولئك يؤمنون به

(١) سورة هود : آية ١٧

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤٠/٢ .

"راجعاً لمن في قوله : أفمن كان على بينة ، ويكون قوله : ومن يكفر به من الأحزاب ...الخ راجعاً "لمقدر" كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب" (١). ويرى الزمخشري : "أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة" (٢)، وعكس البياضوى فقال : "أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا" (٣) وكلام الزمخشري والبيضاوى يربط الآية بما قبلها ، لكن اعتبار اللف والنشر في الآية أولى ، لأن هذا الاعتبار يدل على أن من آمن بكتاب موسى - عليه السلام - وبكونه اماماً لزمه الايمان بالقرآن ، ومن كفر بالقرآن لزمه الكفر بكتاب موسى . وسوف نعلق على نص الزمخشري والبيضاوى عند تحليلنا للتشبيه .

وفي الآية الكريمة تشبيهان :

أولهما : تشبيه سلبى بين من كان على بينة ، ومن كان على ضلال أى لا يستويان ، وحاصل التشبيه السلبى أن التشبيه واقع خارج القرآن عند من يسوى بين الطرفين ، وهو في القرآن مستفيض ، وسر التشبيه السلبى البلاغى هو نفى الوجه المدعى الاشتراك فيه بين الطرفين والمشبّه فيه هنا ، هو من كان على بينة وهو طرف معنوى والمشبّه به محذوف كما أشرت سابقاً ولكن الأولى أن يقدر كمن هو في ضلال ، لا كما ذهب الزمخشري والبيضاوى من أنه كان يريد الحياة الدنيا وانما قلنا أولى لأن المحذوف ينبغى أن يكون من مضادات المذكور وهو : أفمن كان على بينة ويناسبه أن يكون المحذوف : كمن كان في ضلال .

أما ما ذهب اليه الامامان الزمخشري والبيضاوى فكان سيكون وجيهاً لو كان المذكور : أفمن أراد الآخرة .

وهذا التشبيه طرفاه معنويان وهو تشبيه مرسل لذكر الأداة ، ومجمل لحذف الوجه ، والطرفان مفردان معنويان .

(١) الفتوحات الالهية ٣٨٨/٢ .

(٢) الكشف للزمخشري ٢٦٢/٢ .

(٣) البياضوى ٤٦٤/١ .

والغرض منه نفى التسوية بين الطرفين بدليل تصدر الاستفهام الانكارى أفمن .

وثانيهما : تشبيه كتاب موسى وهو مفرد معنوى لأن المراد منه مافيه من هدى وتوجيه والمشبه به "اماما" وهو مؤكد لحذف الأداة ومجمل لحذف الوجه : تشبيه بليغ والمشبه به مفرد حسى ، والغرض منه هو بيان الحال كما ذكرت سابقا .

وقوله : "ومن قبله" يلائم المشبه به فان من صفات الامام أن يكون سابقا وقوله : "اماما" يقارب قوله "على بينة" ، لأن من له امام كان على بينة ولما كانت الامامة رمز الجماعة ، وفي الجماعة رحمة ، وفي الفرقة عذاب عطف قوله : "ورحمة" على قوله اماما ، ولو قال أفمن كان على بينة من ربه ... ومن قبله كتاب موسى نورا ورحمة ماوافق قوله على بينة لأن البينة نور معنوى ، ولو قال نورالعد تكرارا غير محمود ، ونجد معنى الامامة قبل التشبيه واضحا فهذا النبي والمؤمنون على بينة والامام يكون على بينة ، ثم قال بعد ذلك : "ويتلوه شاهد منه أى ويتبعه شاهد من الله بصدقه ، قال ابن عباس : وهو جبريل عليه السلام" (١).

قال تعالى : {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (٢).

ان المتأمل لسياق الآية يلاحظ أن القرآن شبه حال الفريق الأول ، وهو فريق الكافرين الذين تعاموا عن النظر فى الدلائل ، ولم يستمعوا الى الهدى والرشاد استماع تدبر وتفكر بحال من جمع بين العمى والصمم حقيقة ، فى أن الحق لا يصل الى النفس والعقل بحال لوجود مايمنع ذلك على وجه الاستمرار ، وشبه حال الفريق الثانى ، وهو فريق المؤمنين الذين أفادوا من أبصارهم فى أهم ماخلقت له ، ومن أسماعهم فى التدبر والتعقل

(١) صفوة التفاسير للصابونى ١٠/١٢ .

(٢) سورة هود : آية ٢٤

عن الله بحال من جمع بين البصر والسمع حقيقة ، في وصول الحق والهدى والرشاد الى النفس بسهولة في كل الأحوال لوجود الالات المهيأة لذلك (١). وبذا يكون العطف في المشبه به من عطف صفتين على صفتين في مقابلة صفتين معتبرتين في كل فريق في جانب المشبه ، وتكون الواو بين كل صفتين متضمنة معنى مع في بعض السياقات وتكون الواو بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخرين للعطف فقط ، ويكون من المشبه والمشبه به كيفية حاصلة من اعتبار عدة أمور ممتزجة في كلا الطرفين ، فيكون التشبيه من قبيل المثل الدال على التركيب ، لأن تشبيه الذوات بالذوات ينبو عنه السياق ولأنه أبلغ وأقوى في التشنيع والمدح (٢).

ولابن المنير تعليق طيب على الكشف وحاصل ماوضحه جواز تركيب التشبيه هنا وتفريقه .

أما التركيب فيكون بتشبيه الكفار بالأعمى والأصم ، وتشبيه المؤمنين بالبصير والسميع .

والتفريق يكون بتشبيه الكفار بالأعمى ، والمؤمنين بالبصير ، ثم تشبيه الكفار بالأصم وتشبيه المؤمنين بالسميع (٣).

ومعنى هذا أن في الآية على الوجه الأول تشبيهان ، وعلى الوجه الثاني أربعة تشبيهات ، وفي هذا التشبيه يكون التحليل على النحو الآتي : أولاً : الطرفان مفردان عقليان ، لأنهما تشبيه مثل بمثل .

ثانياً : وهو تشبيه تمثيلي على الوجه الأول وتشبيه تشبيه على الوجه

الثاني .

(١) انظر بيان التشبيه دراسة تاريخية فنية ص ٣٠٠ .

(٢) انظر : الكشف ٢/٢٦٤ ، تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب عليه ٨٨/٥-٨٩ ، فتح القدير للشوكاني ٢/٤٩١ .

(٣) انظر الانصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ٢/٢٦٥ .

ثالثا : وهو تشبيه يحمل لحذف الوجه ، والوجه على التوجيه الأول مركب عقلى من حصول صفتى العمى والصمم وحصول صفتى الابصار والسمع . وعلى التوجيه الثانى الوجه مفرد عقلى وهو حصول صفات : العمى - البصير ، ثم الصمم - السمع .

وأما الغرض من التشبيه - عموما - فهو تقبيح المشبه والتنفير منه فى حال الكفار وتزيين المشبه والترغيب فيه فى حال المؤمنين .

ومن لطائف هذا التشبيه أنه قدم حال الكافرين على حال المؤمنين مراعاة للسياق الذى ختم بهذا التشبيه ، حيث تحدثت الآيات السابقة عن أوصاف الكافرين وأحوالهم ومآلهم ثم ثنت بأوصاف المؤمنين وأحوالهم ومآلهم ، فجاء الترتيب ملائما للسياق ، ولذا لا ينبغي مخالفته بالتقديم فيه أو التأخير كما يكون فى تشبيهات البلغاء العرب ، كما لا يصح أيضا الاكتفاء بمثل الكافرين وحذف مثل المؤمنين والا ابتز جزء من ملاءمة السياق وهذا من أسرار الاعجاز فى هذه الصور البيانية .

ومن الممكن أيضا أن نعتبر التشبيه السابق من التشبيه التمثيلى المفرد عند الامام عبد القاهر ، وهو أننا عندما نشبه الكافر بالأعمى ، فإن وجه الشبه هو التخبط وعدم الاهتداء ، وهذا الوجه متحقق بذاته فى المشبه به "الأعمى" ، وليس كذلك فى المشبه ، لذا فإن جهة اعتبار الوجه مختلفة فى الطرفين ، فعدم الاهتداء ملحوظ فيه الجانب الحسى فى الأعمى ، والجانب المعنوى فى الكافر ، ولكى ينتزع منه كائنزاعه من الأعمى - المشبه به - لا بد من التأويل كأن نقول : ان الكافر حين يتأبى على الحق ويمتنع عن رؤيته صار كمن فقد الرؤية ، والأمر كذلك فى تشبيهه بالأصم فى عدم السماع ، فإن هذا الوجه متحقق بذاته فى المشبه به ومتحقق بتأول فى المشبه فى مقتضى الصفة المقصودة فى جانبه وهى الاعراض ، فانه لما أعرض عن الحق ولم يسمعه صار كمن فقد السمع^(١) ، وبهذا يتبين لنا أن حمله على الرأى الأول أولى وأسلم .

(١) انظر حول منهج عبد القاهر فى كتابيه وبلاغته فى التقديم والتأخير د. محمد ابراهيم

قال تعالى : {وهى تجرى بهم فى موج كالجبال} (١) هذه الآية جاءت فى أمر نجاة سيدنا نوح - عليه السلام - ومن آمن معه بركوب السفينة "وهى تجرى بهم فى موج كالجبال" يريد موج الطوفان الذى عم الأرض ، يشبه كل موجة منه بالجبل فى التراكم والارتفاع ، فليس المعنى تشبيه الموجة الواحدة بالجبال ، وهذا مستفاد من مقابلة الجمع بالجمع ، وهذا التشبيه يبرز آثار قدرة الله فى حماية عباده المؤمنين وسط هذا الخضم الزاخر الموارد ، الذى توحى شواهد بالهلاك المبين ، كما يبرز آثار هذه القدرة فى تسخير هذا الكائن الصغير الذى هدى سيدنا نوح - عليه السلام - الى صنعه واتقانه الى ماعم الأرض من الطوفان الذى ارتفعت وتراكت أمواجه ، ومع ذلك فقد أحس راكبوه الاطمئنان والأمان والثقة بقدرته تعالى على انجائهم ، لأنهم فى معية الله لايتخلى عنهم ، وهذا هو مايفعله الايمان بنفس المؤمن ، فلاينهار أو يتزعزع ولو واجهته كل قوى الأرض ، لأنه فى كلاً الله ورعايته ، يعلم أن مأخطأه لم يكن ليصيبه ، ومأأصابه لم يكن ليخطئه . فالأمور تجرى بمقادير ، وأنه سبحانه اذا ماوعده أنجز لأن قدرته مطلقة ، لايقف أمامها شىء ولو كان كل قوى الطبيعة ، فهى مؤثرة بأمره ، مربوبة بقدرته مقهورة لارادته ، السفينة فى وسط كل ذلك تجرى ولاتسير فقط ، تجرى كما يجرى غيرها من السفن فى البحار المنبسطة الهادئة ، وتلك أبرز آثار المعجزة .

فقد دل هذا التشبيه على عظم شأن الأمر ومن حال الماء وتغطيته الأرض ، ومن ملابسة الرياح له ومن ذكر الاعتبار بجرى السفينة فى هذه الأهوال ، وناب لفظه مع اختصاره عن شرح كثير (٢).

(١) سورة هود : آية ٤٢

(٢) الجمان فى تشبيهات القرآن لابن نايقا البغدادى ، تحقيق مصطفى الصاوى الجوينى

وتحليل التشبيه في هذه الآية كما يلي :
التشبيه مرسل لذكر الأداة ، فالمشبه الموج وهو مفرد حسى والمشبه به
الجبال مفرد حسى كذلك .
أما وجه الشبه فمحذوف وهو مفرد حسى : الضخامة ، والتشبيه معه
مجمل .
وأما الغرض : فيبيان حال المشبه وشدة الهول الذى حل بالناس فى
واقعة الطوفان .

كما ودلالاتها فى التشبيه :

تأتى "كما" فى سياق المبنى على اللاحق المضمن فى دلالة التشبيه ، وقد

جاء منها فى سياق التنظير ثلاثة مواضع هى على النحو الآتى :

{وَكَلَّمَ مَرَّةً عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} (١)

حيث يلحق سخرية قوم نوح - عليه السلام - بسخريته عليه السلام ، وان بين السخريتين فرقا اذ أن سخريتهم منه حمل فعله على العبث بناء على ما اعتقدوه أن ماصنعه لا يأتى بتصديق ماصرح به .

وسخرية نوح ومن آمن معه من الكافرين من سفه عقولهم وجهلهم بالله وصفاته لأنهم لا يدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظرهم من مصير (٢) ، فالتشبيه مبنى على المشاكلة كما ترى .

ثانيها : {فَلَاتَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ} (٣) .

حيث يلحق عبادة هؤلاء بعبادة آبائهم فى الشرك لذلك فسيحل بهم ما حل بهم لأن حكمة الله تقتضى المساواة فى الجزاء على الأعمال المتماثلة ، وكاف التشبيه نائبة عن مصدر محذوف ، والتقدير الا عبادة كما يعبد آباؤهم ، ولكنه عدل عن المصدر وعبر بالمضارع للدلالة على استمرارهم على تلك العبادة . وقوله من قبل حيث حذف المضاف أى قبلهم تنصيحا على أنهم اتبعوا سلفهم فى هذا الضلال وأنهم اقتدوا بهم (٤) .
وأما تحليل التشبيه :

(١) سورة هود : آية ٣٨

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ، سيد قطب ١٢/١٨٧٧ ، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٢/٦٨ .

(٣) سورة هود : آية ١٧

(٤) انظر حاشية الشهاب ٥/١٤١ .

فعلى الوجه الأول فالطرفان مفردان : عبادة تناظر عبادة ، وهما حسيان لأنهم كانوا يسجدون فى عبادتهم ويقدمون القرابين . ووجه الشبه مفرد معنوى هو المساواة فى البطلان .

وعلى الوجه الثانى : الطرفان مفردان حسيان : أصنام بأصنام ، والوجه مفرد عقلى هو فساد الاعتقاد .

والتشبيه فى كلا الوجهين مرسل لذكر الأداة ، ومجمل لحذف الوجه ، وهو تشبيه تشبيه لاتشبيه تمثيل عند الخطيب والجمهور .

وأما الغرض فهو بيان حال المشبه من الضلال وسوء الاعتقاد كما ضل آباؤهم من قبل .

ثالثها : { فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير } (١).

اختلف العلماء حول كما أهى للتشبيه أم لا ؟ فذهب بعضهم الى أن الكاف فى كما بمعنى على كما فى قولهم كن كما أنت عليه ، أى على ماأنت عليه ، ومنه قال ابن عطية وجماعة : المعنى استقم على القرآن ، وقال بعضهم بأن الكاف للتشبيه كما هو الظاهر الا أنها فى حكم مثل فى قولهم مثلك لا يخل فكأنه قيل استقم الاستقامة التى أمرت بها فرارا من تشبيه الشئ بنفسه وهو رأى ضعيف .

وقال أبو حيان : فان قلت كيف جاء هذا التشبيه للاستقامة بالأمر ؟ قلت : هو على حذف مضاف تقديره مثل مطلوب الأمر أى مدلوله ، فان قلت : الاستقامة المأمور بها هى مطلوب الأمر فكيف يكون مثلاً لها ؟ قلت : مطلوب الأمر كلى والمأمور به جزئى فحصلت المغايرة وصح التشبيه كقولك : صل ركعتين كما أمرت (٢).

والحاصل أن الأمر الذى وجه للنبي صلى الله عليه وسلم تنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم لأنه المتلقى للأوامر الشرعية وفيه تنويه أيضا

(١) سورة هود : آية ١١٢

(٢) روح المعانى ١٢/١٥٣ .

بمقام رسالته ، وهى مماثلة لسائر ماأمر به صلى الله عليه وسلم ، فهى تشبيه الاستقامة المأمور بها بما أمر به صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه مجمل ، وهذا يعنى أن الكاف فى معنى "على" كما يقال : كن كما أنت : أى لا تتغير ولتشبه أحوالك المستقبلية أحوالك هذه (١).

وتحليل التشبيه :

فالمشبه : الاستقامة المأمور بها مفرد معنوى ، والمشبه به الاستقامة التى حددت له مناهجها فى التنزيل الحكيم ، كالحكم بما أنزل الله ، والتوكل عليه ، والتبليغ ... الخ وهو مفرد معنوى كذلك .
وأما وجه الشبه : فهو الالتزام بالوحي مفرد معنوى ، مرسل مجمل لذكر الأداة وحذف الوجه ، وهو تشبيه تشبيه لا تشبيه تمثيل .
والغرض : وجوب امتثال الأوامر والنواهي فى كل حال .

(١) التحرير والتنوير ١٧٦/١٢ .

التشبيه بـ "كأن" :

قال تعالى : {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ} (١)

وقال تعالى : {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِثْتُ ثَمُودَ} (٢).

يصور القرآن الكريم حال العصاة حين تأخذهم الصيحة فانهم يصبحون جاثمين لا حراك لهم ، ويصيرون بعد هلاكهم كأنهم لم يسبق لهم وجود في الحياة ، استؤصلوا من جذورهم حيث شبه وجودهم بالعدم لانعدام آثارهم ، يقال غنى بالمكان أى أقام به يعنى كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين (٣).

(١) سورة هود : آية ٦٧-٦٨

(٢) سورة هود : آية ٩٤-٩٥

(٣) خصائص التعبير فى القرآن وسماته البلاغية ، د. عبدالعظيم المطعنى ص ٦١٧-٦١٨ .

التشبيه باسم الإشارة "كذلك" :
 قال تعالى : {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (١).

في هذا الأسلوب يأتي التشبيه باسم الإشارة 'ذلك' في القرآن اذا تقدم المشبه به في جملة أو جمل من قبل ، وعلى هذا فان المشبه به مع هذه الأداة : ذلك ، يكون مذكورا مرتين :

الأولى قبل أداة التشبيه "الكاف" في "كذلك" ، والثانية بعدها في صورة اسم الإشارة ، ثم يأتي المشبه بعده اما مفرد ، وهو اسم مثل : كذلك أخذ ربك ، أو جملة فعلية ، مثل : كذلك تخرجون .

وفي هذا المنهج من قوة البيان واحكام الربط بين معاهد الكلام مافيه ، ولانكون متجاوزين للحقيقة اذا قلنا ان في هذا فنا بلاغيا لم يعنون له البلاغيون ، وان عنونوا لنظيره ، وهو هنا : الاجمال بعد التفصيل . خذ اليك مثلاً قوله تعالى في قصة أصحاب الجنة : {كَذَلِكَ الْعَذَابُ} وانظر كم قبله من الآيات فصلت العذاب الذي حل بهم ، والبلاغيون عنونوا للتفصيل بعد الاجمال ولم يعنونوا للاجمال بعد التفصيل .

والتشبيه الذي معنا في سورة هود {كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} جاء مجملا لما فصل قبله في أربع آيات ، فله در هذا البيان المعجز .
 وأما تحليل التشبيه :

فالمشبه : أخذ ربك ، مفرد معنوى ، والمشبه به : ذلك ، مفرد معنوى والأداة : الكاف ، والوجه : المساواة في الانتقام ، وهو مرسل مجمل لذكر الأداة وحذف الوجه ، وان دل عليه في الفاصلة بأليم شديد ، وهو تشبيه تشبيه لامتثيل . والغرض : التهديد والوعيد .

التشبيه بالأداة مثل :

قال تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا
مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (١).

جاءت هذه الآية في قصة نوح عليه السلام خطابا لمشركي قريش ، اذ
هى تشبه "أن تكون قصتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ودعواهم أن
حمدا يفترى هذا القصص فيرد هذا القول قبل أن يكمل قصة نوح عليه
السلام" (٢).

وفي هذه الآية شبه السور المطلوب منهم الاتيان بها بعشر سور من
القرآن الكريم وهو تشبيه مفرد بمفرد وهما معنويان .
أما وجه الشبه : فهو البيان الذى تفوق بلاغته بلاغة كل كلام وهو
مفرد معنوى .

وأما الغرض فهو الافحام و اظهار عجزهم .
وقال تعالى : { أَوْ يَأْقَوْمَ لَاجِرْمَنَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ } (٣).

في هذه الآية يخاطب شعيب - عليه السلام - قومه الذين بلغ بهم
العناد ما بلغ في مواجهة شعيب عليه السلام في التكذيب والمخالفة ، وهو
يحذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة فهؤلاء قوم لوط على قرب
منكم في المكان والزمان ، ولكنهم ازدادوا تكبرا وتعنتا .

وأما تحليل التشبيه :

فالمشبه في هذه الآية هو العذاب المهدد به ، والمشبه به هو العذاب
الذى نزل بمن تقدم على المخاطبين ، وهو تشبيه مفرد معنوى بمفرد معنوى
على مذهب الجمهور .

أما وجه الشبه : فهو شدة الايلام وهو مفرد حسى .

وأما الغرض من التشبيه : فهو التخويف والانذار .

(١) سورة هود : آية ١٣

(٢) في ظلال القرآن ١٨٧٦/١٢ ٣

(٣) سورة هود : آية ٨٩

المبحث الثاني

صور الاستعارة

من المعلوم أن الأساس الذى تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه فهى تبنى على تناسيه وادعاء الاتحاد بين الطرفين ، ويرقى أسلوب الاستعارة بقدر ما يتناسى التشبيه .

فاذا كان للتشبيه أثر بليغ فى تصوير المعانى وتقريبها من الأذهان واقناع النفوس بها .. فان الاستعارة أعمق أثرا وأشد لصوقا بالنفس وأكثر اثارة للخيال لما توحىه من قوة التماثل مما يقتضى موهبة أدبية وفكرا عميقا وقدرة على التأمل والتأويل والتوليد . لترينا فى الاستعارة مالم نكن نراه وتسمعنا مالم نكن نسمعه فتبث روح الحياة فى الجوامد والأفكار بقدر ماتضفى على اللغة وأساليبيها ثوب الافتنان^(١).

وقد تحدث الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - عن خصائصها فى أثناء حديثه عن الاستعارة فقال :

"ومن خصائصها التى تذكر بها ، وهى عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر . وإذا تأملت أقسام الصنعة التى بها يكون الكلام فى حد البلاغة ، ومعها يستحق وصف البراعة وجدتها تفتقر الى أن تعيرها حلاها ، وتقصر عن أن تنازعها مداها ، وصادفتها نجوما هى بدرها ، وروضا هى زهرها ، وعرائس مالم تعرها حليها فهى عواطل وكواعب مالم تحسنها فليس لها فى الحسن حظ كامل . وانك لترى بها الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ،

والمعانى الخفية بادية جلية ، واذا نظرت فى أمر المقاييس وجدتها ولاناصر لها
أعز منها ، ولارونق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة
مالم تكنها . ان شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل ، كأنها
قد جسمت حتى رأتها العيون وان شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى
تعود روحانية لاتنالها الا الظنون" (١).

(١) أسرار البلاغة ، تحقيق محمود شاكر ص ٤٣ .

الاستعارة التصريحية الأصلية .

كما هو معروف عند البلاغيين أن اللفظ المستعار اذا كان اسما جامدا بنوعيه أطلقوا على التعبير مفهوم الاستعارة الأصلية .
وقد مثل هذا في قوله تعالى : {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} (١).

فالسبيل هنا مستعار "للدين وحقائقه" بجامع الوضوح في كل فالدين يصف منهجها بينا والسبيل هو الطريق الذى لا اعوجاج فيه بين واضح المعالم فأطلق السبيل للدين الحنيف على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .
ومنها قوله تعالى : {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} (٢).
ففى الآية استعارة تصريحية أصلية حيث شبه بداية النهار وآخره بالطرفين بجامع الابتداء والانتهاى فى كل منهما .

(١) سورة هود : آية ١٩

(٢) سورة هود : آية ١١٤

الاستعارة التبعية فى السورة :

قرر البلاغيون أن لفظ المستعار اذا كان فعلا أو مشتقا أو حرفا كان تحت مصطلح الاستعارة التبعية ، لأن اجراء الاستعارة فيها تابع لاجرائه فى أمور كلية تابعة لها ، كما هو الحال فى التبعية فى الأفعال حيث ان فقه دلالتها تابع لفقه دلالة الاستعارة فى مصادرها ، اذ هى المقصودة اثباتا ونفيا .. والتصرف المجازى فى الأفعال يكون فى الحدث والزمان (١).

استعارة الحدث :

جاءت الاستعارة التبعية فى الفعل فى المواطن الآتية :
 فأول ما يلقانا منها قوله تعالى فى شأن الكتاب : {كتاب أحكمت آياته
 ثم فصلت من لدن حكيم خبير} (٢).
 فالاستعارة هنا فى الفعلين "أحكمت ، فصلت" حيث شبه آيات الكتاب
 بالبناء المحكم المتقن فلا تناقض فيه ، ثم استعار المصدر وهو الاحكام
 والتفصيل للقرآن الكريم ، ثم اشتق منهما الفعل "أحكم ، وفصل" على
 طريق الاستعارة التصريحية التبعية .
 وقد ذكر المفسرون وجوها أربعة فى معنى الاحكام والتفصيل ، أرجحها
 للاحكام قولهم "أن يكون مستعارا من احكام البناء واتقانه فلا يكون فيه
 تناقض أو تخالف للواقع والحكمة أو ما يخل بالفصاحة والبلاغة .
 وأما التفصيل بمعنى أنها فرقت بين الحق والباطل فهى استعارة من
 العقد المفصل بفرائده أى كباره التى تكون بين الآلىء فشبهت الآيات بعقد
 فيه لآلىء وغيرها لتغاير النفائس فيها لما اشتملت عليها أى قصص وأحكام
 ومواعظ" (٣).

(١) انظر حاشية البنانى على مختصر السعد ١٧٦/٢-١٧٧ .

(٢) سورة هود : آية ٢

(٣) انظر حاشية الشهاب ١٧/٥ .

كذلك جاء التصوير بالاستعارة في قوله : {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (١). ففى قوله "تولوا" استعارة تبعية لأن التولى هو الرجوع الى الخلف وليس هذا هو المقصود وانما المقصود هو الاعراض عن الهدى .

كما جاء التصوير بالاستعارة في قوله تعالى : {وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَةٍ لِّيَقُولَنَّ...} (٢) ففى الآية استعارتان .

ففى الأولى حيث شبه الاحساس بالنعمة بالذوق بما يذاق من الطعام بجامع قوة التأثير فى كل . ثم اشتق من الذوق الفعل أذقناه على سبيل الاستعارة التبعية .

وفى الثانية شبه المس بالاصابة بجامع شدة الايلام فى كل من المس من الفعل مسته بمعنى أصابته على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .
ومنها قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ} (٣) الخبت هو المطمئن من الأرض . يقول ابن منظور : "وأخبت الى ربه أى اطمأن اليه . روى عن مجاهد قوله تعالى : "وبشر المخبتين" قال : المطمئنين ، وقيل : هم المتواضعون ، وكذلك قال تعالى : "وأخبتوا الى ربهم" أى تواضعوا ، وقال الفراء : أى تخشعوا لربهم" (٤).

وعلى ضوء ماسبق يمكن أن يقال فى اجراء الاستعارة شبه الانقياد الكامل وهو خشوعهم واستقرار قلوبهم بالطمئن من الأرض بجامع السهولة واليسر ثم اشتق من الاخبات بمعنى الاستقرار الفعل أخبت بمعنى استقر على سبيل الاستعارة التبعية .

كما جاء التصوير بالاستعارة فى قوله تعالى : {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} (٥).

(١) سورة هود : آية ٣

(٢) سورة هود : آية ١٠

(٣) سورة هود : آية ٢٣

(٤) لسان العرب ، مادة (خبت) .

(٥) سورة هود : آية ٥٧

حيث شبه التولى وهو الاعراض عن الذكر والهدى بالرجوع الحسى الى الخلف ، بجامع النكوص فى كل منهما .

الاستعارة فى زمن الفعل :

قرر البلاغيون أن الزمن أحد مدلولى الفعل ، وأن الزمن الذى يدل عليه الفعل قد يكون ماضيا ، وقد يكون مضارعا ، وان الاستعارة اذا وقعت فى الفعل باعتبار حدثه فانها تقع فيه باعتبار زمانه فيعبر بالماضى عن المستقبل افادة لتحقيق الوقوع ، أو التعبير بالمضارع عن الماضى استحضارا لهيئة حال ماضيه (١).

وقد جاء على ماسبق الأساليب الآتية :

ماورد فى شأن فرعون فى قوله تعالى : {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ} (٢)

حيث عبر بالماضى عن المستقبل الذى سيحدث فيه الورد للمبالغة فى تحقق وقوع الساعة وأنها آتية لاريب فيها .

ومنها قوله تعالى : {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} (٣).

حيث شبه الصنع فى الماضى بالصناعة فى المستقبل وكأنه يصنع الآن ، وكذلك فان التعبير بالمضارع للدلالة على استحضار الصورة الكائنة وقتئذ .

(١) انظر علم البيان ، د. عبد الحافظ البقرى ص ١٥٣ .

(٢) سورة هود : آية ٩٨

(٣) سورة هود : آية ٣٨

التبعية فى المشتقات :

تجرى الاستعارة فى المشتقات تبعا لجريانها فى المصادر ، لأن الصفات متجددة غير ثابتة بسبب عروض الزمان لها .. وانما يصلح للموصوفية - التى هى مقتضى التشبيه - الحقائق : أى الأمور المتقررة الثابتة دون معانى الصفات المشتقة من الأفعال - كما أثبتته السعد^(١) - رحمه الله .

وجاءت الاستعارة فى المشتقات فيما يلى :

ففى قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} (٢).

فاستعارة التبعية هنا فى المشتق "غليظ" حيث استعار الغلظ لشدة العذاب بجامع قوة التأثير فى كل منهما على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومنه قوله تعالى : {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (٣). حيث شبه ثقل اليوم وامتداده بالجرم الكبير بجامع شدة الوطأة فى كل منهما تصويرا للمعنويات فى صورة الحسيات اعتناء بالمقام وزيادة تقرير وتوضيح للمعنى المراد .

(١) المطول ص ٣٧٢ .

(٢) سورة هود : آية ٥٨

(٣) سورة هود : آية ٣

الاستعارة التهكمية :

جاء التصوير بالاستعارة التهكمية على لسان قوم شعيب عليه السلام في قوله تعالى : {أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد} (١).

ففى قولهم "انك لأنت الحليم الرشيد" استعارة تهكمية ، والعلاقة التضاد ، كقولنا لبخيل : حاتم فى المجلس ، وللغى : سحبان يتحدث . ومنه قوله تعالى : {واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرfid المرفود} (٢)، حيث أطلق الرfid على اللعنة استعارة تهكمية لأن حقيقة المعطى شيئاً ، ووصف الرfid بالمرفود لأن كلتا اللعتين مقصودة بالأخرى . فشبهت كل واحدة بمن أعطى عطاء فهى مرفوده .

(١) سورة هود : آية ٨٧

(٢) سورة هود : آية ٩٩

الاستعارة التمثيلية :

وهى فيما قرره البلاغيون "اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة فى التشبيه . أى تشبيه احدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغة فى التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه" (١). وقد خصت الاستعارة المركبة بلفظي التمثيل أو التمثيلية مع أن فى كل استعارة تمثيلاً أى تشبيهاً مبالغة فى التنويه بشأنها حتى كأن ماعداها ليس فيه تمثيل (٢).

ومما ورد منها قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام : {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} (٣) حيث مثلت سيطرة الله على العباد وتمكنه وتصريفه لهم وخضوعهم جميعاً لارادته بصورة من يأخذ بالنواصي فى هيئة متمكنة لايفلت منها شىء . والناصية فى الأصل "ما يبرز من الشعر فى مقدم الرأس حذو الجبهة" (٤) فان المقام اقتضى بروز المعنى على هذا النحو حتى تتمثله الأذهان فتحدث الهيبة فى النفوس ، لأن قوم هود - عليه السلام - أظهروا من الافتراء والاعتداد بقوتهم وقوة آلهتهم ماجعل هوداً عليه السلام يعلن براءته منهم ، وكان من قبل يستميلهم ، فقال يتحداهم "انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون" وكان يستند فى استهائته بهم الى الله ويتوكل على الله "انى توكلت على الله ربي وربكم" فلما كان تحديه لهم وهو فرد وهم جماعة مظنة السؤال عن هذا الرب الذى يستند اليه ويحتمى به كان هذا التمثيل المبين لقدرة الله وسيطرته وتصريفه {مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها} (٥).

(١) بغية الايضاح ١٣٠/٣-١٣١ . والقيد الأخير خاص بالمثل .

(٢) الرسالة البيانية للشيخ محمد الصبان ص ٤٦٦ .

(٣) سورة هود : آية ٥٦

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٣٣/٢ .

(٥) انظر حاشية زاده ٥٠/٣ .

وحين رد نوح عليه السلام على قومه بقوله : {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ} (١). جاء التصوير بالاستعارة التمثيلية لأنه أراد بخزائن الله ملكوت السموات والأرض ورزق الله وماله عندي فقد مثلت ملكوت الله للسموات والأرض وحفظه لهما .

ومما ورد منه قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} (٢).

جاء التصوير بالاستعارة في قوله "ضاق بهم ذرعا" فالذرع هو مد الذراع قال الطاهر "فاذا أسند الى الانسان فهو تقدير المسافة ، واذا أسند الى البعير فهو مد ذراعيه في السير على قدر سعة خطوته" (٣).

وعلى كل فهي استعارة تمثيلية لحال من لم يجد حيلة في أمر يريد عمله بحال الذي لم يستطع مد ذراعيه كما يشاء .

(١) سورة هود : آية ٣١

(٢) سورة هود : آية ٧٧

(٣) التحرير والتنوير ١٢٥/١٢ .

الاستعارة المكنية :

ومما هو مقرر عند البلاغيين أن الاستعارة بالكناية هي لفظ المشبه به المحذوف ، الذى استعير فى النفس للمشبه والمدلول عليه ، باثبات شىء من لوازمه للمشبه . وقد تمثلت بعض شواهدا فى الآيات الآتية :

فقد صور البيان القرآنى حالة الانسان وقد أصبح فى صحة وأمن بعد أن كان عليلا فى قوله : {وَلَيْسَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهْ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} (١) .

ففى قوله "ذهب السيئات عنى" استعارة مكنية مبنية على تشبيه السيئات بكائن له عقل يذهب ويحىء وحذف المشبه به وأثبت لازم من لوازمه وهو "ذهب" وفى ذلك تصوير "للسيئات" بصورة محسوسة .

وجاء التصوير بالاستعارة المكنية فى وصف الظالمين الذين افتروا على الله الكذب فى قوله تعالى : {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} (٢) حيث أطلق العوج وهو من صفات الأجساد على الأمور المعقولة ، وقد بنيت الاستعارة فيه على تشبيه الهدى المعنوى بالطريق المحسوس ، وحذف المشبه به ورمز له بعوج لأنها من خواص المشبه به .

وألح قوة التصوير بالاستعارة المكنية فى تعبير القرآن عن وضع ابن نوح عليه السلام فى قوله تعالى : {قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (٣)

ففى قوله "وحال بينهما الموج" استعارة مكنية لأنه شبه الموج بفاعل له ارادة ثم حذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الحيلولة على سبيل الاستعارة المكنية .

(١) سورة هود : آية ٨٠

(٢) سورة هود : آية ٨٩

(٣) سورة هود : آية ٩٢

وفي قوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ...} نجد الاستعارة في تشبيه الأرض بمن ينادى ثم حذف المشبه به ودل عليه بياء النداء . ويجوز حمل هذا الموضع على الأمر التكويني ، فيكون حقيقة لاجاز فيه .

وفي قوله "ابلعي ماءك" استعارة مكنية حيث شبه الماء بالغذاء وأثبت لازم المشبه به وهو البلع للمشبه .

وفي قوله تعالى : {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ} استعارة مكنية حيث شبه الصيحة بعدو اجتاح ديارهم وحذف المشبه به وأثبت لازما من لوازمه وهو الأخذ على سبيل الاستعارة المكنية ، وسرها البلاغى هو المبالغة في تصوير أثر الصيحة .

وفي قوله تعالى : {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى} (١) جاء التصوير بالاستعارة المكنية في قوله "جاءته البشرى" وذهب الروع حيث شبه كل من الروع والبشرى بعقل يذهب ويحيى ، ثم حذف المشبه به وأثبت لازما من لوازمه للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية وفي ذلك تصوير للفرج الذى جاء بعد الكربة بصورة محسوسة .

ومنه قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (٢) فعُميت بمعنى أخفيت ، يقول الزمخشري : "فان قلت فما حقيقته؟ قلت : حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء ، لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهذى غيره . فالمعنى : فعُميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد" (٣) .

والزمخشري يقصد بقوله الاستعارة المكنية على تشبيه الحجة التى لا تهذى بالرجل الأعمى في عدم الهداية . وكلام صاحب الكشاف - هنا - فيه نظر .

(١) سورة هود : آية

(٢) سورة هود : آية

(٣) الكشاف ٢/٢٦٦ .

والأولى ملاحظة أن في اسناد العمى الى الحجة مجازاً عقلياً ويؤيده قراءة تخفيف عين الفعل وبنائه للفاعل ، وهى قراءة أكثر القراء السبعة كما يقول الألوسى^(١) فيكون الفاعل الحقيقى الذى قصد وصفه بالعمى هم القوم الذين انصرفوا عن الحجة أو البيئة فلم يهتدوا بها ولم يواجههم نبى الله بذلك خشية اصطدامه بهم فى موقف يستميلهم ويدعوهم فيه بالحجة المقنعة والكلمة الطيبة ، ولهذا أوتر اسناد العمى الى البيئة تجوزاً ، واذا صح أن الموصوف بالعمى حقيقة هم القوم لم يكن هناك داع لتشبيه البيئة أو الحجة برجل أعمى أو دليل القوم الذى عمى ، بل الأولى تشبيه الاختفاء أو الاشتباه بالعمى فى التخبط وعدم الاهتداء أى توجيه التجوز الاسنادى . وقد ذكر الشهاب^(٢) ذلك وجوز أيضاً أن تكون استعارة تمثيلية بأن شبه الذى لا يهتدى بالحجة لحفائها عليه بمن سلك مفازة لا يعرف طرقها واتبع دليلاً أعمى ، والرأى الأول أولى .

والحاصل أن التصرف فى الاستعارة باسناد الفعل "عمى" الى غير ما هو له قد حدد معالم المجاز وأضفى قيمة عليه لأنها تعرض بأن القوم "غير مهيين لادراكها وغير صالحى البصائر لرؤيتها ، وهكذا يتلطف نوح عليه السلام فى توجيه أنظارهم ولمس وجدانهم ... لادراك القيم الخفية عليهم"^(٣).

(١) روح المعانى ٣٩/١٢ .

(٢) حاشية الشهاب ٩١/٥ .

(٣) فى ظلال القرآن ١٨٧٣/٤ ، دار الشروق .

المبحث الثالث

المجاز المرسل

وقد عرفه البلاغيون بقولهم : " هو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له
لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقي " (١).
وتتجلى قيمة المجاز المرسل في الافتنان التعبيري ، والمبالغة في المعنى ،
والايجاز في العبارة ، فالمعنى المجازي يقرر في النفوس لما يقيمه من البيئة
والبرهان ، اضافة الى أن في هذا التجوز استشارة لمكان الشوق وجذبا
للانتباه ، وادراكا لما في النص الأدبي من وجوه الحسن والجمال (٢).
ومما جاء منه في السورة العلاقات الآتية :

(١) نظرات في البيان ص ٢٢٤ .

(٢) انظر علم البيان ، د. بدوى طبانة ص ١٦٤ .

(١) المكانية :

تحققت هذه العلاقة في قوله تعالى : {يَعْلَمُ مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم ، فكيف يخفى عليه ما يظهرون من أفواههم ، وفيه من التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه بالظاهر والباطن . ففيه مجاز مرسل علاقته المكانية حيث أطلق الصدور وأراد به ما يضم في القلوب ، والعلن ما يصدر عن الفم من أقوال ظاهرة .

ومن مجيئه للمكانية قوله تعالى : {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} ، أى أهل القرى ، ففي الآية مجاز مرسل علاقته المكانية حيث أطلق لفظ القرى وأراد أهلها ، وفي هذا التعبير تأكيد وإبراز لعدل المولى سبحانه وتعالى لعباده ، فلا يعاقب أحد الا بظلمه ، وفيه تنبيه .

(٢) الزمانية :

وتتمثل في قوله تعالى : {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} . المجاز في لفظ "القرون" حيث أطلقت وأريد بها من كان يعيش فيها .

وجاء التعبير بالقرون مبالغة في انذارهم بالعذاب الذى حل بمن قبلهم فى الأزمنة الماضية ، ومافيه من معنى التفجع والتأسف لحالهم ولاعتبار هؤلاء القوم من مصيرهم .

(٣) المصدرية :

وقد تحققت هذه العلاقة فى قوله تعالى : {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} . أى ماغاب عن علمكم فى السموات والأرض .

ففى الآية مجاز مرسل حيث أطلق المصدر وأراد الأمور المغيبة ، وقد دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنات كليها وجزئها ، حاضرها وغائبا ، لأنه اذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط فعلمه تعالى لايتفاوت .

(٤) الاطلاق والتقييد :

وقد تجلت أمثلته في الآيات التالية :

فأول ما يلقاتك منها قوله تعالى : { فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } حيث أطلق الاستفهام من قيده وهو الاستعمال في الحقيقة ثم قيده في الأمر ، فهو مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد ، وسره البلاغى أن في الأسلوب تطرية وتليينا في الخطاب .

ومنه قوله تعالى : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ } فقد أطلق الاستفهام من قيده ، ثم قيده بارادة انكار المساواة .
ومن ذلك قوله : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } حيث أطلق الاستفهام وأريد به الانكار .

ومما جاء منه قوله تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } .

ففى الآية مجاز أن علاقتهما الاطلاق والتقييد ، وقد أريد فى أولهما نفى المساواة بين فريقى المؤمنين والكافرين .

أما الآخر فقد أريد الحث والتهيج والالهاب ولفت الأنظار الى حال الفريقين عليهم ينتهوا عما هم فيه .

وأما قوله تعالى : { أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَأَتَانِى مِنْهُ رَحْمَةٌ } فقد أطلق الاستفهام فى معناه الحقيقى وأريد استحضر الصورة فى الذهن لتجرى عليه الأحكام وهى حاضرة ، ففیه مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد .

وشبيه به قوله تعالى : { قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَأَتَانِى مِنْهُ رَحْمَةٌ } .

ومنه قوله تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْا فِي ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ } . ففى الآية مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد حيث أطلق الاستفهام

واستعمل في التهيج والالهاب . وسره البلاغى هو الاشارة الى رمى القوم
بالسفه حتى ليعز أو يندر وجود الرشد فى رجل منهم .
ومنه قوله تعالى : {أَنلَزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} .
حيث أطلق الاستفهام ثم قيد باستعماله فى الإنكار .

المبحث الرابع

الكناية

الكناية عند البلاغيين هي : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه (١).

وتتمثل بلاغة الكناية في المبالغة في الوصف فهي أبلغ من التصريح "لأنها ذكر الشيء بواسطة لازمه ، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم ، وذكر الشيء مع دليله أوقع في النفس وأقوى لأنها دعوى يؤيدها الدليل . وهذا الفن من صور البيان التي تبرز المعقولات في الصور المحسوسة ، وبذلك تكشف عن أداء معانيها خير أداء لتتمكن في نفس السامع فيزداد ايضاحا وبيانا (٢).

هذا ومما جاء من صور الكناية في السورة مايلي :

الكناية عن موصوف :

ومن الكناية عن موصوف قوله تعالى في الرد على نوح عليه السلام : {قَالَ يَأْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (٣) أى انى أنبهك وأنصحك لئلا تكون من الجاهلين ، فقد كنى بالجهل عن الذنب لتجنب مواجهة نوح عليه السلام بذنبه وقد فهم المقصود من جواب نوح عليه السلام {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وفى ذلك يقول الرازى : "جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور فى القرآن . قال تعالى : {يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} ، وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

(١) انظر الايضاح ص ١٨٣ .

(٢) انظر نظرات فى البيان ص ٢٦٦ .

(٣) سورة هود : آية ٤٦

{أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين} (١) وانما كنى عن الذنب بالجهل خاصة للتنبيه على الباعث على الذنب توصلا الى التنفير منه وتجنبه على مافيه من الاشارة الى ماأدى اليه غلبة عاطفة الأبوة على عاطفة الدين (٢).

ومنها قوله تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣) أى استعينوا بكل من تتوسمون فيه القدرة من المخلوقات فقد كنى بقوله "من استطعتم" عن جميع المخلوقات ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثل هذا القرآن ، وليتأكد المعنى في أذهانهم أنه من عند الله ، ولذلك كان الوصف بقوله "من دون الله" وفائدة هذا الوصف كما يقول الطاهر هي "التذكير بأنهم أنكروا أن يكون من عند الله فلما عمم لهم في الاستعانة بكل من عدا الله تبين أن هذا القرآن من عند الله" (٤). فهي كناية عن موصوف وهو أصنامهم .

ومن ذلك قوله تعالى في رد نوح عليه السلام لقومه : {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} (٥) ففى قوله "أنهم ملأقوا ربهم" كناية عن لقاءهم يوم الحساب ، وفي هذه الكناية علل نوح عليه السلام عدم طرده الفئة المؤمنة بملاقة ربهم ، وقد ذكر الشىء مع دليله ليكون أوقع فى النفس وأقوى لأنها دعوى يؤيدها دليلها .

ومثلها قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام فى مخاطبة قومه {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طِ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} (٦) أى لا يكسبنكم معاداتي أن يصيبكم مثل ماأصاب الأمم السابقة ، كنى بما أصاب قوم نوح عن الطوفان ، وبما أصاب قوم هود كناية عن الريح وعن قوم صالح عليه السلام كناية عن الرجفة والصيحة .

(١) تفسير الفخر الرازى ٥/١٧ .

(٢) انظر : الحوار فى القرآن ص ٢٩٧ .

(٣) سورة هود : آية ١٣

(٤) التحرير والتنوير ٢١،٢٠/١٢ .

(٥) سورة هود : آية ٢٩

(٦) سورة هود : آية ٨٩

فقد جاءت الكنايات في قول شعيب عليه السلام مقرونة فيها الدعوة بالدليل لكى تتمكن في نفس السامع ولizardاد ادراكا وبيانا .
ومما ورد كناية من موصوف قوله تعالى {ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد} أى منها باق ومنها عاف ففى الآية كنايتان عن الوجود والفناء حيث كنى عن القرى الباقية الموجودة بقائم ، وكنى عن القرى الفانية التى لاأثر لها بـ "حصيد" ، وقد جاءت الكنايتان مقرونتين بالدليل الواضح ليرسخ فى نفوس السامعين ، ولizardادوا ايضاحا وبيانا .
وقد جاءت الكناية مقرونة بالدليل فى قوله تعالى : {وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين} قال الزمخشري : "طرفى النهار" غدوة وعشية ، وزلفامن الليل ساعات من الليل وهى ساعاته القرية من آخر النهار .. وصلاة الغدوة الفجر ، وصلاة العشية الظهر والعصر لأن مابعد الزوال عشى ، وصلاة الزلف المغرب والعشاء . ففى الآية كنايات عن الأوقات السالفة الذكر .
وقد تكون الكناية عن موصوف موجزة تنقل المعنى غير مقرون بدليل كما فى قوله :

{حتى اذا جاء أمرنا} ففيها كناية عن الموعد المقدر فى علم الله .
ومنها {يرسل السماء عليكم مدرارا} ففى قوله مدرارا كناية عن الغيث ونلاحظها فى قوله {الله أعلم بما فى أنفسهم} كناية عن السرائر .

الكناية عن صفة :

ومن الكناية عن صفة قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} ففي الآية ثلاث كنايات :

الأولى : جاءت في قوله "خسروا أنفسهم" كناية عن تجردهم من كل فضل وهذه الكناية من أبلغ الكنايات فهي عن خيبة الأمل وسوء المصير لأن الخسارة وجهت للذات نفسها فمن خسر نفسه خسر ماعداها من باب أولى .
والثانية : هي قوله "وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ" أى ماكانوا يزعمون من أن الأصنام تشفع لهم ، فقد كنى بالضلال عن الحيرة والقلق يوم القيامة ، وفى هذا تصوير لهم عن خيبتهم وانقطاع أملهم .

ومن الكناية عن صفة قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَى خَزَائِنُ اللَّهِ} فان هذا كناية عن الغنى ، وهو مقياس الأفضلية عند قوم هود - عليه السلام - وهو المقصود من قولهم {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} وقد سلك طريق الكناية لما ينطوى عليه اللفظ المكنى به من السخرية بهم وتزليلهم منزلة من اتهمه بقول ذلك .

ومنه قوله تعالى : {امْثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ} فقد كنى من الكفار بالأعمى والأصم وعن المؤمنين بالسميع والبصير ، فقد أبرز المعنى فى صورة المحسوس فتمكن فى ذهن السامع وازداد ايضاحا وبيانا .
ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ} أى من غير بديهة وتأمل ، فكنى ببادى الرأى عن السفاهة والجهل فرمى الى متبئيك رشدهم فيعيدوا التأمل فيعرفوا خطأهم (١).

ومنه قوله تعالى : {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِى فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} أى خفيت عليكم ، كناية

عن جهلهم وغبائهم أمام الآيات الواضحة ، وفي عطفها بالفاء "فعميت"
إيماء الى عدم الفترة بين ايتائه البينة والرحمة وبين خفائها عليهم .

وجاءت الكناية في قوله {فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم} أى عذاب خالد في الآخرة فقد كنى عن الخلود بالاقامة ،
وتعنى الدوام مبالغة في وصف عذاب يوم القيامة وشدة مافيه من هول وأنه
لا تتقطع فتراته مبالغة في وصف ذلك العذاب .

وجاءت الكناية في قوله تعالى : {فأصبحوا فى ديارهم جاثمين} كناية
عن الابداء المطلقة والاهلاك .

وجاء التعبير في قوله {وضاق بهم ذرعا} كناية عن شدة الحيرة
والاضطراب من قوم لوط وقد صورت الكناية موقف لوط وأبرزته لما
ينطوى عليه اللفظ المكنى من الجدة والاضطراب .

وجاءت الكناية تصويرا لموقف لوط عليه السلام من قومه في قوله
تعالى {قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد} فقد جاءت في الآية
كنايتان هي "لى بكم قوة" ، "أو آوى الى ركن شديد" تصوير لموقف لوط
عليه السلام وشعوره بالضعف حيناً .

وتلحظ الكناية في قوله {جعلنا عاليها سافلها} كناية عن الانتقام وتنبئها
على قدرة المولى جل وعلا والمبالغة في وصف الانتقام .

وتأتى الكناية تصويرا بليغا عن موقف يوم القيامة وما عليه الأنفس من
شدة ورهبة فتصوره الكناية وتبرزه في صور المحسوس في قوله تعالى {يوم
يأت لا تكلم نفس الا بأذنه} فهى كناية عن شدة الموقف ورهبته .

ومن الكناية عن صفة قوله تعالى {ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه الا حين يستغشون ثيابهم} كنايتان عن الاعراض مبالغة في وصف اعراض
القوم عن الحق وأنهم مستمررون على ماكانوا عليه من التولى والاعراض فمن
أعرض عن شىء ثنى صدره عنه وطوى كشحه عنه .

ومنه قوله تعالى : {أولئك لم يكونوا معجزين} كناية عن ضعف هؤلاء
القوم أمام قدرة الله جل وعلا .

المبحث الخامس

التعريض

يعد التعريض من أدق مباحث البيان ، وفنا من فنونه العvisية ، لاينقاد ولايتسهل لكل من رامه أو حام حول حماه ، وفقه دلالتة لاينالها الا من أتاه الله بصيرة ينفذ بها الى حيث يرى من دلالات العبارة القرآنية ماوراء الحدود التي تنتهى اليها بلاغات البشر^(١).

وقد دقت مباحث هذا الفن وندر الحديث عن مسائله ، لعدم وجود ضابط يرجع اليه فى استنباط سوى اشارات السياق ومايلحظ من جوانب التراكيب وظلالها ، فما فهم بواسطة السياق والقرائن فهو التعريض .. أو مايمكن أن نسميه بمستتبعات التراكيب ، وهو مانفهمه من معان حينماندقق النظر فى الكلام فنجده عبارة عن فهم ماوراء المدلولات للتراكيب فى التعبير^(٢).

ومن ذلك يصعب حصر شواهد التعريض فى السورة لأنه متوقف على ملاحظة واستشعار ظلال التراكيب ، والملاحظة والاستشعار تتفاوتان من شخص لآخر بقدر حسن التأمل ودقة الملاحظة^(٣).

ومن الآيات التى نلمح فيها المعنى التعريضى فى السورة قوله تعالى فى قوم سيدنا نوح عليه السلام : {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} ^(٤).

(١) انظر التعريض فى القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ص ١٥٨ ، البلاغة القرآنية فى

تفسير الزحشرى ص ٤٧٠ .

(٢) نظرات فى البيان ، د. عبد الرحمن الكردى ص ٢٧٠ .

(٣) الحوار فى القرآن ص ٣٠١ .

(٤) سورة هود : آية ٢٧٢

فالمعنى التعريضي المستفاد من التركيب أنهم أحق بالنبوة منه صلى الله عليه وسلم حيث أثبتوا مماثلته في البشرية ووصفوا الذين اتبعوه بآدى الرأى بأنهم أرادلهم لاستنكارهم مماشاة اخوانهم له عليه السلام بينما هو لم يختص بمزية تميزه عليهم وتعالى شأنه حتى يكون نبيا دونهم ، فزى المعنى المعرض به كونهم أولى بالنبوة منه ، وهذا المعنى ليس مدلولا وضعيا للعبارة ولا مجازيا ولا ثنائيا بل هو مفهوم من السياق والقرائن (١).

وفى تعبير نوح عليه السلام فى قوله تعالى : {ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين} تعريض من نوح عليه السلام ، بسؤال عن حكمة الله التى لا يشك فيها ، فى غرق ابنه مع توافر موجبات نجاته ولم يدع لذلك صراحة حياء من الله لأن ابنه عمل غير صالح .

ويبدو التعريض فى جملة {أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا} (٢) اذ فى اسناد الأمر الى الصلاة اشعار منهم بأنه لم يصدر فى نصحه لهم بترك عبادة الأصنام عن عقل ، لأنهم يعتقدون أن هذه الصلاة هذيان أو وسوسة شيطان ، وفى قولهم تهكم به وتعريض بذهاب عقله (٣).

ونلاحظ التعريض فى قول نوح عليه السلام {ولأقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين} ففى ازدرائهم لأتباع نوح عليه السلام واسترذالهم لهم تعريض لهم بأنهم ظالمون (٤).

وهذه الآية فيها من دقائق التعريض ما يحتاج الى قوة ادراك وبصر بمواقع الكلام وما يهدف اليه من المعانى الخارجية التى تتفاوت لتفاوت عقول

(١) انظر : الكشف ١٩٥/٢ ، البحر المحيط ٢٥٦/٥ ، التعريض فى القرآن الكريم ص ٥٣ .

(٢) سورة هود : آية

(٣) الحوار فى القرآن الكريم ص ٣٠٢ .

(٤) روح المعانى ١٢/٤٤-٤٥ .

الخاصة في ادراكها فضلا عن العامة .

وفي قوله تعالى : **﴿فَلَاتَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (١) تعريض بالكافرين بالقرآن ذلك لأن المخاطب غير مظنة للتلبس بالمنهى عنه فيطلب منه تركه ، وإنما المراد التعريض بأن ماعليه المشركون من اليقين بكذب القرآن أشد ذما وشناعة بهم (٢) .
ونلاحظه في قوله تعالى : **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾** (٣) .

فقد جاء التعبير بالموصول عن ثمود ، وفيه تعريض بمشركي مكة وتحذيرهم من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك لأنهم ظالمون أيضا " (٤) .
وقوله تعالى : **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾** (٥) فقد جاء التعريض بقوله "فما أغنت عنهم آلِهَتُهُم" ليؤدي دوره الدقيق في تنبيه المشركين وتحذيرهم من الاعتماد على نفع الأصنام وهم قد عرفوا ماحل بالأمم السابقة الذين كانوا يعبدون الأصنام وأيقنوا أنهم قد حل بهم الاستئصال بما شاهدوه من آثارهم ففي ذلك موعظة لهم لو كانوا مهتدين .

(١) سورة هود : آية

(٢) التحرير والتنوير ٣١-٣٠/١٢ .

(٣) سورة هود : آية ٦٦-٦٧

(٤) المرجع السابق ص ١٥٩ .

(٥) سورة هود : آية ١٠١

القسم الرابع

خطائص البديع فى السورة

ويشمل الآتى :

المبحث الأول : وجوه البديع المعنوى
المبحث الثانى : وجوه البديع اللفظى

تمهيد :

من المعروف أن علم البديع أقل العلوم حظا من بين علوم البلاغة ، ولم ينل من عناية أئمة الدرس البلاغى مانالته نظائرها التى اندرجت تحت مسائل علمى المعانى والبيان ، فقد جعلوه ذيلا فى البلاغة العربية يذكرونه بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة .

وقد يكون السبب فى وضع علم البديع فى هذه المزلّة ، أن فنون البديع لا تحتاج الى ما تحتاج اليه ألوان البيان من الدراسة والتحليل ، فلا يوجد فى البديع فن مبنى على فن كبناء الاستعارة على التشبيه أو متشابك معه كشابك التشبيه والتمثيل .. وهكذا الأمر بالنسبة لعلم المعانى وتحليل مسائله الدقيقة وتفريعاته المتعددة .

وربما يكون هذا هو السر فى أن مباحث علم البديع ولدت مكتملة ، ولم يتبق فيها كبير مجال للبحث والاضافة يغرى الأئمة بالعكوف عليه تنمية واطافة كما كان فى مباحث علمى المعانى والبيان^(١).

والمهم أن الاختلاف حول ماسبق لا يغير شيئا من الحقيقة التى تقدم بسطها من أن علم البديع ليس فى مسائله كبير مجال للبحث والاضافة كما هو الشأن فى علمى المعانى والبيان .

وأخيرا فلا بد من الإشارة الى تلك المبالغات فى رصد ألوان بديعية لاقيمة لها ، وتشقيق الأنواع منها ، والمغالاة فى كثرة التسميات .. ثم توديع ذلك فى تحليل بعض الآيات القرآنية ، كما فعل بعض أهل العلم . ودونك الأمثلة :

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ص ٢٢٨ .

قال ابن أبي الأصبع أن في آية {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (١) احد وعشرين ضربا من البديع ، على النحو التالى :

(١) المناسبة التامة بين "اقلعى" و "ابلعى".

(٢) المطابقة بين السماء والأرض .

(٣) المجاز فى قوله : "ياسماء" فان المراد - والله أعلم - يامطر السماء ، أو ياسحابة السماء .

(٤) والاستعارة فى موضعين : استعارة الابتلاع للأرض ، والاقلاع للسماء .

(٥) الاشارة فى قوله "فغيض الماء" فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الأرض ، وذهاب الماء الذى كان حاصلًا على وجه الأرض قبل الاخبار ، اذ لو لم يكن ذلك لما غاض الماء .

(٦) والتمثيل فى قوله "وقضى الأمر" فانه عبر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بعد ماعن لفظ الحقيقة .

(٧) الارداف : فى قوله : "استوت على الجودى" فان حقيقته : جلست على هذا المكان ، فعدل عن لفظ المعنى الخاص به الى ردفه ، وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما فى "الاستواء" الذى هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لازيغ فيه ولاميل ، وهذا لا يحصل فى لفظ الحقيقة .

(٨) التعليل لأن "غِيضَ الْمَاءِ" علة الاستواء .

(٩) وصحة التقسيم ، حين استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض وغيض الماء الحاصل على ظهر الأرض .

(١٠) الاحتراس . فى قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين، وقد تكلمنا عنه فى مباحث الاطناب .

(١١) الانفصال ، فان لقائل أن يقول أن لفظة القوم مستغنى عنها ، فانه لو قيل "وقيل بعدا للظالمين" لثم الكلام ، والانفصال عن ذلك أن يقال لما سبق في صدر الكلام قبل الآية قوله "وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه" ، وقال سبحانه مخاطباً نوح : {ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون} ، فاقتضت البلاغة أن يؤتى بلفظة القوم التي آلة التعريف فيها للعهد ، ليتبين انهم القوم الذين تقدم ذكرهم في الآيتين السابقتين ، فحصل الانفصال عن الاشكال وعلم أن لفظة القوم ليست فضلة في الكلام .

(١٢) ائتلاف اللفظ مع المعنى : فكل لفظة لا يصلح في موضعها غيرها .
(١٣) الايجاز ، لأنه سبحانه اقتصر القصة بلفظها مستوعبة كل شيء في أخصر عبارة .

(١٤) التسهيم : لأن أول الآية الى قوله "أقلعي" يقتضى آخرها .
(١٥) التهذيب ، لأن الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة .
(١٦) حسن البيان : فان السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه .

(١٧) والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا مستدعاه .

(١٨) والانسجام ، وهو تحرر الكلام بسهولة وعذوبة سبك مع جزالة اللفظ
(١٩) حسن النسق : فقد جاءت الجمل معطوفا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة .

(٢٠) المساواة ، لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه .
(٢١) الابداع ، وهو الذي سمي به هذا الباب اذ في كل لفظة بديع وبديعان (١) .

والأمر فيما تقدم جلى بحيث لا يحتاج الى تدقيق وتعليق ، فالشطط في
التقسيم والتشقيق ، والتكلف في التسمية سمة بارزة وأمر واضح يربو عنه
درس الاعجاز البلاغى فى محيطه القرآنى .

المبحث الأول

ألوان البديع المعنوية

أولا : الطباق والمقابلة

يعنى الطباق فى أصل الاستعمال اللغوى الجمع بين الشيئين والموافقة بينهما ، يقال طابق الفرس فى جريه اذا وضع رجله موضع يده (١). وفى اصطلاح البلاغيين استعمل الطباق للجمع بين الشئ وضده فى الجملة ، والمقابلة هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر بما يقابل ذلك على الترتيب (٢).

وقد كشف عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - عن مؤدى هذا النوع البلاغى بقوله : "أما التطبيق فأمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر ، فهو مقابلة بين الشئ وضده ، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال ، وليس لأحكام المقابلة ثم محال" (٣).

وواضح مما سبق أن الطباق - مع تحسينه اللفظ - فانه يؤدى غرضا معنويا حيث يستوعب الحكم ، كما يأتى لعقد مقابلة حسية أو نفسية أو زمانية ، وفيه ما يكشف أجزاء القضية ويبرز أطرافها ، وهذا يعنى أن الطباق من الأمور الفطرية الموجودة فى الطباق ، فالضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده ، وبها يتعمق الاحساس بالأشياء وتزداد النفوس بصرا بالحقائق (٤). وقد نلاحظ دور الطباق جليا فى دعوة النبی لعبادة الله وتحذيرهم من مخالفته {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} فهو بشير لمن آمن وأطاع

(١) اللسان ، مادة (طبق) ، والأساس للزحشرى .

(٢) انظر حاشية البناني على المختصر ٣١٦/٢ - ٣٢٠ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٢٨ .

(٤) دراسة فى علم البديع ، د. محمد أبو موسى ص ٨ .

ونذير لمن أعرض وعصى ، وقد جاء الطباق أو التضاد ليرسخ هذا المعنى ويبرزه ، ويجعلنا أكثر التفاتاً له ووقوفاً عنده وتأملاً له ، اذ فيه تحذير من الاغترار في عبادة غير الله ، وتحريض على الدخول في عبادة المولى جل وعلا .

كما جاء الطباق بين فعلين في قوله {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} وهو طباق يسوى بين الظاهر والباطن ، فعلم الله سبحانه وتعالى مطلق وليس محدوداً ، وأنه ما كان ينبغي أن تغيب هذه الحقيقة على من تأمل قدرة الله سبحانه وتعالى .

والطباق من أبرز الأساليب التي تبين قدرة الله سبحانه وتعالى كقوله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} يجيء التضاد بين اسمين السموات والأرض ، مما يزيد النفوس بصراً بالحقائق .
ولك أن تلمح هذا التلون العجيب بين الحالين في قوله : {وَلَنُذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّاهُ} للدلالة على المبالغة على أن الانسان مهما أوتى من النعماء ، لا يذكرها حين يمر بشيء يسير من الضر ، وهذا ما أبرزه الطباق بين الحالين ، ومما يؤيد هذا ما جاء بعده {لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي} .
ويأتى الطباق بين فعلين ليحقق قمة التفاوت بين أولئك المؤمنين بالكتاب ، وأولئك الكافرين بالكتاب في قوله "أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده" .

والطباق يكون من أنسب الأساليب ابرازاً لمنتهى العدل الرباني في قوله تعالى : {نُوفِرَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} .
وأما الطباق في قوله : {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} فهو أيضاً يبين مدى القدرة الالهية في الانتقام من هؤلاء القوم من فعلهم الشنيع ، فكان الطباق من أبرز الأساليب في اظهار كيفية الانتقام منهم .
بينما جاء الطباق بين فعلين في قوله : {أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} .

ونلاحظ طباق السلب فى قوله : {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} حيث نفى سبحانه وقوع ظلم منه لعباده ، وانما هم الذين ظلموا أنفسهم فكانوا سببا فى اهلاكهم ، وفيه اشارة الى عدل المولى سبحانه وتعالى .
وتجىء مواضع المقابلة على النحو الآتى :

* ماجاء فى وصف أحوال المؤمنين والكافرين فى قوله : {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ} (١) .

وقد عد أبو حيان هذه الآية من المقابلة المعنوية ، المقابلة التى تتكون فيها الجمل وتترابط بطريقة خفية تحتاج الى امعان النظر ودقة الفكر حتى يزول هذا الخفاء ، وذكر الآية السابقة .

وقد جعل الزمخشري الأسلوب من قبيل اللف والطباق (٢) ، وزاد أبو حيان اظهار البلاغة الكائنة فى ارتباط الكلمات بعضها ببعض ، وحسن ملاءمة بعضها لبعض ، وأن التكلف فى اقتران الشئ بضده ، وما هنا عدول عنه ، فلم يجىء التركيب كالأعمى والبصير ، والأصم والسميع فيكون مقابلة فى لفظ الأعمى وضده وفى لفظ الأصم وضده ، لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ، ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع ، وذلك هو الأسلوب فى المقابلة والأتم فى الاعجاز (٣) .

ويقف أبو حيان عند نسق الكلام مبينا وجه ترتيب عناصر المقابلة فيقول : "لما تقدم ذكر الكفار أعقب بذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال : كالأعمى والأصم" (٤) .

والحاصل فهذه جملتان قصيرتان بينهما تضاد ، وفيه مثل بكليهما عن المؤمن والكافر ، مما يشعر بمنتهى التنافى بينهما وأن كليهما على طرفى نقيض

(١) سورة هود : آية ٢٤

(٢) الكشاف للزمخشري ٢/٢٦٤ .

(٣) البحر المحيط ٥/٢١٣ .

(٤) المصدر السابق ٥/٢١٣ .

ثانيا : الجمع مع التقسيم والتفريق .

إذا كان التقسيم تفصيلا وتحليلا لأحوال الشيء الواحد وابرز ذلك وجعله عدة أقسام ، فان الجمع ضم وطى جملة أشياء وادخالها في حكم واحد كما في قوله تعالى : {المال والبنون زينة الحياة الدنيا} (١)

والتفريق يمضى على عكس هذا لأنه نظر في الأشياء التى هى من نوع واحد وبحث عن وجوه الاختلاف ليحدث بذلك تفريقا ، وكأن الجمع تصيد المتشابهات في الأشياء المتباينة لتدخل في وحدة ، وهذا تصيد للمفارقات بين الأشياء المتجانسة لتمييز وتختلف .

ولا يظن أن التقسيم أخو التفريق ، لأن التقسيم بحث في مظاهر الشيء الواحد وتحليلها وتصنيفها وتحديد أحوالها في أقسام ، أما التفريق فانه نظر بين أشياء ، وليس شيئا واحدا ، وهذه الأشياء متلاقية ولكن الذهن يحدد الفروق التى بينها ويبرزها .

هذه الألوان قد تتداخل وتتكاثر في الكلام ، فتتكاثر معها الحركة الذهنية حتى تكون العبارة كأنها جملة من أعمال عقلية يتركب بعضها فوق بعض وهو ما نلمحه في قوله تعالى : {يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ رَبَّهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنَادُونَ رَبَّهُمْ فِيهَا خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ} (٢).

قال العلامة سعد الدين التفتازانى : جمع الأنفس في عدم التكلم بقوله لا تكلم نفس لأن النكرة في سياق النفي تعم ، ثم فرق بأن أوقع التباين بينهما بأن بعضها شقى وبعضها سعيد بقوله فمنهم شقى وسعيد ، انما الأنفس وأهل الموقف واحد ، ثم قسم وأضاف الى السعداء مالهم من نعيم الجنة ،

(١) سورة الكهف : آية ٤٦

(٢) سورة هود : آية ١٠٥ - ١٠٨

والى الأشقياء مالهم من عذاب النار بقوله فأما الذين شقوا ... الخ "(١).
 ان تداخل هذه الألوان وبناء العبارة عليها جعلها كأنها ضرب من
 القبض والبسط ، وضروب من الملاحظات السريعة التى تدرك الحدود الفارقة
 والصفات الجامعة ، وتضع الاشارات السريعة التى تصل الأشياء بعضها ببعض
 فهم واحد بالنسبة للموقف ، وهم فريقان بالنسبة للشقاوة والسعادة ،
 والشقاوة للأشقياء هى كذا ، والسعادة للسعداء هى كذا تحديدات ذهنية
 أشبه بالأعمال الرياضية . وهذا هو مرجع المزية فيها ، لأنها تنير ألوانا
 عديدة من نشاط النفس ولا بد أن يكون هذا النشاط جادا ويقظا (٢) .

(١) مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ٣٢٤/٤-٣٤٥ .

(٢) انظر البديع فى القرآن عند المتأخرين وأثره فى الدراسات البلاغية للباحث
 ص ٢٨٦

ثالثا : الف والنشر :

وقد عرفه البلاغيون بقولهم : "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ثم ذكر مالكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده اليه" (١). ومما ورد منه قوله تعالى : {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} (٢). نلاحظ أن الصفات الراجعة الى المذكور متقابلة فيجتمع الف والطباق كما يقول الزحشرى لأنه شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم ، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من الف والطباق" (٣). وترتيب الحالين المشبه بهما في الذكر على ترتيب ذكر الفريقين فيما تقدم ينبيء بالمراد من كل فريق على طريقة الف والنشر المرتب (٤). وقد عد الزحشرى أيضا قوله تعالى : {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} (٥) من باب الف والنشر وتابعه الشهاب في ذلك ، فالحكيم مايفعل على وفق الحكمة والصواب وهو أمر ظاهر ، والخبير من له خبرة بما لايطلع عليه غيره من الخفيات فهو لف ونشر (٦). ومنه قول الله تعالى : {وَإِنْ اسْتَغْفَرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (٧).

يقول أبو حيان : "تقدم أمران بينهما تراخ ، رتب عليهما جوابان بينهما تراخ ، ترتب على الاستغفار التمتع الحسن في الدنيا ، كما قال : {قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} الآية .

(١) انظر : الايضاح ٤٢/٦ .

(٢) سورة هود : آية ٢٤ .

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزحشرى ص ٢٨٢ .

(٤) التحرير والتنوير ص ٤١ .

(٥) سورة هود : آية ٢ .

(٦) حاشية الشهاب ٧٣/٥ .

(٧) سورة هود : آية ٣ .

وترتب على التوبة ايتاء الفضل في الآخرة وناسب كل جواب لما وقع جوابا له ، لأن الاستغفار من الذنب أول حال الراجع الى الله فناسب أن يرتب عليه حال الدنيا والتوبة هي المنجية من النار والتي تدخل الجنة فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة .. "(١).

وقد وقع اللف والنشر في قوله : {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} (٢) ، حيث جاء التشبيه على جملة بنيت على اللف والنشر المرتب "أفمن كان على بينة" كمن ليس كذلك ، فيكون أولئك يؤمنون به "راجعاً لمن في قوله : أفمن كان على بينة ويكون قوله "ومن يكفر به" راجعاً "لمقدر" كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب "(٣).

(١) انظر : البحر المحيط ٢٠١/٥ ، حاشية الشهاب ١٠٦/٥ .

(٢) سورة هود : آية ١٧

(٣) الفتوحات الالهية ٣٨٨/٢ .

رابعاً : مراعاة النظر :

هو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد^(١) كقوله تعالى : {الشمس والقمر بحسبان}^(٢). وهذا الفن يجرى على نط غير النمط الذى يكون عليه الطباق ، فاذا كان الطباق يجمع الصور المتقابلة فيحدثنا عن اليمين ليذكر بعدها الشمال ويمضى الى الأمام ليعود الى الخلف ، وينظر في الليل ليذكر النهار .. وهكذا يتراعى بالكلام من جهات متقابلة فان مراعاة النظر يبحث عن المعانى المتجانسة ويتنقل بينها فاذا حدثنا عن السماء لا يثب منها الى الأرض وانما يظل يحدق فيذكر النجوم والقمر والسحاب والرياح والطيور وهكذا يسقط فى أيدينا جملة صالحة مما يدور هناك ، واذا حدثنا عن البحر لا يعبر منه الى البر وانما يقف فيه ليذكر أفلاكه وحيتانه وأمواجه ودرره وصدفه .. وهكذا يمتعنا بمزيد من عطائه^(٣).

فمن ذلك قوله تعالى : {ولا تتركوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالككم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون}^(٤)، فانه لما كان الركون الى الظالم وهو الميل اليه والاعتماد عليه دون مشاركة فى الظلم أتى بلفظ المس الذى هو دون الاحراق والاصطلاء^(٥).

وهذا الضرب من مراعاة النظر لم يذكره الخطيب ، وانما أشار اليه العلوى وذكره السيوطى^(٦) ضمن ضروب مراعاة النظر وهو "مناسبة اللفظ للمعنى" وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له ، فاذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلاً ، واذا كان المعنى رقيقاً ، فيطابقه فى كل أحواله ، وهما اذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملاءمة ، وقعا فى البلاغة أحسن موقع ، وتآلفا على أحسن شكل ، وانتظما فى أوفق نظام ، وهذا باب علم البديع ، وجاء القرآن على هذا الأسلوب^(٧)

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | الايضاح ١٨/٤ . |
| (٢) | سورة الرحمن : آية ٥ |
| (٣) | انظر دراسة فى علم البديع للدكتور محمد أبو موسى ص ٢٧ . |
| (٤) | سورة هود : آية ١١٣ |
| (٥) | الاتقان للسيوطى ٨٨/٢ ، وانظر بديع القرآن ص ٧٨ . |
| (٦) | انظر الطراز ١٤٤/٣ ، عقود الجمان للسيوطى ص ١٠٨ . |
| (٧) | الطراز للعلوى ١٤٥/٣ . |

خامسا : الاحتباك :

أُلحق المتأخرون بالبديع لونا أطلقوا عليه "الاحتباك" ، قال السيوطي :
 "فمن أنواع البديع الاحتباك ، وهو نوع لطيف لم يتنبه له أحد من أهل
 هذا الفن ولا ذكره أصحاب البديعيات ، ولم نقف على أحد تعرض لذكره الا
 رفيق الأعمى في شرح بديعته" (١).

وهو : أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره من الثاني ، وتحذف من
 الثاني ما أثبت نظيره من الأول (٢).

وقد كشف السيوطي عن العلاقة بين المعنى اللغوي والبلاغي لهذا
 اللون فقال : "ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والاحكام ،
 وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج ،
 وشده واحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق . وبيان أخذه منه
 أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد
 البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا
 له ، مانعا من خلل بطرقه فسد بتقديره ما يحصل من الخلل مما أكسبه من
 الحسن والرونق" (٣).

واذا كان الزركشى قد ذكره وهو أسبق زمنا من السيوطي ، فكلام
 السيوطي غير مصيب .

فقد عرفه الزركشى بقوله : "هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف
 من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه" ، كقوله تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ
 افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ أَجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ} (٤).

(١) عقود الجمان للسيوطي ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٣ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٨٣/٣ ، عقود الجمان ص ١٣٣ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشى ١٢٨/٣ .

(٥) سورة هود : آية ٣٥

فقد ذكر الزركشى فى البرهان "أن فى هذه الآية حذفاً فى الطرفين وأنا التقدير : ان افتريته فعلى اجرامى وأنتم برآء منه وعليكم اجرامكم وأنا برىء مما تجرمون ، فاكتفى من كل متناسبين بأحدهما لدلالة المذكور فى كل جانب على المحذوف فى الجانب الآخر (١).

وقد ذكر الزخشرى فى هذه الآية : ان صح وثبت أنى افتريته فعلى عقوبة اجرامى ، أى : افترائى وكان حقى حينئذ أن تعرضوا عني وتألّبوا على "وأنا برىء" يعنى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ، ومعنى "مما تجرمون" من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلاوجه لاعراضكم ومعاداتكم (٢).

والذى يؤخذ من هذا أن رسول الله نوحا لما يؤس من استجابتهم تنزل معهم الى فرض غير الواقع واقعا وأن هناك مضافا محذوفا فى قوله تعالى {فعلى اجرامى} ويتولد منه أن يكونوا أحقاء فى اعراضهم عنه وتألّبهم عليه وألا يشاركوه فى وزر مافعل ، وكذلك يكون فى قوله "وأنا برىء" حذف أيضا تقديره : والحاصل أنه لم يثبت على ذلك حقيقة وأنا برىء من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى .

وقد قدر الفخر الرازى المحذوف على وجه آخر بأن جعل المعنى على تقدير : ان افتريته فعلى عقاب اجرامى ، وان كنت صادقا وكذبتمنى فعليكم عقاب ذلك التكذيب الا أن ما حذف دل عليه الكلام (٣).

وقدره الشهاب الحفاجى : ان افتريته فعلى عقوبة اجرامى ، ولكنه فرض محال وأنا برىء من افترائكم أى نسبتكم اياى الى الافتراء ، وعدل عنه ادماجا لكونهم مجرمين ، وأن المسألة معكوسة (٤).

وهذه التقديرات ترجع فى النهاية الى معنى واحد اختلفت فيه العبارات ، والظاهر أن هذه التقديرات تفسيرات للمعنى لاتفسيرات للاعراب

(١) سورة هود : آية ٣٥ . وانظر البرهان ١٣٠/٣ .

(٢) الكشف للزخشرى ٢٦٧/٢-٢٦٨ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٢٠/١٧ .

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوى ٩٦/٥ .

لأنه لاجابة الى هذه التقديرات من ناحية الصناعة ، لأن قوله "وأنا برىء" معطوف على الجملة الشرطية بتمامها وهو من المقول الذى أمر به .

وأما تقدير الزركشى والسيوطى ، فعلى الرغم من كونه تفسير معنى أيضا فهو داخل فيما نحن فيه من الاحتباك يعمق دلالة النظم القرآنى على حسب المعانى المراده ، وان كان المآل الى التقاء المعانى السابقة كلها ، ويكون ذكر الاجرام المترتب على الافتراء على سبيل الفرض والتخيل تنزلا معهم وملاينة كما يوحى به النظم فى بنائه بينما لم تذكر براءتهم اشارة الى أنها لن تقع منهم لأنهم أجزموا فعلا باسنادهم الافتراء اليه .

وأما الجانب الآخر فقد ذكر براءته لأنها حقيقة واقعة وهى الأهم فى السياق وقد اكتفى بدلالة الانكار الذى صدرت به الآية عن ذكر عقوبة جرمهم ، ولأن فى ادماج تسجيل الاجرام عليهم اشارة الى الجزاء المترتب عليه كما أن تنزله معهم الى الفرض والتقدير وملاينته لهم رجاء أن يثوبوا الى عقولهم ورشددهم لا يلائمه مصارحتهم بتسجيل جرمهم قصدا ، فلهذه الأسرار حذف من الجانبين ما حذف اكتفاء بقوة دلالة النظم على المحذوف فى الطرفين (١) .

ومنه قوله تعالى : {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} (٢) ذكر الشهاب أن فى هذه الآية حذفاً فى الطرفين والتقدير "سلاماً منك وبركات منك عليك" حيث حذف من الثانى ما ذكر فى الأول ، وذكر فيه ما حذف من الأول (٣) . والألوسى ذكر فى تفسير الآية بعد أن عد أنواع القراءات حولها : "والآية على القراءتين صنعة الاحتباك لأنه حذف من الثانى ما ذكر من الأول وذكر فيه ما حذف من الأول والتقدير "سلاماً منك وبركات أو وبركة منك عليك" وهذا منه تعالى اعلام وبشارة بقبول توبته عليه السلام وخلاصه من الخسران مع الاشارة الى عود الأرض الى مآلها ... (٤) .

(١) انظر من صور الحذف فى مجلة الأزهر العدد التاسع ، ص ١٠٥٢ .

(٢) سورة هود : آية

(٣) حاشية الشهاب ١٠٤/٥ .

(٤) روح المعانى للألوسى ٧٣/٥ .

وقد ذكر ابن أبي الأصبع - رحمه الله - أن قسما آخر من الاحتباك وهو الذى يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه لما ترى بين الألفاظ فى سوء الجوار لعدم الملاءمة ، وإذا تؤمل حق التأمل وجد جاريا على نهج البلاغة ... ومثل له بقوله "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان" وقال : "فإن العارف بظاهر نظم الكلام وتهذيبه دون باطنه يرى أن نظم هذه الآية قد أتى على غير طريق البلاغة فإن طريق البلاغة أن يقال : كالأعمى والبصير والأصم والسميع ، ليلائم بعض الألفاظ بعضا ، فتألف بمعانيها ... والأمر على خلاف ماتوهمه لأن فى الكلام على الترتيب الذى جاء عليه تصحيح المعنى ، وفيه على ماتوهمه المتوهم فساد المعنى ..."(١).

قلت لا يخفى تكلف التوجيه لكلام ابن أبي الأصبع هذا حتى ينطبق عليه ضابط الاحتباك عند المحققين من علماء البديع فيما ذكرناه سابقا فى تعريف الاحتباك .

سادسا : حسن النسق .

يقصد بحسن النسق - كما عرفه ابن أبي الاصبع : "أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر ، والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لامعيا مستهجنا .

من ذلك أن يكون كل بيت اذا أفرد قام تاما بنفسه واستقل معناه بلفظه وان ردفه مجاورة صار بمنزلة البيت الواحد ، بحيث يعتقد السامع أنهما اذا انفصلا تجزأ حسنها ، ونقص تمامهما ، وتقسم معنهما وهما ليس كذلك ، بل حالهما في تمام المعنى وكمال الحسن مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع" (١).

واستشهد لذلك من كتاب الله العزيز بقوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢).

وقال في تعليقه عليها : "فأنت ترى اتيان هذه الجمل معطوفا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة" (٣) ، لأنه سبحانه بدأ بالأهم ، اذا كان المراد اطلاق أهل السفينة من سجنها ، ولايتها ذلك الا بانحسار الماء عن الأرض ، فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالابتلاع .. ثم أمر سبحانه السماء بالاقلاع بعد أمره الأرض بالابتلاع .

ثم أخبر بقوله "غِيضَ الْمَاءِ" عندما ذهب ماعلى الأرض وانقطعت مادة السماء ، وذلك يقتضى أن يكون ثالث الجملتين السابقتين .

ثم قال تعالى : "وقضى الأمر" أى هلك من قدر هلاكه ونجا من اقتضيت نجاته ، وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة ، ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ، ولا يمكن علمهم بها الا بعد خروجهم منها وخروجهم منها موقوف على ماتقدم ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل .

(١) بدیع القرآن ص ١٦٤ .

(٢) سورة هود : آية ٤٤

(٣) بدیع القرآن ص ١٦٤ .

وكذلك "استواء السفينة على الجودي" أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقرارا لحركة معه ، لتبقى آثارها آية لمن يأتى بعد أهلها ، وهذا يقتضى أن يكون بعد ماتقدم .

وقوله "وقيل بعدا للقوم الظالمين" وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما عم من لا يستحق فدعا - سبحانه - على الهالكين ووصفهم بالظلم احتراسا من هذا الاحتمال ، وذلك يقتضى أن تكون بعد كل ما ذكرنا (١).

فترى فى الآية حسن النسق ، وكيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء . وأشار "الامام" الى أن هذا الأسلوب ليس له حد يحصره ، وقانون يحيط به ، فانه يجىء على وجوه شتى ، وأنحاء مختلفة ، وهو النمط العالى والباب الأعظم والذى لاترى سلطان المزية يعظم فى شىء كعظمته فيه " (٢) .

(١) انظر المرجع السابق ص ١٦٤-١٦٥ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٣٢-١٤٤ .

سابعاً : الاستدراج :

هو "استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو ما يخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه" (١).

وقد كشف العلوى عن بيان معناه اللغوى والاصطلاحى والعلاقة بينهما بقوله :

"الاستدراج : استفعال من قولهم : استدرجته الى كذا اذا تركته درجة درجة حتى تستدعيه اليك وينقاد لما قلته من ذلك ، قال تعالى : {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} (٢) فالاستدراج لهم انما هو باعطاء الصحة والنعمة والامهال ليزدادوا في الكفر والفسوق ... وهذا اللقب انما يطلق على بعض أساليب الكلام ، وهو ما يكون موضوعا لتقريب المخاطب والتلطف به والاحتيال عليه بالاذعان الى المقصود منه ، ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة ، كما يحتال على خصمه عند الجدل والمناظرة بأنواع الالتزامات ، والانتماء اليه بفنون الافحامات ليكون مسرعا الى قبول المسألة والعمل عليها ، وكمن يتلطف في اقتناص الصيد فانه يعمل في الحيلة كل حيلة ليكون ذلك سبيلا الى ما يقصده من الاصطياد ، فهكذا ما نحن فيه اذا أراد تحصيل مقصد من المقاصد ، فانه يحتال بايراد ألطف القول وأحسنه ، فما هذا حاله من الكلام يقال له استدراج" (٣).

ومن شواهد هذا الفن في "هود" قوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام : {قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لأسألكم عليه مالا} (٤). يقول أبو حيان معلقا على هذه الآيات : تلطف نوح عليه السلام ببنائه بقوله : يا قوم ، ويا قوم استدراجا لهم في قبول كلامه ، كما تلطف

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ص ١٢١ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٢

(٣) الطراز ، العلوى ٢/٢٨١، ٢٨٢ .

(٤) سورة هود : آية ٢٨-٣٤

ابراهيم عليه السلام بقوله : ياأبت ، وياأبت (١) ، وكما تلتطف مؤمن آل فرعون بقوله (٢) : ياقوم ، وياقوم (٣) .

وكلام أبى حيان يوحى أن هذا الأسلوب يكون غالبا فى مقامات الحوار والجدل واستدراج المخاطب الى الحق ، والملاطفة له فى بلوغ المعنى المراد من حيث لا يشعر به ، ولهذا اعتمد عليه النبيون وأتباعهم فى أداء رسالتهم ، ونراه يكرر ذلك مرة أخرى فى قوله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام : {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} (٤) .

يقول أبو حيان : "قال ياقوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى ، هذه مراجعة لطيفة واستئزال حسن ، واستدعاء رقيق ، ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك خطيب الأنبياء ، وهذا النوع يسمى "استدراج المخاطب" عند أرباب البيان ، وهو نوع لطيف غريب المغزى ، يتوصل الى بلوغ الغرض ، وقد ورد منه فى قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وفى قصة نوح ، وهود ، وصالح ، وفى قصة مؤمن آل فرعون مع قومه" (٥) .

وهذا يعنى أن جميع خطابات الأنبياء مع أقوامهم قائمة على هذا النوع البلاغى لأن فيه استمالة للمخاطب وإيقاظا لشعوره ، وترقيقا للقلوب ، وقد قال عنه ابن الأثير انه من مخادعات الأقوال التى تقوم مقام مخادعات الأفعال وبين أن مدار البلاغة فيه انما تكمن فى النكت الدقيقة التى يستخدمها فى استدراج الخصم للاذعان والتسليم (٦) .

(١) سورة مريم : الآيات ٤١-٤٥

(٢) سورة غافر : آية ٢٨-٣٢

(٣) البحر المحيط ٢١٧/٥ .

(٤) سورة هود : الآيات ٨٨-٩٠

(٥) البحر المحيط ٢٥٣/٥-٢٥٤ .

(٦) المثل السائر ٢/٢٩٥ .

ثامنا : المشاكلة :

وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا (١) ، وهذا الضرب من الكلام فيه مواتة وذكاء وملاحظة ويعتمد على البديهة والفتنة والطرفة اللماحة والنادرة الذكية ، ولذلك كثر فى القرآن الكريم وفى كلام الأعراب .

وقد مثل البلاغيون للشاهد التقديرى بقوله : { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } (٢) .

فقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به من باب فرض المحال لأنه ليس للقرآن مثل ، فلاهداية لهم الا بالايان بالقرآن ، وقوله " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " معناه أن الايمان بالله يظهر قلوبنا تطهيرا هو أفضل من تطهيركم ، وسبب النزول هو أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون هو تطهير لهم ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايان صبغته ولم نصبغ صبغتك ، والمراد بالصبغة هنا التطهير الناشئ عن الايمان ولاعلاقة بينه وبين الصبغة وانما عبر عنه بالصبغة لوقوعه فى صحبتهما تقديرا ، لأن الصبغ ليس مذكورا فى كلام النصارى ، ولكنه مذكور فى سبب النزول .

قال الخطيب : " وجىء بلفظ الصبغة للمشاكلة وان لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ لأن قرينة الحال هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك (٣) .

(١) الايضاح ٣٠٩/٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٣٧-١٣٨ .

(٣) الايضاح ٣٦٠/٤ .

وقد تمثل هذا في السورة على لسان نوح - عليه السلام - وفي قوله تعالى : {وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ، قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} (١).

كان قوم نوح يتضحكون من عمل السفينة لأنهم يجهلون حقيقة ما يصنعه وما سيكون عليه الأمر ، وقوله "ان تسخروا" فيه تنزيل للمحقق منزلة المشكوك فيه تهيدا لما قصدوه من تجهلهم فيما عملوه ، وقوله "فانا نسخر" فان المراد من سخريته مجرد الاستجهال وانما عبر بلفظ السخرية للمشاكلة أى أنا نستجهلكم فى استجهالكم ايانا بناء على ظاهر الحال وجهلا بحقيقة الأمر كما هو عادة الجهال (٢).

كما نجد المشاكلة فى قوله تعالى على لسان هود عليه السلام : {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} (٣). ففى قوله "يزدكم قوة الى قوتكم" أى قوة تنتهى الى قوتكم وتنضم اليها ، كما ينضم المدد من الجند الى جيشه فيصبح جزءا منه ، يتكاثر به الجيش ويقوى ، وفى ذلك ما يوحى بأن قوتهم ذاتها ينميها الله تعالى ، ويبسط فيها طولا وعرضا ، حسيما يقتضيه فضله وكرمه ، وهذا مالىس فى كلمة المصاحبة . أى مع قوتكم .

أضف الى ذلك هذا التزاوج البديع بين اتجاه الخلق بالتوبة الى الله فى قوله : "توبوا اليه" ، واتجاه عون الخالق اليهم فى قوله : "يزدكم قوة الى قوتكم" فكانت هذه المشاكلة ضربا من ضروب الحسن فى نسق القرآن الكريم (٤).

(١) سورة هود : آية ٢٨

(٢) تفسير ابن كمال باشا ٢٨٥/٢ .

(٣) سورة هود : آية ٥٢

(٤) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ص ٢٨١ .

ان المتأمل في هذا الضرب من الكلام ، يلاحظ أن المعانى فيه يرتدى بعضها أردية بعض ويدخل بعضها في معطف بعض على غير سنة المجاز ، وحين تجرى بالألفاظ وعليها هذه السمة سمة التجانس والتآخى والتشاكل لا ترى كلاما كما يقول العلماء أحسن منه ديباجة وأكثر ماء وروثقا .

تاسعا : المذهب الكلامي :

وهذا النوع يسمى بالاحتجاج النظري أو البرهان العقلي ، وهو ايراد حجة تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب (١).

وقد جاء في قوله تعالى : {قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢)

يقول الألوسي : "اني توكلت على الله ربي وربكم" وفيه تعليل لنفي ضرهم بطريق برهاني يعني أنكم وان لم تبقوا في القوس متزعا وبذلتكم في مضادتكم جهودكم لاتقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله واثق بكلاءته فهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر الا بارادته .. ثم برهن عليه السلام على عدم قدرتهم على ضره مع توكله عليه السلام بقوله : "مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها" (٣).

ومنه قوله على لسان نوح عليه السلام {ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين} (٤)، تأكيداً للأمر وهو نهى عن مشايعة الكفرة والدخول في غمارهم وقطع بأن الدخول فيه يوجب الغرق على الطريق البرهاني كما يقول الألوسي (٥).

(١) راجع الايضاح ص ٢١٦ ، البحر المحيط ٣٥٠/٥ .

(٢) سورة هود : آية ٣٥

(٣) روح المعاني ٨٣/٤ .

(٤) سورة هود : آية ٣٦

(٥) روح المعاني للألوسي ٥٩/٤ .

عاشرا : التجريد :

التجريد فى اللغة : التعرية من الثياب ، وتجريد السيف : انتضاؤه (١) ، وفى اصطلاح البلاغيين : "أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمالها فيه . وهو أقسام :

أن يكون بمن التجريدية ، نحو قولهم : لى من فلان صديق حميم ، أو بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع نحو قولهم : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر ، أو بدخول باء المعية والمصاحبة فى المنتزع نحو قوله :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِخِ الْوَعَى بِمُسْتَلِمٍ مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُرْجَلِ (٢)

أى تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب ، بالغ فى اتصافه بالاستعداد للحرب حتى انتزع منه مستعدا آخر لابس درع ، أو بدخول "فى" فى المنتزع منه نحو قوله تعالى : {لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ} (٣) أى فى جهنم وهى دار الخلد لكنه انتزع منها دار أخرى وجعلها معدة فى جهنم لأجل الكفار تهويلا لأمرها ومبالغة فى اتصافها بالشدة أو بطريق الكناية نحو قوله :

يَاخَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمُطَى وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا يَكْفَى مَنْ يَجَلَا (٤)

وهكذا .

وقد تمثل هذا النوع فى السورة فى قوله تعالى : {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين} (٥) ، فهو تجريد لمن جعل الآيات والسلطان شيئا واحدا فى نفس الأمر فيكون تجريدا نحو مررت بالرجل الكريم فكأنه جرد من الآيات الحجة وجعلها غيرها" (٦).

(١) الايضاح ٣٤٨/٤ ضمن الشروح .

(٢) البيت لم يعرف قائله ، البغية ٤٥/٤ .

(٣) سورة فصلت : آية ٢٨

(٤) ديوان أعشى قيس ص ١٧١ .

(٥) سورة هود : آية ٩٦

(٦) انظر : روح المعانى ١٣٢/٤ ، حاشية الشهاب ١٣٣/٥ .

الحادى عشر : الاستطراد :

الاستطراد فى اللغة : مصدر استطرد ، والمطاردة فى القتال : أن يطرد بعضهم بعضا ، والفارس يستطرد ليحمل عليه قرنه ثم يكر عليه ، وذلك أنه يتحيز فى استطراده الى فئته وهو ينتهز الفرصة لمطاردته ، ومنه طراد الصيد ، ومطاردة الأقران والفرسان وطرادهم : هو أن يحمل بعضهم على بعض فى الحرب وغيرهما ، يقال : هم فرسان الطراد (١).

ومعناه عند البلاغيين : "الانتقال من معنى الى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل الى ذكر الثانى" (٢).

وقد تمثل هذا النوع فى قوله تعالى : [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ] (٣).

وقد علق أبو حيان بقوله ، وقال أهل علم البيان لم يرد فى القرآن استطراد الا هذا الموضع ، والاستطراد قالوا : هو أن تمدح شيئا أو تذمه ثم تأتى فى آخر الكلام بشيء هو غرضك فى أوله ، قال حسان :

إن كنت كاذبة الذى حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام (٤)
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة (٥) وجام (٦)

(١) لسان العرب ، مادة (طرد) .

(٢) الايضاح ٣١٥/٤ ، وينظر : بديع ابن المعتز ص ٦٠ ، تحت اسم حسن الخروج ، العمدة ٣١/٢ ، الصناعتين ص ٤٤٨ ، بديع ابن منقذ ص ٧٥ ، تحرير التعبير ص ١٣٠ ، بديع القرآن ص ٤٩ .

(٣) سورة هود : آية ٩٤ ، ٩٥ .

(٤) هو الحارث بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان قد شهد بدرا كافرا وعيره حسان بفراره .

(٥) الطمرة : الفرس المستفزة للوثب .

(٦) البحر المحيط ٢٥٨/٥ .

وانظر ديوان حسان ص ١٠٨ والبيت هكذا :

ان كنت كاذبة الذى حدثتنا فنجوت منجى الحارث بن هشام

الثانى عشر : سوق المعلوم مساق غيره :

وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم ، أو ليدل على شدة الوله فى الحب ، أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير .. كقوله تعالى : {أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} فقولهم أخرج مخرج التوبيخ ذلك لأنهم يتحكمون به وفى اسناد الأمر الى الصلاة اشعار منهم بأنه لم يصدر فى نصحه لهم بترك عبادة الأصنام عن عقل لأنهم يعتقدون فى نظرهم أن هذه الصلاة هذيان ووسوسة شيطان ، ولا يخفى ما فى كلامهم هذا من تعريض بذهاب عقله (١).

(١) بديع القرآن ص ٥١ ، الحوار فى القرآن الكريم ص ٣٠١ .

المبحث الثاني

ألوان البديع اللفظي

أولا : الفواصل .

اختلف العلماء حول تسمية ما في فقر القرآن ، فقد ذهب فريق من العلماء الى أنه ينبغي أن يسمى ما في فقر القرآن فواصل ولا ينبغي أن يقال فيه سجع ، وقالوا لأن الفاصلة تسمية قرآنية ، فقد ذكر المولى - سبحانه وتعالى - أنه فصله تفصيلا ، قال تعالى : {كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (١) ، وقال تعالى : {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ} (٢) .

ولفظ السجع عيب به مايوحش الحس ، لأنه وصف به كلام الكهان ، فكل كلامهم سجع وان كان فيه سجع جيد الا أنهم "يرجمون فيه بالغيب ويحدثون عن المستقبل ، يدعون به معرفة أسرار الأقدار ، ويتخذون من ذلك وسائل من الخداع والتمويه بما يودعون أسجاعهم من الابهام والغموض واستخدام الألفاظ التي تحتل أكثر من معنى" (٣) ، مما يجعل وصف آيات القرآن بالسجع ليس مقبولا ، ثم ان هذه الكلمة قد ابتذلت في عصرنا هذا وصارت عنوانا على التكلف والكلام المصنوع ، ومرجع ذلك الى بروز هذه الظاهرة في عصور الضعف الأدبي .

والحاصل أن الخلاف يدور حول التسمية فقط وأما تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد فالقرآن يكاد يكون كله جاريا على ذلك .

(١) سورة هود : آية ١

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٦

(٣) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية ولغوية ، أبو بكر عبد الرزاق ص ١٠٨ .

وهناك فهم آخر للسجع ذكره الرماني والباقلاني ، فقد قال الباقلاني بنفى السجع من القرآن ، وذلك لأنه عيب في الكلام ، ولأنه تكلف كله وقصر للمعاني على القوالب اللفظية ، وكأن السجع هو الغاية وليس الابانة عن معنى ، ولذلك كان انكاره منصبا على ما جاء من السجع متكلفا يتبع المعنى فيه اللفظ ، و"ما كان مستجلبا تحسين الكلام دون تصحيح المعنى" (١) . وأما مقاله الباقلاني - رحمه الله - "ذهب أصحابنا كلهم الى نفي السجع من القرآن وذهب كثير ممن يخالفهم الى اثبات سجع القرآن" (٢) ، فان الأمر على مقال رحمه الله ، فالمسألة ليست خلافا بين مدرستي علم الكلام ، فالجاحظ (٣) والرماني (٤) وهما معتزليان ، والفراء (٥) وابن قتيبة (٦) وهما من أهل السنة ، تكاد تجتمع آراؤهم حول مسألة اثبات الفواصل في القرآن .

وقد جاء العلماء بعد الباقلاني وهم من شيعته ، فلم يتعصبوا لرأيه ، وانما نظروا الى المسألة من منظورها الصحيح .

فقد رد أصول المحسنات البديعية الى القرآن ، وأورد عددا كبيرا من أمثلة السجع من القرآن ثم تلاه بقوله : "وكذلك جميع ما في القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج يخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق" (٧) .

ثم تحدث الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - وهو أشعري المذهب ، ويشيد بالسجع الذي استدعاه المعنى ، وصدر بطبع موات ، وفطرة صافية ،

(١) مقدمة اعجاز القرآن للباقلاني ، الأستاذ سيد صقر ص ٧٤ .

(٢) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٨ .

وانظر الاعجاز البلاغي ، د. محمد أبو موسى ص ١٩٥ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢٨٧/١ - ٢٩٠ .

(٤) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، النكت الرماني ص ٩٧ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٦٠/٣ .

(٦) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ص ٤٣ .

(٧) الصناعتين ص ٢٥٨ .

واستشهد له بما ورد في الشعر والنثر (١)، ثم جاء العلوى الشيعى (٢)، وابن سنان المعتزلى الذى يعد دفاعه عن السجع فى القرآن من خير ماكتب فى سر الفصاحة (٣)، وابن الأثير (٤) يدور فى فلك واحد حول هذه القضية مما يؤيد الخروج بالخلاف من الدائرة التى وضعها فيها الباقلانى (٥).

-
- (١) أسرار البلاغة ص ١٧ .
 - (٢) الطراز العلوى ٢١/٣ .
 - (٣) سر الفصاحة ص ١٦٣ .
 - (٤) المثل السائر ١٩٣/١ .
 - (٥) انظر أثر القرآن فى تطور البلاغة القرآنية ، كامل الخولى ص ٩٥-١٠٠ .

الفواصل فى السورة :

من المعروف أن بحث فواصل القرآن من البحوث الشائقة التى تحتاج الى وعى وفطنة ووقت متسع ، ولذا فقد تناولت بعض الآيات وحللت فواصلها ، مشيراً لأنواعها التى وردت فى نهاية المبحث .

وقد لوحظ أن الفاصلة تحتل مضمونا يلتفت الى مضمون الآية التى انتهت بها فيلخصه أو يبرزه أو يكمله ، فعند تأملنا لقوله تعالى : {ومامن دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين} (١) ، فان فاصلة الآية "كل فى كتاب مبين" مقررة لمضمون ما قبلها وموجزة له ، فقبلها "ومامن دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها" وهى مع ذلك تلتفت الى بداية أخرى وردت من قبل هى قوله تعالى : {ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور} (٢) ، فالفاصلة الأولى مع ما بعدها يبرزان كيفية سعة علم الله سبحانه وتعالى ، وبهذا ندرك مع الدور الذى تؤديه الفاصلة فى أنها تقرر مضمون آيتها ومع ذلك تقوم بالربط بين بداية آية قبلها على نحو يكشف لمن يريد أن يعرف سعة علم المولى جل وعلا وكيفيته .

وربما تلتفت الفاصلة الى مضمون الآية بعدها ، ولعلنا نلمس هذا فى قوله تعالى : {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون} (٣)

فان فاصلة "ألا لعنة الله على الظالمين" جاءت مقررة لمضمون ما قبلها وموجزة له : "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم" ، فهؤلاء هم الظالمون

(١) سورة هود : آية ٦

(٢) سورة هود : آية ٥

(٣) سورة هود : آية ١٩

الملعونون ، ووصفهم بالظالمين مبالغة في وصف الظلم وتحقيقه منهم ، ثم التفتت الفاصلة الى مضمون الآيات بعدها {الَّذِينَ يَصَّدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيُبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ، أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ .. لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ} (١). فهذه الفاصلة "لعنة الله على الظالمين" تشير الى أن وصف الظالمين ليس ماتقدم وانما ماجاء بعدها من أوصاف فهي خاصة بهم فضلا عن دور هذه الفاصلة في التمكين لهذه الصفات عن طريق الترهيب فيها . وهكذا .

وشبيه بما سبق قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٢) ، فقد التفتت الفاصلة لمضمون ما قبلها وموجزة له أى ان كنت صادقا فيما تتلوه علينا من الآيات وفيما تدعيه أنه آت لاريب فيه فأتنا به ان كنت صادقا ، وفي استخدام ان الشرطية ايجاء الى شكهم وارتيابهم في صدق نوح عليه السلام ، ومن آمن معه .

وقد تقع الفاصلة موقع الاستئناف المعلن للأمر قبلها وتكون عندئذ بالفاظ مؤاخية ومناظرة لما قبلها على من يرغب في المأمور به كقوله تعالى في مخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم بعد قصة نوح عليه السلام : {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (٣).

فان بعد الأمر في الآية "فاصبر" تأتى الفاصلة على سبيل الاستئناف المعلن للأمر على نحو يرغب فيه "ان العاقبة للمتقين" ، ومن مجيء الفاصلة هكذا قوله تعالى :

(١) سورة هود : آية ٢٢

(٢) سورة هود : آية ٣٢

(٣) سورة هود : آية ٤٩

{والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب} (١)

فقد جاءت الفاصلة بعد الأمر فى الآية "فاستغفروه ثم توبوا اليه" على سبيل الاستئناف التعليل للأمر على نحو يرغب فيه "ان ربي قريب مجيب". ومثلها قوله تعالى : {واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود} (٢)، فبعد الأمر فى الآية ، واستغفروا .. ثم توبوا اليه ، جاءت الفاصلة على سبيل الاستئناف البيانى المعلن للأمر على كيفية يرغب فيه "ان ربي رحيم ودود" ، وهكذا .

وقد تكون الفاصلة تنفيرا من المنهى عنه كقوله تعالى : {ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب} (٣)، فقد جاءت الفاصلة "فيأخذكم عذاب قريب" تنفيرا لهم أن يمسوا الناقة بأذى فيعجل لهم العذاب ، وهذا ماتشعر به الفاء فى قوله فيأخذكم ، لتدل على تحذير شديد لمن آذى الناقة بأى أذى .

ومثلها قوله تعالى فى مخاطبة نوح لابنه {يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين} (٤)، حيث جاء فعل الأمر وفيه توجيه من نوح لابنه ليكون فى معيته ومن آمن ، وجاء النهى محذرا ابنه أن يكون مع الكافرين .

وقد تجيء الفاصلة لتدل على غفلة من وجه اليه الخطاب أن يتأمل ويتدبر فتكون الفاصلة تنبيها على مافيه من غفلة كقوله تعالى : {مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون} (٥).

(١) سورة هود : آية ٦١

(٢) سورة هود : آية ٩١

(٣) سورة هود : آية ٦٤

(٤) سورة هود : آية ٤٢

(٥) سورة هود : آية ٢٤

وقد تأتى الفاصلة للحث والتحريض كما فى قوله تعالى : {فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون} (١)، جاءت هذه الفاصلة تحمل مضمون الآية التى انتهت بها فأبرزته ففيها الحث والتحريض على نبذ الشرك والانتقياد لما يأتى به الوحي ، فلم يعد هناك مبرر للتمسك بالشرك والعناد . وقد صيغت الفاصلة على الاسمية للدلالة على أن المطلوب منهم اسلام ثابت دائم ، كما أن فى تقديم ضمير المسند اليه على خبره ، مايفيد التأكيد على هذا الأمر وأنه يجب المسارعة اليه .

ومن مجىء الفاصلة هكذا قوله تعالى : {ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايجبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ماكانوا به يستهزءون} (٢)، فقد جاءت الفاصلة لابرار مضمون ما قبلها فى قوله "ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايجبسه ..." ومع ذلك تلتفت الى بداية آية أخرى وردت من قبل هى قوله تعالى : {ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} ، وفى الفاصلة "ماكانوا يستهزءون" أى وبال ماكانوا به يستهزءون ، وماتفيده ما الموصولة وهو التهويل الناشئ عن ابهامها ، والضمير المجرور عائد عليها ، اذ المعنى : فأحاط بهم الذى كانوا يستهزءون به ، بحيث أهلكوا لأجله ، وهو نتيجة لقولهم "مايجبسه" معجل فى الدنيا وعقابهم المؤجل فى الآخرة أشد وأخزى .

(١) سورة هود : آية ١٤

(٢) سورة هود : آية ٨

وقد جاءت فواصل مختومة بالياء والنون في سبعة وعشرين موضعا
هى (١) :

مبين	الخاسرين
سحر مبين	للمتقين
صادقين	مجرمين
الظالمين	بؤمنين
نذير مبين	جاثمين
كافرين	مفسدين
لمن الظالمين	مبين
الصادقين	للذاكرين
بمعجزين	المحسنين
الكافرين	مجرمين
المغرقين	مختلفين
الظالمين	أجمعين
الحاكمين	للمؤمنين
الجاهلين	

ووردت فواصل مختومة بالواو والنون في تسعة وعشرين موضعا
هى (٢) :

يستهزءون	لا يؤمنون
مسلمون	كافرون
لا يبخسون	يبصرون
يعلمون	يفترون

(١) سورة هود : الآيات ٦، ٧، ١٣، ١٨، ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٢،

٥٣، ٦٧، ٨٥، ٩٤، ٩٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠ .

(٢) سورة هود : الآيات ٨، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦،

٣٧، ٣٨، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ١١٣، ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣ .

الأخسرون	تسخرون
خالدون	مفترون
أفلاتذكرون	تعقلون
كارهون	تشركون
تجهلون	لا تنتظرون
أفلاتذكرون	لا تنصرون
ترجعون	مصلحون
ترجمون	عاملون
يفعلون	ينتظرون
مغرقون	تعملون

ووردت فواصل مختومة بالياء والداال أو الواو في ثلاثة وعشرين موضعا هي (١) :

عنيد	ودود
هود	ثود
لشمود	الورد المورود
مجيد	الرغد المرفود
مردود	حصيد
رشيد	أليم شديد
مانريد	يوم مشهود
شديد	لأجل معدود
منضود	شقى وسعيد
بيعيد	فعال لمايريد
الرشيد	
بيعيد	

فاصلتان ختمتا بالياء والذال أو الواو والذال (١) :

حنيد مجذود

وفاصلتان ختمتا بالياء واللام (٢) :

وکیل قليل

فواصل مختومة بالياء والراء ، والواو والراء في أحد عشر موضعا هي (٣) :

حكيم خبير لفرح فخور

بشير ونذير أجر كبير

يوم كبير تخسير

قدير خبير

بذات الصدور بصير

ليؤوس كفور

فواصل ختمت بالياء والميم في خمسة مواضع من السورة هي (٤) :

أليم عذاب أليم

مقيم مستقيم

رجيم

فواصل ختمت بالطاء في أربعة مواضع من السورة (٥) :

لوط محيط

لوط محيط

(١) سورة هود : الآيات ١٠٨، ٦٩ .

(٢) سورة هود : الآيات ١٨٢ ، ١٨٠ .

(٣) سورة هود : الآيات ١١٢، ١١١، ٦٣، ١١، ١٠، ٩، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ .

(٤) سورة هود : الآيات ٥٦، ٤٨، ٤١، ٣٩، ٢٦ .

(٥) سورة هود : الآيات ٧٤، ٧٠ .

فواصل ختمت بحرف الظاء في ثلاثة مواضع من السورة (١) :

حفيظ غليظ حفيظ

فاصلتان ختمتا بحرف الياء والزاي (٢) :

العزيز بعزيز

فاصلة مختومة بالواو والصاد هي : منقوص (٣).

فاصلة مختومة بالياء والقاف هي : شهيقي (٤).

تلك هي فواصل السورة وأنواعها ، ونود أن نشير في نهاية المبحث الى أن معظم فواصل السورة انتهت بحرفي النون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الترتيل القرآني ، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن ، فان لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة بصوت الجملة وتقطيع كلماتها ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه (٥).

(١) سورة هود : آية ٨٦،٥٨،٥٧ .

(٢) سورة هود : آية ٩١،٦٦ .

(٣) سورة هود : آية ١٠٩ .

(٤) سورة هود : آية ١٠٦ .

(٥) انظر اعجاز القرآن للرافعي ص ٢١٧ .

ثانيا : الجناس :

قال البلاغيون في تعريف الجناس : هو "تشابه اللفظين في اللفظ دون المعنى" (١).

وهذا الفن البديعى ورد فطريا في العربية ، فحسن عند شعرائها وكتابها ، ثم جاء عصر التكلف ، فتكلفه الأدباء وعمدوا اليه وجعلوه غاية فكان التكلف فى أكثر شواهدة ومن ثم سقط واسترذل .

والواقع أن صور الجناس الفطرية لاتنطمس بما تكلفه شعراء العصور المتأخرة من عيب الصناعة اللفظية ولم يتغير حكم النقد وهم ينظرون الى الاتجاه الآخر على ماأقر به الجميع من فضيلة الأسلوب الفطرى المطبوع . يقول الأستاذ الدكتور أبو موسى : "ومثل الجناس فى هذا الاستعارات التى أغرب بها أبو تمام وتكلفها ، فليس استسقاط هذه الصورة دليلا على شأن قلة الاستعارة فى الأسلوب ، وإنما هو استرزال لصور متكلفة قبيحة كانت أثرا من آثار الافراط بها" (٢).

وقد ورد الجناس فى الآيات الآتية :

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي} فقد ورد الجناس الناقص بين قوله ابلعى واقلعى ، وقد صور المعنى وأظهره فى استجابة كل من الأرض والسمااء لنداء المولى سبحانه وتعالى .

ومما ورد منه {اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} ، وقوله : {وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} ، وقوله : {إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} ، وقوله : {وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ} ، وقوله : {بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ} ، وقوله : {أَشْهَدُ اللَّهَ ، وَأَشْهَدُوا} .
ومنه قوله : {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} (٣).

(١) الايضاح ٤١٢/٤ .

(٢) خصائص التراكيب ص ٢٧٣ .

(٣) وبعض هذه الصور من جناس الاشتقاق المتحد المعنى .

وقد يعتبر من الجناس ما كان متشابها في اللفظ مع عدم الاختلاف في المعنى كقوله : {وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} ، وقوله : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ} ، وقوله : {لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْ} .
ومن جناس الاشتقاق قوله : {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ} (١).

هذه هي صور الجناس التي جاءت معنا في السورة ، أما قيمة هذه الصور فتتلخص في أمرين :
أولهما : تعدد الافادة مع أن اللفظ واحد .
وثانيهما : ما يحدثه الجناس من توازن وانسجام الكلام وقوة أدائه الصوتي بما ينعكس على المعنى بالقوة فضلا عن الاشارات والدلالات المرتبطة بمقام الجناس (٢).

(١) سورة هود : وكذلك الآيات ٣٤، ٥١، ٥٣، ٣، ٢٧، ٥٤، ٩٩، ٩٨، ٧٣، ١٢٢، ١٢١، ٤٤ .
(٢) نظرات في المحسنات البديعية ص ١١٣ .

ثالثا : رد العجز على الصدر :

لم يتفق العلماء على تسمية هذا المصطلح^(١)، ولكن مسماهما واحد والظاهرة التي أطلقت عليها واحدة ، ودليل ذلك أن ما استشهدوا به لهذه المصطلحات اما متفق أو متقارب .

ويكون في النثر والنظم ، وهو "أن يجعل أحد اللفظين المكررين - وهما المتفقان لفظا ومعنى أو أحد المتجانسين - وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى - أو أحد الملحقين بهما - وهما ما يجمعهما الاشتقاق أو شبهه ، في أول الفقرة ، واللفظ الآخر في آخرها"^(٢).

وهذا تنظيم في مواقع الكلمات المناسبة ، فاحدى الكلمتين في أول الفقرة والثانية في آخرها ، وهذا لا يستنتج الا لمن كان لديه احساس قوى بتناسق الكلمات في التركيب ، متبعا لدالتها في وعى ، وبهذا فان هذا اللون البديعى ليس من فنون التلعب باللسان كما يقول ابن القيم^(٣) وانما هو فن يعتمد على ميزتين :

أولاهما : أن يكون في الكلام من حسن الترتيب وانتظام التركيب ودقة التنسيق ، بحيث لا يجد المتتبع صعوبة في أن تجرى نهايته على خاطره ولسانه قبل أن يصل الى تلك النهاية ، وقد أحسن أبو هلال وصف هذا الكلام بقوله : "وخير الشعر ما تسابق صدورهم اعجازه ومعانيه ألفاظه ، فتراه سلسلا في النظم جاريا على اللسان لا يتنافى ولا يتنافر ، كأنه سبيكة مفرغة - أو عقد منظم - ألفاظه متطابقة وقوافيه متوافقة ومعانيه متعادلة ، كل شئ منه موضوع في موضعه وواقع في موقعه وأوله دال على آخره"^(٤)

(١) انظر : العمدة لابن رشيق ٤/٢ ، بديع ابن منقذ باسم التريديد والتصدير ص ٥١ ، عقود الجمان ص ١٤٨ .

(٢) عروس الأفراح ٤/٤٣٣ .

(٣) انظر الفوائد المشوق ص ٢٣٩ .

(٤) الصناعتين للعسكري ص ٣٩٧ .

والميزة الثانية : تتصل بالملتقى ، وهو أن يكون من رهافة الحس ويقظته ، ومن حسن تتبع المعنى والصياغة بحيث يستنبط في يسر من حق الكلام عجزه كقوله {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} ، فانك ما ان تقرأ الآية وتتصل الى قوله "والله أحق" حتى يجول بخاطر ك أن الفاصلة "أن تخشاه" قبل أن تقع عليها عينك أو تسمعها أذنك ، والنظم القرآني من الحلاوة وحسن الترتيب ودقة التركيب يساعدك على هذا فضلا عن "لفظة" وتخشي في الصدر والتي تشعر بالعجز (١) .

وقد مثل هذا في السورة في قوله تعالى : {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} (٢) .

فانك حين تتأمل سياق الآية وما يتضمنه الأمر من تهديد ووعد "اعلموا ، وانتظروا" فأياته يجول بخاطر ك فاصلة الآية قبل أن تقع عليها عينك أو تسمعها أذنك كما قلت سابقا ، ثم ان النظم القرآني فيه من الحلاوة ودقة التركيب وحسن الترتيب ، ما يساعدك على هذا فضلا عن لفظة "اعملوا ، وانتظروا" في الصدر والتي تشعر بالفاصلة .

وهذا اللون البديعي فيه من التشويق والصقل في جوهره نوع من هندسة العبارة وتنظيم مواقع لبنات متجانسة في شكل البناء ، هذه اللبنات كما نرى تتقارب أو تتباعد بنسب منضبطة ومسافات محددة تحديدا مدروسا وهذه الناحية هي سر بلاغتها لأنها مظهر من مظاهر الاتقان والتروى (٣) . أما ما ذهب اليه بعض الدارسين من ربط رد للأعجاز على الصدور بقيمة واحدة تتصل بال تكرار النغمي وتقوية الجرس فهو اتجاه نابع من وجهة نظر خاصة بالناحية اللفظية (٤) .

(١) انظر نظرات في المحسنات البديعية د. محمد ابراهيم شاذى ص ١٠١، ١٠٢ .

(٢) سورة هود : الآيات ١٢١-١٢٢

(٣) انظر دراسة في علم البديع ص ٢٤ .

(٤) انظر المرشد الى فهم أشعار العرب ، د. عبد الله المجذوب ٧٥/٢ .

رابعاً : توافق البدء مع الختام :

وقد توافق بدء السورة مع ختامها :

فقد افتتحت السورة بالحديث عن العبادة {الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} (١).
كما اختتمت بالحديث عن عبادة الله وحده والرجعة اليه في نهاية المطاف {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٢).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : "وهكذا تختم السورة التي بدئت بالتوحيد في العبادة ، والتوبة والالانابة والرجعة الى الله في النهاية بمثل ما بدئت به من عبادة الله وحده والتوجه اليه وحده ، والرجعة اليه في نهاية المطاف . وذلك بعد طول التطواف في آفاق الكون وأغوار النفس وأطواء القرون ، وهكذا يلتقى جمال التنسيق الفنى في البدء والختام ، والتناسق بين القصص والسياق ، بكمال النظرة والفكرة والاتجاه في هذا القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" (٣).

(١) سورة هود : آية ١-٢

(٢) سورة هود : آية ١٢٣

(٣) في ظلال القرآن ٤/١٩٣٤ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب أكمل الرسالات ،
أما بعد :

فقد طال بى المسير فى معية هذه السورة الكريمة ، والتدبر فيما اشتملت عليه من روائع النظم ، ومع ذلك فانى أشعر بأئنى أمام هذا الفيض الزاخر من آيات الحسن الذى يمتاز به كلام المولى جل وعلا وكأئنى أمام بحر لاشاطيء له كلما حسبت أئنى وصلت الى المراد من هذه الرحلة ألفيتنى فى شوق الى الاستزادة من هذا المعين الذى لا ينضب .. وقد بذلت من الجهد مارأيت أن ثمرته تكفى لتكون معلما من معالم عظمة القرآن وروعه اعجازه وبلاغته .

ومن ثم تراءت لى بعد هذه الرحلة المباركة نتائج أوجزها فيما يلى :
أولا : انتهيت الى أن معظم السور المفتحة بالأحرف المقطعة جاء ترتيبها فى المصحف ترتيبا متواليا فى الغالب وقد وافق هذا الترتيب المصحفى الترتيب التزولى فى معظمها ، فمثلا نجد السور التى افتتحت بـ "ألر" يونس نزلت قبل هود تليها هود ، وهى بعدها فى التزول وبعدها سورة يوسف ترتيبا ونزولا وتليها الرعد وابراهيم ترتيبا ثم الحجر ترتيبا ونزولا ، وكذلك مجموعة "الحواميم" حيث وردت مرتبة فى المصحف والتزول ، فهل جاء هذا الترتيب مصادفة أم أنه داخل فى قضية الاعجاز؟

ثانيا : انتهيت الى الفرق بين ماورد بين متشابه النظم فى السورة الكريمة فى قوله {وياقوم لأسألكم عليه مالا ...} وقوله : {ياقوم لأسألكم عليه أجرا} اذ كل لفظ منهما مرتبط بالغرض المسوق له الكلام ، فلفظ المال فى سياق قصة نوح له مالىس للفظ الأجر لأن الأجر قد يفهم منه الرئاسة والجاه ، فالرد عليهم بنفى سؤال "المال" خاصة أنسب لما جادلوه فيه من قبوله لأولئك الفقراء والمساكين الذين آمنوا معه .

ثالثا : كما لمست الفارق بين قوله {فلاتك في مرية مما يعبد هؤلاء} ، وبين قوله : {فلاتكن في مرية من لقائه} وهو أن ماجاء بحذف النون جاء تثبيتا وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وربطا على قلبه الشريف . ففي الآية نهى عن التعرض لأدنى شك في بطلان عبادتهم . وأما ماورد باثبات النون فانه لما كان الحرج مما لاينهى عنه ، والشك غير متوقع كان نهيا عن التعرض للحرج بطريق الكناية ونهى عما يوقع في الريب ، باكتساب المعارف المزيلة للشك ، وفيه تنزيه للنبي صلى الله عليه وسلم عن النهى المباشر لأن ثم مايزيله ويكون سببا لشرح الصدر وطمأنينة القلب وهو القرآن الكريم ، ففي اثبات النون زيادة في تأكيد النهى ، لأنه يتناسب والسياق الذى جاءت فيه .

رابعا : انتهيت الى أن التشبيه باسم الإشارة "كذلك" يأتى فى القرآن اذا تقدم المشبه به جملة أو جمل من قبل ، ومعنى هذا أن المشبه به مع هذه الأداة : ذلك ، يكون مذكورا مرتين : الأولى : قبل أداة التشبيه "الكاف" فى كذلك ، والثانية بعدها فى صورة اسم الإشارة ، ثم يأتى المشبه بعده اما مفردا ، وهو اسم مثل كذلك أخذ ربك ، أو جملة فعلية ، مثل : كذلك تخرجون ، وفى هذا المنهج من قوة البيان واحكام الربط بين معاقد الكلام مافيه ، ولانكون متجاوزين للحقيقة اذا قلنا ان فى هذا فنا بلاغيا لم يعنون له البلاغيون وان عنونوا لنظيره ، وهو هنا الاجمال بعد التفصيل .

خامسا : أن الفاصلة القرآنية قد تكون لفتا لما قبلها أو لفتا لما بعدها كما فى قوله تعالى : {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} ، فقوله "ألا لعنة الله على الظالمين" جاءت لفتا لما قبلها وهو قوله "ومن أظلم" ، وجاءت لفتا لما بعدها فى قوله "الذين يصدون عن سبيل الله" وهم الظالمون أيضا .

وأخيرا فان نتيجة النتائج أن هذه الدراسة اضافة جديدة عملية للاعجازالنظمى البلاغى فى القرآن الكريم .

والهيئة العلمية المكونة لمناقشة هذا العمل أقدر منى على تقويمه وفهم
ماهو جديد وماهو غير جديد ، وحسبى أننى محب لكتاب الله ومجتهد فى فهم
معانيه مع خلوص النية والمجتهد لا يخلو من الأجر أصاب أم أخطأ .
والله ولى التوفيق .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر القديمة .

(١) الاتقان

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ،
القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

(٢) أساس البلاغة

لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)
دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(٣) أسرار البلاغة

لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)
تحقيق هـ.ريتر ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
تحقيق محمود شاكر ، دار المدني بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

(٤) الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز

لأبي محمد عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام
دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٥) الأشباه والنظائر في النحو

للسيوطي

راجعته وقدم له د. فايز ترحيني ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، دار
الكتاب العربي ، بيروت .

(٦) الأطول

للعصام

مطبعة السيد أحمد كمال ١٣٨٤هـ .

- (٧) اعجاز القرآن
لأبى بكر محمد الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣هـ)
تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .
- (٨) الأكسير فى علم التفسير
لسليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الصرصرى الطوفى (ت ٧١٦هـ)
تحقيق عبد القادر حسين ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ، القاهرة
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- (٩) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال
لابن المنير الاسكندرى
دار المعرفة ، بيروت .
- (١٠) أنوار الربيع فى أنواع البديع
لابن معصوم المدنى (ت ١١٢٠هـ)
تحقيق شاكر هادى شكر ، مطبعة النعمان ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .
- (١١) الايضاح فى علوم البلاغة
للخطيب القزوينى (ت ٧٣٩هـ)
شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، الطبعة الثانية ، مطبعة
ومكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة (بدون تاريخ) ، مكتبة ومطبعة
محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .
- (١٢) البحر المحيط
لابن حيان الأندلسى (ت ٧٥٤هـ)
دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (١٣) البديع
ل'عبد الله بن المعتز : (ت ٢٩٦هـ)
تحقيق كراتشفوفسكى ، دار الحكمة ، دمشق ، الطبعة بدون تاريخ .
- (١٤) بديع القرآن
لابن أبى الأصبع المصرى (ت ٦٥٤هـ)

تحقيق د. حفي محمد شرف ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ،
الطبعة الثانية دون تاريخ .

(١٥) البديع في نقد الشعر

لأسامة بن منقذ

تحقيق د. أحمد بدوى ، ود. حامد عبد الحميد ، ومراجعة ابراهيم
مصطفى ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، بدون
تاريخ .

(١٦) البرهان في تناسب سور القرآن

للامام الحافظ أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفى (ت٧٠٨هـ)
تقديم وتحقيق د. سعيد الفلاح ، الجامعة الزيتونية للشريعة وأصول
الدين بتونس ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، من منشورات جامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية .

(١٧) البرهان في علوم القرآن

لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت٧٩٤هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م .

(١٨) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى (ت٨١٧هـ)

تحقيق محمد على النجار ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، الطبعة
الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٩) البيان والتبيين

لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)

تحقيق د. عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة
الثالثة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

(٢٠) تأويل مشكل القرآن

لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت٢٧٦هـ)

تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، دار التراث
القاهرة .

- (٢١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر
لابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)
تقديم وتحقيق د. حفي محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
- (٢٢) تفسير ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)
"جامع البيان عن تأويل آي القرآن"
دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
- (٢٣) تفسير أبي السعود (ت ٩٨٢هـ)
"ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم"
تحقيق عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، مكتبة الرياض الحديثة
بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٢٤) تفسير روح المعاني في القرآن العظيم والسبع المثاني
لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)
دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٢٥) تفسير الفخر الرازي
لمحمد الرازي فخر الدين (ت ٦٠٤هـ)
دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٢٦) تفسير القرآن العظيم
لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي
(ت ٧٧٤هـ)
دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .
- (٢٧) تناسق الدرر في تناسب السور
للسيوطي
تحقيق عبد القادر عطا ، دار الاعتصام ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- (٢٨) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن
لعلی بن عيسى الرماني وآخرين (ت ٢٩٦هـ)

تحقيق د. محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ،
الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن

لعبد الله بن محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (ت ٦٧١هـ)

دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م .

(٣٠) الجمان فى تشبيهات القرآن

لابن ناقيب البغدادى

تحقيق د. مصطفى الصاوى الجوينى ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
(بدون تاريخ) .

(٣١) حاشية البنانى على مختصر المعانى

للسعد

المطبعة العلمية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ .

(٣٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد

ضمن شروح التلخيص

للخطيب القزوينى وآخرين

مطبعة عيسى حلى وشركاه ، مصر (بدون تاريخ) .

(٣٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى

دار صادر ، بيروت .

(٣٤) حاشية الصاوى على الجلالين

للامامين العظيمين الجلال المحلى والجلال السيوطى

الطبعة الأخيرة ، راجع تصحيحها فضيلة الشيخ على محمد الضباع ،

شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٠هـ /

١٩٤١م .

(٣٥) الخصائص

لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢هـ)

تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .

(٣٦) درة التنزيل وغرة التأويل

للخطيب الاسكافي

دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٧م .

(٣٧) دلائل الاعجاز

لعبد القاهر الجرجاني

قرأه وعلق عليه الشيخ محمود محمد شاكر ، مكتبة الحفاجي ، القاهرة

مطبعة المدني ١٤٠٤هـ .

(٣٨) ديوان الأعشى

دار صادر ، بيروت .

(٣٩) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري

تحقيق د. سيد حنفي حنين ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

(٤٠) الرسالة الصبائية

للشيخ محمد الصبان

المطبعة الأميرية ، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ .

(٤١) سنن الترمذي

دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

(٤٢) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان

لجلال الدين السيوطي

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

(٤٣) شروح التلخيص

مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، مصر ، بدون تاريخ .

(٤٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)

طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٤٥) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص

لبهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ)

طبعة عيسى الحلبي ، مصر .

(٤٦) العمدة

لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)

تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع
بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٤٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٤٨) الفتوحات الالهية

لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي (ت١٢٠٤هـ)

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

(٤٩) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان

لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)

دار الكتب العلمية (دون ذكر الطبعة وتاريخها) .

(٥٠) كتاب سر الفصاحة

لابن سنان الخفاجي

دار الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٥١) الكتاب لسيبويه

تحقيق د. عبد السلام هارون

مطبعة الخانجي ، الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

(٥٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر

لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)

تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى

١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٥٣) الكشف

للزحشرى

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ،

طبعة المعرفة ، بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

(٥٤) لسان العرب

لابن منظور (ت٧١١هـ)

طبعة دار المعارف ، دون تاريخ .

(٥٥) المثل السائر

لضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)

تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفي ، ود. بدوى طبانه ، دار الرفاعي ،

الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٥٦) مجموعة من التفاسير

للبيضاوى النسفى ، والخازن ، وابن عباس

دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣١٩هـ .

(٥٧) المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها

لابن جنى

تحقيق على النجدى حافظ، ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبى ،

طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٩م .

(٥٨) مختصر السعد

ضمن شروح التلخيص

مطبعة السعادة ١٣٤٣هـ .

(٥٩) المطول على التلخيص

للتفتازانى

مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ .

(٦٠) معانى القرآن

لأبى زيد الفراء (ت٢٠٧هـ)

تحقيق أحمد يوسف .

(٦١) معترك الأقران فى اعجاز القرآن

للسيوطى

تحقيق على محمد البجاوى ، دار الفكر العربى (بدون تاريخ).

(٦٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب

لابن هشام المصرى

تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد ، مطبعة صبيح ، بدون تاريخ .

(٦٣) مفتاح العلوم

لسراج الدين أبى يعقوب يوسف بن محمد السكاكى (ت٦٢٦هـ)

ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة

الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٦٤) ملاك التأويل

لأحمد الزبير الغرناطى

تحقيق محمود كامل أحمد ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٥هـ .

(٦٥) مواهب المفتاح

ضمن شروح التلخيص

لابن يعقوب المغربى

طبعة عيسى البابى الحلبي بمصر .

(٦٦) نتائج الفكر فى النحو

لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهلى (ت٥٨١هـ)

تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع (بدون

تاريخ) .

(٦٧) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور

للامام برهان الدين أبى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى (ت٨٨٥هـ)

دائرة المعارف العثمانية ، بمساعدة وزارة المعارف والشئون الثقافية

للحكومة العالية الحضرية تحت مراقبة شرف الدين أحمد ، طبعة أولى

١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(٦٨) نقد الشعر

لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)

تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، دار عطوة للطباعة ، الطبعة الأولى

١٩٧٩م .

(٦٩) نقد النثر

المنسوب لقدامة بن جعفر وهو لعبد الله بن أيوب
المكتبة العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٧٠) النهاية في غريب الحديث والأثر

لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)
تحقيق د. محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي ، دار الفكر
للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ثانيا : المراجع .

(٧١) أثر القرآن في تطور البلاغة العربية حتى القرن الخامس الهجري
تأليف د. كامل الحوالى

طبع في دار الأنوار للطباعة والنشر بمصر ، البعة الأولى ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م
(٧٢) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم

تأليف عبد العليم السيد فوده

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

(٧٣) أساليب الأمر والنهى في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية
رسالة ماجستير ، يوسف عبد الله الأنصارى ، اشراف د. صباح دراز
١٤١٠هـ .

(٧٤) الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية في القرآن

د. صباح دراز

مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٧٥) أساليب بلاغية

د. أحمد عطلوب

ساعدت جامعة بغداد على نشره رقم التعضيد ١٦ لسنة ١٩٧٩ / ١٩٨٠م .

(٧٦) أساليب علم البيان

د. غازى يموت

دار الأصاله للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٧٧) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية

د. صباح دراز

مطبعة الأمانة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٦م .

(٧٨) الاستفهام القرآني دقائق ورقائق : دراسة تنظيرية تأويلية

د. محمود توفيق محمد سعد

مطبعة الابانة بمصر ، وهو بحث نشر في حولية كلية اللغة العربية

١٩٨٥م .

(٧٩) أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط "ان واذا ولو" ومواقعه في القرآن

الكريم

رسالة دكتوراه ، د. محمود موسى حمدان ، اشراف الدكتور محمد أبو

موسى ١٤٠٩هـ .

(٨٠) أسرار الفصل والوصل

د. صباح دراز

مطبعة الأمانة بمصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٨١) الاسلام في عصر العلم

تأليف محمد أحمد الغمراوي

اعداد الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني ، الناشر دار الكتب

الحديثة ١٣٩٣هـ .

(٨٢) أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين

للدكتور فتحى بسيونى حمودة

دار البيان العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

(٨٣) أسلوب المحاوره في القرآن الكريم

للدكتور عبد الحليم حفى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

(٨٤) الاعجاز البلاغى

للدكتور محمد أبو موسى

مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

- (٨٥) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية
لمصطفى صادق الرافعى
دار الكتاب العربى ، بيروت ، دون ذكر للطبعة وتاريخها .
- (٨٦) اعجاز القرآن وبيانه
لمحبي الدين الدرويش
دار الارشاد بجمص ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- (٨٧) الالتفات فى ضوء أساليب القرآن
رسالة ماجستير ، اعداد ربيع محمد عبد المحسن أحمد ، اشراف
الدكتور محمد أبو موسى ، بالقاهرة ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .
- (٨٨) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم
الدكتور عبد الفتاح لاشين
مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) .
- (٨٩) البديع فى القرآن عند المتأخرين وأثره فى الدراسات البلاغية
رسالة ماجستير للباحث اشراف د. ابراهيم الحارد لو ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- (٩٠) البديع من المعانى والألفاظ
للدكتور عبد العظيم المطعنى
دار وهدان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ / ١٩٧٦م .
- (٩١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة
لعبد المتعال الصعيدى
ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز (بدون تاريخ)
- (٩٢) بلاغة الأمر والنهى فى النسق القرآنى
السيد عبد الرحيم عطية
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٤م .
- (٩٣) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية
للدكتور محمد محمد أبو موسى
دار الفكر العربى للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

- (٩٤) التعريض في القرآن الكريم
الدكتور ابراهيم محمد عبد الله الخولي
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٩٥) تفسير التحزير والتنوير
للشيخ محمد طاهر بن عاشور
الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .
- (٩٦) الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية
رسالة جامعية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، اعداد الباحث محمد
ابراهيم شادي ، اشراف الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- (٩٧) حول منهج عبد القاهر في كتابيه وبلاغته في التقديم والتمثيل
للدكتور محمد ابراهيم شاوي
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- (٩٨) خصائص التراكيب : دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني
للدكتور محمد أبو موسى
مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، القاهرة .
- (٩٩) خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية
للدكتور عبد العظيم المطعني
بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد
١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- (١٠٠) خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها
تأليف عادل محمد صالح أبو العلا
دار القبلة للثقافة الاسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ،
بدون تاريخ .
- (١٠١) خصائص النظم القرآني في قصة ابراهيم عليه السلام
الدكتور الشحات محمد أبو ستيت
مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

- (١٠٢) دراسة في البلاغة والشعر
للدكتور محمد أبو موسى
مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- (١٠٣) دراسة في علم البديع
للدكتور محمد أبو موسى
(بدون تاريخ) .
- (١٠٤) دلالات التراكيب
الدكتور محمد محمد أبو موسى
مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- (١٠٥) ساعة مع القرآن العظيم
للدكتور عبد العظيم المطعنى
دار المعارف ، القاهرة .
- (١٠٦) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث قرآنية ولغوية
لأبى بكر عبد الرازق
المكتب الثقافى للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
- (١٠٧) صفوة التفاسر
للصابونى
دار القرآن الكريم ، بيروت ، البعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- (١٠٨) علم البيان
للدكتور عبد الحافظ ابراهيم البقرى
(بدون تاريخ) .
- (١٠٩) فن البلاغة القرآنية
الدكتور صباح دراز
المطبعة التوفيقية ، مصر ، (بدون تاريخ) .
- (١١٠) فن التشبيه
للدكتور على الجندى
مطبعة نهضر مصر ، طبعة أولى ١٩٥٢م .

(١١١) فن الحباس

لعلى الجندى

دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٥٤م .

(١١٢) فى ظلال القرآن

لسيد قطب

دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثامنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(١١٣) قيس من نور القرآن الكريم

للشيخ محمد على الصابونى

دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(١١٤) مباحث فى علوم القرآن

د. مناع خليل القطان

الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

(١١٥) مذكرات فى الفصل والوصل والقصر

للشيخ سليمان نوار

مطبعة العلوم ، الطبعة الثانية ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م .

(١١٦) المرشد فى فهم أشعار العرب

للدكتور عبد الله المجذوب

شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة

الأولى ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

(١١٧) المسائل البلاغية فى الربع الثانى من تفسير ابن كمال باشا

دراسة وتحقيق محمد على هويدى ، اشراف الأستاذ الدكتور عبد العظيم

المطعنى .

(١١٨) معارج الصعود الى تفسير سورة هود

للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى

دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- (١١٩) معجم ألفاظ القرآن الكريم
مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الطبعة
الثانية ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- (١٢٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها
الدكتور أحمد مطلوب
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- (١٢١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
لمحمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر ، بيروت (بدون تاريخ) .
- (١٢٢) من أسرار التركيب البلاغى
للدكتور السيد عبد الفتاح حجاب
الناشر المكتبة التوفيقية ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- (١٢٣) من أسرار التعبير القرآنى ، حروف القرآن
للدكتور عبد الفتاح لاشين
دار عكاظ للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (١٢٤) من أسرار التعبير القرآنى : دراسة تحليلية لسورة الأحزاب
للدكتور محمد محمد أبو موسى
طبعة دار الفكر ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- (١٢٥) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم
للدكتور محمد الأمين الخضرى
مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- (١٢٦) مناهل العرفان فى علوم القرآن
لمحمد عبد العظيم الزرقانى
دار الفكر العربى ، الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) .
- (١٢٧) من عطاء نظم القرآن الكريم : دراسة تحليلية لسورة الأنبياء
الدكتور عبد الحميد العيسوى
طبعة أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، مطبعة أبناء وهبة حسان ، القاهرة .

(١٢٨) النبأ العظيم

لمحمد عبد الله دراز

طبعة دار القلم ، الكويت ١٣٩٧ هـ .

(١٢٩) نظرات في البيان

للدكتور عبد الرحمن الكردي

مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(١٣٠) نظرات في المحسنات البديعية

للدكتور محمد ابراهيم شاوي

الدار الاسلامية للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

(١٣١) مجلة الأزهر - الجزء التاسع والعاشر ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

فهرس الموضوعات

الصفحة

١ المقدمة
٧ سورة هود
٢٠ تمهيد
٢٧ سر تسمية السورة

القسم الأول

خصائص التراكيب في السورة

٤٢ المبحث الأول : أسلوب الخبر
٥٣ المبحث الثاني : المجاز العقلي
٦٣ المبحث الثالث : التعريف
٦٣ التعريف بالضمير
٦٧ التعريف بالاشارة
٧٣ التعريف باسم الاشارة الموضوع للبعيد
٧٨ التعريف بالموصولية
٨٩ التعريف بالاضافة
٩٢ المبحث الرابع : التنكير
٩٨ المبحث الخامس : التقديم
١٠٦ المبحث السادس : وضع الظاهر موضع المضمير
١٠٩ المبحث السابع : التقييد بالشرط
١١٩ المبحث الثامن : الالتفات
١٢٨ المبحث التاسع : الایجاز
١٣٨ المبحث العاشر : الاطناب
١٤٠ أولا : التذييل
١٤٢ ثانيا : التتيم

الصفحة

١٤٣	ثالثا : التفصيل بعد الاجمال
١٤٤	رابعا : ذكر العام بعد الخاص
١٤٥	خامسا : الاحتراس
١٤٧	المبحث الحادى عشر : القصر
١٦٢	المبحث الثانى عشر : أساليب الانشاء
١٦٤	الاستفهام
١٧٥	النداء
١٨٤	الأمر والنهى
٢٠٠	المبحث الثالث عشر : الفصل والوصل

القسم الثانى

آيات التشابه اللفظى فى هود

٢٢٠	
-----	-------	--

القسم الثالث

التصوير البيانى فى السورة

٢٣٤	المبحث الأول : التشبيه
٢٤٩	المبحث الثانى : صور الاستعارة
٢٦٢	المبحث الثالث : المجاز المرسل
٢٦٧	المبحث الرابع : الكناية
٢٧٢	المبحث الخامس : التعريض

القسم الرابع

خصائص البديع فى السورة

٢٧٦	تمهيد
٢٨٠	المبحث الأول : ألوان البديع المعنوى
٣٠٣	المبحث الثانى : ألوان البديع اللفظى
٣١٩	الخاتمة
٣٢٢	المصادر والمراجع